كتاب

بدور الافهام او شموس الاحلام

على عقائد ابن عاشر الحبر الهمام

تاليف

الفاضل الزكي العالم الشيخ السيد المولود بن محمد
الزربي البسكري المحرز على الاجازة العلمية
من الكلية الازهرية ٠ المدرس المتطوع
بالحجاج من حكم اوراس
بالقطر الجزائري ادام
الله تعلى حفظه
آمين

طبع بالمطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس
سنة ١٣٣٤

يقول مؤلفه

لم ننجز طبع هذا الكتاب حتى عرضناه على افاضل العلماء واماجد النجباء من التونسيين والجزائريين فلما حل منهم محل الاقبال ابرزناه في عالم المطبوعات لتحصل بذلك مطابقة مقتضى الحال





بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

نحمدك يا من سلكت بنا الهدى وزشحتنا لخوض لجج معاني الكلام * واطلعت في سماء عقولنا كواكب كلمة التوحيد وابرزتها لمضمار الافكار والافهام * على ما اوليتنا من النعم الجزيلة والفضل والاكرام * واتحفتنا بحلل صفاتك السنية واكاليل سلسلة الاسلام * وجعلت عقائدنا خالصة من شوائب الاشراك والالحاد * سبحانك من اله حكيم مدبر لامور العباد * ونصلي ونسلم على من برهن لنا عن صفات ذاتك بدقيق المعاني ورقيق المباني * وعلى آله واصحابه الذين عبروا بحار التقليد * وسلكوا اودية التجريد * والتابعين وتابعيهم باحسان * ما اخمدوا بدعا واناروا سنن سيد ولد عدنان * (اما بعد) فيقول افقر العبيد الى مولاه القدير المواود بن محمد ذو العجز والتقصير لما كان من اجل ما يرخى العنان اليه * ومن اعظم ما تناخ الرحال لديه * علم الكلام الذي رق عرفه وراق * وعم وجوبه سائر الاقطار والافاق * وكانت عقائد المرشد المعين غير مشروحة شرحا يشفي الغليل * ويبسط القاعدة ويقيم الدليل * فكم من مكثر ممل * ومن مقل مخل * نسجت عليه فرائد * وغزلت له فوائد * وبسطت اليد الطولى في الرد على بدع اهل هذا الزمان * بادلة قطعيه * وحجج عقلية ونقليه * تبرز الخفي للعيان * وسميته بدور

الافهـــام او شموس الاحـلام * وعلى الله قصد السبيل وحسبي الله ونعم الوكيل

قال الناظم رحمه الله تعلى ونفعنا بعلومه امين (يقـول) من باب نصر اصله يقول كينصر فخفف بنقل حركة عينه الى الساكن قبلها (عبـد) العبودية لا عبد الدينار والدرهم المذموم شرعا لقوله عليه الصـلاة والسلام تعس عبد الدينـار والدرهم تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش وتعس بكسر العين بمعنى هلك وقوله شيك بمعنى اصابته شوكة والانتقاش هو نزعها بالمنقاش (الواحد) اسم من اسمائه تعلى الحسنى ولا يخفى انه يتضمن صفة معنى اذ انـه مشتق كما ياتي (بن) صفة لفاعل يقول ويرسم (١) بغير الف لكونه بين علمين قال ابن مالك في الكافية

والابن يكتب بغـير الف ان كان بين علمين فاعرف

والمصنف هو عبد الواحد بن احمد بن علي بن (عاشر) فعاشر اسم جده الاعلى رضي الله عنه وكان المصنف بارعا في علم المعقول والمنقول عاملا بمقتضى قوله عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وما احسن قول الشاعر

واذا الفتى قد نال علمـا ثم لم يعمل بـه فكانه لم يعلـم

الف تئاليفا عديدة وناهيك بهذا المختصر فقد لخص زبد العلوم الثلاثة توفي رحمه الله تعلى سنة اربعين والف وهو اندلسي اصلا فاسي منشأ انصاري نسبا يتصل بقحطان من اليمن ومن شيوخ المصنف رضي الله

---

(١) اشترط بعضهم في ذلك ان لا يقع اول السطر وان لا يعرب بدلا وإلّا فيرسم بالالف كما في عيسى بن مريم راجع كتب النحو تزدد علما

تعلى عنه العلامة القصار ولما التقى الناظم في رحلته الحجازية بالشيخ عبد الله الدنوشري وساله عن اشياخه فذكر له من جملتهم القصار انشده

قد حاك شقة العلوم انيسة ‌ ‌ ‌ ‌ وكسوا بها بالفضل من هو عاري

رقت حواشيها ورق طرازها ‌ ‌ ‌ ‌ لكنها تحتاج للقصار

قيل ولقوة اختصار عبارته لم يكن يحضر بمجلسه إلا الواحد والاثنان ممن مارسه وعرف تحقيقه واختصاره ولما توفي بيعت تقاييده بوزنها ذهبا (مبتدأ) حال مقدرة من الفاعل (بسم الاله القادر) لقوله عليه الصلاة والسلام كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو ابتر وفي رواية اجذم وفي رواية اقطع والمعنى في كل قليل وناقص البركة فهو وان تم حسا لا يتم معنى اذ المعدوم شرعا كالمعدوم حسا والباء في البسملة للاستعانة ويحتمل غيرها والاول اليق بالمقام وهي اصلية على الصحيح متعلقة بمحذوف وهو فعل على الاصح نحو اؤلف وتقديره من مادة التاليف اجود من الابتداء اذ الاولى تعليقها بما جعلت التسمية مبدأ له والابتداء لا يخص التاليف (الحمد لله) ثنى به اقتداء بالكتاب العزيز وعملا برواية كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو ابتر وفي رواية اقطع وفي رواية بزيادة والصلاة علي والمعنى على ما تقدم في حديث البسملة ومعنى الحمد لغة هو الوصف بالجميل على الجميل عند الحامد الاختياري على جهة التعظيم سواء تعلق بالفضايل وهي النعم القاصرة كالشجاعة ام بالفواضل وهي النعم المتعدية كالعلم ونبهت بقولي عند الحامد اي في اعتقاده ليشمل ما لم يكن جميلا في الواقع وان اعتقد كونه جميلا كقول الشاعر

نهبت من الاعمار ما لو حويته ‌ ‌ ‌ ‌ لهنئت الدنيا بانك خالد

ومعناه اصطلاحا فعل ينبيء عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على
الحامد او غيره سواء كان قولا باللسان او اعتقادا بالجنان او خدمة
بالاركان قال الشاعر

افادتكم النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

وهذا معنى الشكر لغة بابدال الحامد بالشاكر ومعناه اصطلاحا هو
صرف العبد جميع جوارحه فيما خلقت لاجله وهذا المعنى لا يكاد يوجد
إلّا في خواص الناس قال تعلى وقليل من عبادي الشكور والكلام في هذا
المقام شهير فلا يحتاج الى تسطير وقوله (الذي علمنا) في قوة التعليل
اذ ان تعليق الحكم بالمشتق يوذن بعلية ما منه الاشتقاق فهذا حمد مقيد
وفي افضليته على المطلق وعكسه خلاف واعلم ان الحمد يقع على السراء
والضراء بخلاف الشكر فعلى الاول فقط والحمد على الواجب واجب
وشكر المنعم واجب كل ذالك بطريق الشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة
القائلين بذلك بناء على قاعدتهم المنخرمة ان الحسن ما حسنه العقل والقبيح
ما قبحه العقل والصحيح مذهب اهل السنة وهو خلافه فلا يدرك ثواب
او عقاب إلّا من طريق الشرع قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وانما قدم المصنف البسملة على الحمد لحمل حديثها على البدء
الحقيقي وحمل حديث الحمد على البدء الاضافي لارجحية حديثها على حديثه
والابتداء الحقيقي ما لم يسبقه شيء والابتداء الاضافي ما سبق على
المقصود وان سبق بغيره واعلم انه لا يمكن لاحد ان يحصي الثناء عليه
تعالى كما قال عليه الصلاة والسلام لا احصي ثناء عليك انت كما
اثنيت على نفسك وما احسن قول بعضهم

اذا كان شكري نعمة الله نعمة   علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلّا بفضله وان طالت الايام وانفسح العمر

وذو المحبة الخالصة يستفرغ طاقته في الطاعة حسب الامكان ويبذل نفسه في خدمة مولاه الذي انعم عليه بهذه النعم الفاخرة والايات الباهرة فهو لم يخلق لمحض الطعم والشراب وإلّا فالبهايم اشد منه في ذلك واقوى ولا للباس وإلّا لشاركه الجماد قال تعالى وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدوني ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعموني والعبادة كما عرفها ارباب الفضل هي غاية التذلل والخضوع واعني بها العبادة الكاملة التي ينشا منها اشراق المحبة الخالصة وعلامة المحبة امتثال الاوامر واجتناب النواهي ولقد اجاد القائل

تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

(من العلوم) بيان مقدم على مبينه وهو (ما) والمراد بالعلوم المعلومات لا الادراكات لان المعلومات اي المسائل هي التي شانها ان تعلم (به) على حذف مضاف اي تعلمه اذ لا تكليف إلّا بفعل ومتعلقه (كلفنا) والتكليف الزام ما فيه كلفه وقيل طلب ما فيه كلفه ومن اللطائف الربانية قوله تعالى وما ارسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبين لهم اذ لو نزل بلغة غير قومه لكان عليهم كلفة شديدة في ذلك ولذلك نزل الفرقان بالعربية والتوراة بالعبرية والانجيل باليونانية والزبور بالسريانية كما نص على ذلك العلامة ابو عليان الازهري في كتابه اللؤلؤ المنضوم في مبادي العلوم نقلا عن الفنري على المواقف واعلم ان العلوم منها ما هو عيني ومنها ما هو كفائي فاما الواجب العيني فلا ينحصر في باب معين بل غاية القول فيه وقصاراه انه يجب على كل مكلف ان لا يقدم على

امر حتى يعلم حكم الله فيه من طهارة وصلاة وحج ونكاح وبيوع واجارة وغير ذلك ويكفي في ذلك سؤال العلماء عنها والتقليد فيها مجردا عن معرفة الدليل على خلاف في التوحيد ياتي واما الكفائي فهو الفقه والتفسير والحديث والعقائد وآلاتها وليس منها فلسفة ولا هيئة ولا عروض ولا منطق على الراجح خلافا لمن قال بوجوب تعلمه ورده الغزالي وممن نهى عن تعلمه الامام الباجي وعياض وابن العربي وابن الصلاح والنووي والجلال السيوطي وحمل النهي على الكتب المتشبثة باذيال الفلاسفة والمختلطة بمذاهبهم ومداركهم كالمواقف والمطالع والمقاصد ونحوها فهي محمل الخلاف واما كالشمسية ومختصر السنوسي وتهذيب السعد التفتازاني فلا ينبغي فيها جريان الخلاف بل ينبغي تعاطيها ويستحب استحبابا اكيدا كيف وقد نقل عن حجة الاسلام الغزالي انه قال من لا المام له بفن المنطق لا ثقة بعلمه وغيرها من المطولات يسوغ تناولها لذي الذوق السليم حيث تمكن من مذاهب اهل السنة وكان له قدم بها راسخ والى ذلك يشير العلامة الاخضري بقوله

والقولة المشهورة الصحيحة　　جوازه لكامل القريحة

ممارس السنة والكتاب　　ليهتدي به الى الصواب

وجملة (صلى وسلم) خبرية لفظا انشائية معنى كجملة الحمد المتقدمة والصلاة من الله تعالى هي الرحمة المقرونة بالتعظيم ومن الملائكة استغفار ومن الادميين دعاء والسلام هو التحية اللائقة به صلى الله عليه وسلم وقيل الامان واعترض بان ذلك غير ملائم لمقام النبوة لاقتضائه الخوف والنبي صلى الله عليه وسلم مطمئن بالمغفرة من ربه عز وجل فكيف ذلك والجواب انه يخاف مولاه تبارك وتعالى خوف هيبة واجلال

على حد قول الشاعر

اهابك اجلالا وما بك قدرة　　علي ولكن ملا عين حبيبها

وبمقدار التقوى يزداد الاجلال قال عليه الصلاة والسلام اني لاخوفكم من الله واختلف هل ينتفع عليه الصلاة والسلام بصلاتنا عليه اولا والراجح انه ينتفع بها كسائر الانبياء لكنه لا ينبغي التصريح بذلك إلا في مقام التعليم ولذلك قيل في المعنى

وصححوا بانه ينتفع　　بذي الصلاة شانه مرتفع
لكنه لا ينبغي التصريح　　لنا بذا القول وذا صحيح

والصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم واجبان عينا مرة في العمر ويندب ما زاد على ذلك فمن مات ولم يصل عليه غير معاند مات عاصيا وإلا مات كافرا ثم انه ينبغي ان لا يمل احد من الصلاة والسلام على النبيء صلى الله عليه وسلم وان تكرر ذكره مرارا في مجلس واحد او كتابة اسمه ولا ينبغي الرمز اليها بالحروف او نحوهما كما يفعله بعض من لا روية له ولا فكر وممن نص على ذلك المحقق الابياري في شرحه على مقدمة القسطلاني على صحيح البخاري ولا افراد الصلاة والسلام بالذكر عن الاخر ولا تقديم السلام عليها ويوخذ ذلك من قوله تعالى في تعليمه لعباده كيفية الصلاة والسلام على نبيه عليه الصلاة والسلام يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقوله (على محمد) تنازع فيه العاملان قبله فاعمل الثاني واهمل الاول ولم يضمر فيه لكون المعمول فضله ومحمد علم منقول من اسم مفعول حمد الرباعي واما الثلاثي فاسم مفعوله محمود وهذا اسمه تعالى وفي هذا قال بعضهم

وشق له من اسمه ليجله　　فذو العرش محمود وهذا محمد

ولم يطلق عليه تعالى محمد بالتشديد لان اسماءه تعالى توقيفية قال اللقاني في جوهرته

واختير ان اسماه توقيفيه　　كذا الصفات فاحفظ السمعيه

(وآله) يطلق على اهل بيته وعلى اتقياء الامة وعلى جميع الامة وهذا انسب بالمقام اذ المناسب في مقام الدعاء التعميم وهذا بمعنى قول بعضهم اتباعه في العمل الصالح وفي الحديث آل محمد كل تقي وقال محيي الدين ابن العربي

لبس التقى للنفس خير لباس　　يزهو به المسعود بين الناس

ان الشريف هو التقي المرتضى　　لا الهاشمي ولا بنو العباس

إلّا اذا اتقوا الاله فانهم　　اهل المكارم والندى والباس

فاسمع هذا ولا تغتر بما يتناقله بعض المتفوهين بترهات الكلام وخزعبلاته من المبالغة في الاشراف جدا وان غيروا وبدلوا في المذهب او فسقوا فذلك مذهب الشيعة اعني الطائفة الرافضية قال عليه الصلاة والسلام ان نبيكم واحد وان اباكم واحد وانه لا فضل لعربي على عجمي ولا لاحمر على اسود إلّا بالتقوى الاهل بلغت قال الاصمعي بينما انا اطوف بالبيت ذات ليلة اذ رايت شابا متعلقا باستار الكعبة وهو يقول

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم　　يا كاشف الضر والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا　　وانت يا حي يا قيوم لم تنم

ادعوك ربي حزينا هائما قلقا　　فارحم بكائي بحق البيت والحرم

ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه　　فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وانشا يقول

الا ايها المقصود في كل حاجة　　اليك شكيت الضر فارحم شكايتي

الا يا رجائي انت تكشف كربتي　　فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
اتيت باعمال قباح رديئة　　وما في الورى عبد جنى كجنايتي
اتحرقني بالنار ياغاية المنى　　فاين رجائي ثم اين مخافتي

ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم فرفعت راسه في حجري وبكيت فقطرت دمعة من دموعي على خده ففتح عينيه وقال من هذا قلت عبدك الاصمعي سيدي ما هذا البكاء وانت من اهل البيت اليس الله تعلى يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فقال يا اصمعي ان الله خلق الجنة لمن اطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا اليس الله تعلى يقول فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاؤلئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاؤلئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون اهـ من شرح نخبة الحافظ ابن حجر العسقلاني (وصحبه) بفتح اوله وسكون ثانيه اسم جمع لصاحب لا جمع اذ لم يسمع جمع على هاته الصيغة واما اصحاب فهو جمع لصحب بكسر الحاء ككبد واكباد وليس جمعا لصاحب لانه لا يقع ذلك إلّا شذوذا والصحابي من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مومنا به في حال حياته ومات على ايمانه ولو لم يره لعمى او لو يرو عنه شيئا ومن الصحابة عيسى عليه السلام والخضر والياس والملائكة الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم اما عيسى عليه السلام فهو ءاخر الصحابة من البشر الظاهرين واما الملائكة فهم باقون الى النفخة كما ياتي والخضر يموت عند رفع القرءان وقيل مات فالخضر والياس حيان على المعتمد واختلف

في الخضر هل هو نبي او ولي او رسول واما الياس فانه رسول بنص القرءان قال تعلى وان الياس لمن المرسلين (والمقتدي) اي المتبع لسنته وشريعته من المتلقين لحديثه واثره بالقبول والترحيب لا من الذين طمست منهم البصائر وخبثت منهم السرائر حتى انهم صاروا اذا قيل لهم قال سيدي فلان قالوا على الراس والعين وان قيل لهم قال عليه الصلاة والسلام تهاونوا بذلك وحسبوه هينا اؤلئك هم الاخسرون اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال عليه الصلاة والسلام لا يومن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال تعلى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وباتباع ءاثاره والجد في سيرته والعمل بمقتضى احاديثه يحصل الشرف الكامل ولذلك كان العالم افضل من الشريف ومن العابد قال العلامة العدوي في حواشي الرسالة (تنبيه) فضل العلم يفوق فضل الشرف كما ذكره الحافظ ابو نعيم في رسالة له اه وقال عليه الصلاة والسلام ان الله اذهب عنكم غيبة الجاهلية وفخرها بالاباء مومن تقي او فاجر شقي انتم بنو ءادم وءادم من تراب قال الشيخ ابو الحسن في شرح هذا الحديث ومعنى الحديث النهي عن التكبر بخصال الجاهلية من الكبر ونحوه ومن الفخر بالاباء لانه اذا كان الاصل واحدا من التراب الذي يوطا بالاقدام فكيف يتكبر ولا مزية للفرع بعضه عن بعض إلا من خصه الله بالتقوى واصطفاه بكرامة من عنده اه وقال عليه الصلاة والسلام في رجل تعلم انساب الناس علم لا ينفع وجهالة لا تضر وانما المطلوب من النسب هو تعلم ما ينتفع به منه من صلة الرحم كما قال عمر بن الخطاب رضي الله

تعلى عنه تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم اي قرابتكم فهذا القدر واجب على كل احد ومن هنا تعلم ان بعض المتسببين للعلم الباذلين جهدهم في رفع الانساب في كون هذا شريفا او غير شريف انما قصدهم بذلك الطمع والتملق برفعة جاهه عندهم فهذه جرحة تحط من قدرهم وشرفهم شعر

العبد حر ان قنع والحر عبد ان قنع
فاقنع ولا تقنع فما شيء يشين سوى الطمع

فقنع من باب خضع هو الطمع وقنع من باب سلم من القناعة نعم ان كان الاشراف اتقياء فنهم السادات ولا يعارض في ذلك إلا بارد الطبع جاهل وسياتي مزيد بسط لهذا المقام في الخاتمة ختم الله لنا ولكم بالسعادة واما فضل العالم فلا ينكره إلا اعمى البصر والبصيرة ويكفيهم فضلا قوله تعلى شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة واولوا العلم فانظر كيف بدأ بنفسه وثنى بملائكة قدسه وثلث باهل العلم وقوله تعلى يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقوله تعلى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله تعلى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله عليه الصلاة والسلام من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده قال العلماء وفي هذا الحديث سر لطيف وهو ان من فقهه الله في الدين يموت على الاسلام لان النبي عليه الصلاة والسلام اخبر بان الله يريد به خيرا والكافر لا يريد به خيرا اه وقوله عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء وقوله عليه الصلاة والسلام نظرك الى وجه العالم خير لك من الف فرس تتصدق بها في سبيل الله وسلامك على العالم خير لك من عبادة الف سنة وقال لفقيه واحد اشد على الشيطان

من الف عابد وقال العالم أمين الله سبحانه وتعلى في الارض وقال صنفان من امتي اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء وقال خيار امتي علماؤها وخيار علمائها رحماؤها وقال فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وقال فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وقال الامام علي كرم الله وجهه

ما الفخر إلّا لاهل العلم انهم   على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه   والجاهلون لاهل العلم اعداء
ففز بعلم تعش حيا به ابدا   الناس موتى واهل العلم احياء

وفي هذا القدر كفاية وإلّا فما ورد في فضلهم كثير وشهير لا يحصره تعبير او تسطير شعر

وليس يصح في الاذهان شيء   اذا احتاج النهار الى دليل

قال الناظم (وبعد) هي ظرف مبني على الضم لحذف المضاف اليه ونية معناه ولا يخفى ان هذه حالة بنائها من حالاتها الاربع فتعرب في الباقي والواو نائبة عن اما وهي عن مهما والظرف من معمولات الجزاء على الاصح والتقدير مهما يكن من شيء فاقول بعد ما تقدم العون من الله الخ والفاء من قوله (فالعون) رابطة للجواب وموضع اما بعد انها كلمة يوتى بها للانتقال من اسلوب الى آخر فلا تقع بين كلامين متحدين ولا اول الكلام ولا آخره ثم ان وقعت بين كلامين متغايرين بينهما مناسبة كلية سمي تخلصا وان كان بينهما عدم مناسبة بالكلية سمي اقتضابا محضا وان كان بينهما نوع مناسبة كما هنا سمي اقتضابا مشربا بتخلص ومثال الاقتضاب قول الشاعر

لو راى الله ان في الشيب خيرا   جاورته الابرار في الخلد شيبا

كل يوم تبدي صروف الليالي خلقا من ابي سعيد غريبا

ومثال التخلص قوله

امطالع الشمس تبغي ان تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود

ويستحب الاتيان بها اقتداء بالنبيء عليه الصلاة والسلام لانه كان ياتي بها في خطبه ومكاتباته وفي اول من تكلم بها خلاف اشار له بعضهم بقوله

جرى الخلف اما بعد من كان بادئا بها خمس اقوال وداوود اقرب

وكانت له فصل الخطاب وبعده فقس فسحبان فكعب فيعرب

والعون مبتدا و (من الله) متعلق بمحذوف خبره و (المجيد) صفة من مجد اذا زاد فهو اسم من اسمائه تعالى بمعنى انه يزيد النعم ويواصلها والعون هو خلق القدرة على الفعل مطلقا والتوفيق هو خلق القدرة على الفعل المحمود وقد يترادفان والانسب هنا الترادف (في نظم ابيات) اي تاليفها على وجه مخصوص وابيات جمع بيت وهو جمع قلة وضع موضع جمع الكثرة قال ابن مالك

وبعض ذي بكثرة وضعا يفي كارجل والعكس جاء كالصفي

ولا يقال في ابيات الشعر بالكسر بيوت وكان نكتة المصنف في تعبيره بجمع القلة انها (للامي) فهي قليلة بالنسبة لغيره والامي من لا يعرف كتابة ولا قراءة والمراد به هنا من يجهل ما في هذا الكتاب والعامل في الجار والمجرور (تفيد) وانما عداه بالحرف مع انه يتعدى بنفسه لضعفه بتقدم معموله عليه فاللام مقوية للعامل حالة كون الابيات مستعملة (في عقد الاشعري) اي فيما جزم به من العقائد وهو ابو الحسن علي بن اسماعيل من ذرية ابي موسى الاشعري الصحابي رضي الله عن الجميع وهو امام السنة ونور الامة مقدم على غيره كابي منصور

الماتريدي قيل سمي اشعريا نسبة الى جده اشعر وقيل لاشعر ولد به
قال الجلال المحلي في شرح جمع الجوامع ولا التفات لمن تكلم فيه بما هو
بريء منه اه وانما اضيفت العقائد للاشعري رضي الله عنه لانه امامها
وصاحب الباع واليد الطولى فيها والتعليل بانه واضعها فيه نظر لان العقائد
قرآنية لا اصطلاحية ولانه سبقه بالتاليف في هذا الفن كثير من
الايمة كمالك فقد الف فيه رسالة وغيرها (وفقه مالك) اي مذهب
مالك واصحابه في فروع الفقه ومالك هو امام الايمة وامام دار الهجرة
اخذ العلم عنه شيوخه واخذ عنه الشافعي فقد قال رضي الله عنه مالك
شيخي وعنه اخذت العلم واخذ عنه ابو حنيفة كما اثبت ذلك الجلال
السيوطي في بعض مؤلفاته واحمد تلميذ الشافعي فهو شيخ شيخه (وفي
طريقة) الامام (الجنيد) امام الصوفيـة (السالك) هو من صرف
همته لله وقطعها عما سواه ويعمل على تصفية نفسه من الكدرات
ويحثها على فعل العبادات والطاعات قيل ان طريقة الجنيد هي اسلم طرق
التصوف لكونها خالية عن الشبهات والبدع ومن كلامه رضي الله عنه
الطريق الى الله تعالى مسدود إلّا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الجلال المحلي ولا التفات لمن رماه في جملة الصوفية بالزندقة
عند خليفة السلطان حتى امر بضرب اعناقهم فامسكوا إلّا الجنيد فانه
تستر بالفقه وكان يفتي على مذهب ابي ثور شيخه وبسط لهم النطـع
فتقدم من آخرهم ابو الحسن النوري للسياف وقال له لم تقدمت فقال
اآثر اصحابي بحياة ساعة فبهت وانهى الخبر للخليفة فردهم الى القاضي
فسال النوري عن مسائل فقهية فاجابه عنها ثم قال وبعد فان لله عبادا
اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله الى آخر كلامه فبكى

القاضي وارسل يقول للخليفة ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم فخلى سبيلهم رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم ثم قتل من الصوفية الحسين الحلاج في سنة تسع وثلاثمائة من سني الخليفة المذكور وهو ابو الفضل جعفر المقتدر اه والمراد بالقاضي المذكور هو القاضي اسماعيل المالكي مكث العلم في اهل بيته ثلاثمائة سنة واجتمع لهم من الفضل والجاه والمال ما لم يجتمع لغيرهم روي ان لهم بموضع واحد خمسمائة بستان واتفق انه مر القاضي اسماعيل يوما على المبرد فلما رآه قام له وقبل يده ثم انشد

كريم اذا ما اتى مقبلا حللنا الحباء وابتدرنا القيام

فلا تنكرن قيامي له فان الكريم يجل الكرام

قلت طريقة الجنيد واصحابه قويمة حقا ولكنه يتبدل الحال ويتغير فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلّا من تاب وآمن وعمل صالحا ومهما شنعت فيما ياتي في بعض مبتدعات اهل الطرق فانما الكلام في الطائفة التي بدلت وغيرت في اصل الطريقة ولست اريد القدح من اصلها وإلّا فهي مبنية على مقتضى العمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي ثمرة الظاهر

(مقدمة لكتاب الاعتقاد معينة لقارئها على المراد)

هذه ترجمة مسجعة وليست نظما والمقدمة في اللغة ما تقدم من الجيش وفي الاصطلاح على قسمين مقدمة الكتاب وهي ما قدمت امام المقصود لارتباط له بها وانتفاع بها فيه كما هنا ومقدمة علم وهي ما يتوقف عليه الشروع في الفن المشروع فيه وهي مباديه العشرة ولم يذكرها المصنف فلنذكرها نحن تتميما للفائدة فالمبادي العشرة هي المنظومة في قول بعضهم

ان مبادي كل فن عشرة الحد والموضوع ثم الثمرة
وفضله ونسبة والواضع والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ومن درى الجميع حاز الشرفا

فحد علم الكلام هو علم يقتدر به على اثبات العقائد الدينية مكتسب من ادلتها اليقينية وموضوعه هو ذات الله تعالى من حيث ما يجب وما يستحيل وما يجوز وذات الرسل كذلك والممكن من حيث انه يتوصل به الى وجود صانعه والسمعيات من حيث اعتقادها حقا وثمرته معرفة الله تعالى بالادلة القطعية والسعادة السرمدية وفضله انه اشرف العلوم لكونه متعلقا بذاته تعالى وذات رسله عليهم الصلاة والسلام وما يتعلق بذلك والمتعلق يشرف بشرف المتعلق ونسبته انه اصل العلوم الدينية وما سواه فرع عنه ولقد احسن القائل

ايها المقتدي لتطلب علما كل علم عبد لعلم الكلام
تطلب الفقه كي تصحح حكما ثم اغفلت منزل الاحكام

وواضعه ابو الحسن الاشعري رضي الله عنه واتباعه وابو منصور الماتريدي رضي الله عنه واتباعه بمعنى انهم دونوا كتبه وردوا شبه المعتزلة واهل الالحاد والا فهو موجود من لدن آدم الى يوم القيامة كما تقدم التنبيه على ذلك واسمه علم التوحيد او علم العقائد او علم الكلام او علم اصول الدين واستمداده من الادلة النقلية والعقلية وحكمه الوجوب العيني على كل مكلف ومسائله قضاياه الكلية الباحثة عن الواجب والجائز والمستحيل فهذه المبادي العشرة مقدمة العلم لانه يتوقف الشروع في الفن عليها وكل فن لا بد له من هذه المعاني العشرة واما التي ذكرها المصنف فهي مقدمة كتاب بدليل قوله (معينة لقاريها على المراد) اى المقصود واسناد

الاعانة اليها مجاز عقلي وإلّا فالاعانة من الله تعالى لا غير قال الشاعر

اذا لم يكن عـون من الله للفتى فاول ما يجني عليه اجتهـاده

وما احتوت عليه هذه المقدمة اربعة امور الحكم العقلي واقسامه واول واجب على المكلف وشروط التكليف والحكم عند المناطقة هو اثبات امر لامر او نفيه عنه وعند الاصوليين هو خطاب الله تعلى المتعلق بافعال المكلفين من حيث ما يعرض لها من ايجاب وندب وكراهة وتحريم واباحة وصحة وفساد وهو الذي عناه المصنف فيما ياتي بقوله الحكم في الشرع خطابا ربنا الخ وعند اهل العرف العام اسناد امر لامر ايجابا او سلبا وعند اهل البيان هو اسناد كلمة او ما يجري مجراها الى اخرى بحيث يفيد الحكم ان مفهوم احداهما ثابت لذات الاخرى والمراد به هنا الاول لان دعائم الكلام بنيت على اصول المنطق حتى ان من لم يكن له بصيرة تامة في فن المنطق لا يحرر براهين التوحيد وادلته على وجه التحقيق ولا يتمكن كمال التمكن من دفع الشبه ورد الشكوك فلذلك قيل انه فرض كفاية ويشهد لكون المراد بالحكم مـا ذكرنا قوله (وحكمنا) معاشر الكلاميين الذي بنينـا عليه عقايد التوحيد الاتية (العقلي) وهو ما استقل بالحكم فيه العقل ولم يستند الى امر خارج ايجابا كقولك العالم حادث او سلبا كقولك العالم ليس بقديم فخرج الحكم العادي وهو حكم عقلي مستند فيه الى عادة وتجربة ايجابا نحو الطعام يشبع او سلبا نحو الخبز الفطير ليس بسريع الانهضام والحكم الشرعي وهو حكم عقلي مستند فيه الى امر شرعي ايجابا نحو الصلاة واجبة او سلبا نحو اكل الربا ليس بحلال فالاقسام ثلاثة والحاكم في كل هو العقل وقد عرفت ذلك والصحيح ان الامور الاصطلاحية

ليس لها معان غير تلك المفهومات فهي حدود لا رسوم فقوله (قضية) جنس في التعريف والقضية قول يحتمل الصدق و الكذب و المراد حكمها وقوله (بلا وقف) على عادة او وضع فصل اخرج القسمين الاخيرين اي ملابسة لعدم التوقف على الامرين المذكورين و المراد بالوضع التعلق التنجيزي او تبيينه ومصدر الاول ربنا والثاني نبينا عليه الصلاة والسلام و (جلا) اي ظهر تكملة للبيت ثم اشار الى اقسام الحكم العقلي وهي ثلاثة بقوله (اقسام مقتضاه) اي مقتضى الحكم العقلي والحكم هو النسبة الخارجية ومقتضاه هو المحكوم به مثلا قولنا الصلاة واجبة قضية الحكم فيها اثبات الوجوب ومقتضاه هو الوجوب (بالحصر) اي بالعد (تماز) اي تظهر وتتبين (وهي) اي الاقسام ثلاثة (الوجوب) و (الاستحالة) و (الجواز) قدم الوجوب لشرفه وثنى بالاستحالة لكونها ضده وضد الشيء اقرب خطورا بالبال قال الامام السنوسي في شرح عقيدته واعلم ان في معرفة هذه الاقسام الثلاثة وتكريرها تانيسا للقلب بامثلتها حتى لا يحتاج الفكر في استحضار معانيها الى كلفة اصلا مما هو ضروري على كل عاقل يريد ان يفوز بمعرفة الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام بل قال امام الحرمين وجماعة ان معرفة هذه الاقسام الثلاثة هي نفس العقل فمن لم يعرف معانيها فليس بعاقل اه وامام الحرمين المذكور شافعي المذهب بخلاف الاشعري والقاضي ابي بكر الباقلاني فانهما مالكيان نص على ذلك المحقق الدسوقي ثم اشار الى تعاريفها على الترتيب المذكور فقال (فواجب) مبتدا سوغ الابتداء به وقوعه في معرض التقسيم وهو يرجع الى التخصيص لان مسوغات الابتداء بالنكرة على تعدادها ترجع الى التخصيص والتعميم قال ابو حيان في منظومة له في النحو

وكل ما ذكرت في التقسيم يرجع للتخصيص والتعميم

وقوله (لا يقبل النفي بحال) خبر على حذف ما الموصولة والباء ظرفية يعني ان الواجب هو ما لا يمكن في العقل انتفاؤه في حال من الاحوال (وما ابى الثبوت) خبر مقدم و (عقلا) تمييز و (المحال) مبتدا مؤخر اذ هو المحدث عنه ولا لبس ولا ضرر في تقديم الخبر قال في الخلاصة

والاصل في الاخبار ان تؤخرا وجوزوا التقديم اذ لا ضررا

اي ان المستحيل هو ما لا يمكن ثبوته في العقل بحال ضد الواجب (وجائزا) مفعول اول لسم و (ما) مفعول ثان باسقاط الخافض و (قبل الامرين) الثبوت والنفي صلة الموصول و (سم) بمعنى علم اي ان الجائز هو ما يمكن في العقل ثبوته ونفيه (للضروري) نسبة الى الضرورة (والنظري) نسبة الى النظر (كل) من الاقسام الثلاثة (قسم) فالاقسام ستة والضروري هو ما يدرك من غير تامل وفكر والنظري هو ما لا يمكن ادراكه بدونهما كما قال الاخضري

والنظري ما احتاج للتامل وعكسه هو الضروري الجلي

مثال الواجب الضروري الجزء اعظم من الكل والنظري مولانا قديم ومثال المستحيل الضروري الجسم ليس بمتحرك ولا ساكن والنظري كون ذات مولانا جرما ومثال الجائز الضروري اتصاف الجسم بخصوص الحركة والنظري ان الله تعالى جائز عليه خلق الخير والشر وقد يصير الجائز واجبا لتعلق علم الله بوقوعه ككفر ابي جهل ويسمى الواجب العرضي ومستحيلا لتعلق علم الله بعدم وقوعه كايمانه ويسمى المستحيل العرضي (اول واجب) اعتقاده شرعا (على من كلفا) هو البالغ العاقل وهل يشترط فيه بلوغ الدعوة بناء على ان الفترة تدخل

العقائد وعلى هذا فاهل الفترة ناجون بفترتهم واخبار النبي عليه الصلاة والسلام على ان بعضهم في النار لاسباب غير ذلك لانعلمها اولا بناء على ان الفترة انما هي في الفروع فهم غير معذورين بذلك والراجح الاول قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والخلاف مبني على انه هل يشترط بلوغ دعوة اي نبي او نبي زمانه والتحقيق ما نقله الملوي عن الابي في شرح مسلم خلافا للنووي انه لا بد من بلوغ دعوة الرسول الذي ارسل اليه وعلى هذا فالفترة بفتح الفاء لبني اسرائيل ما بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام وللعرب ما بين اسماعيل ونبينا عليهما الصلاة والسلام فهم ناجون ولو بدلوا وغيروا وعبدوا الاصنام وعلى التحقيق فابواه عليه الصلاة والسلام ناجيان بل جميع آبائه وامهاته كذلك وثبت ذلك بادلة نقلية كما قال تعالى وتقلبك في الساجدين وقوله عليه الصلاة والسلام لم ازل انتقل من الاصلاب الطاهرات الى الارحام الزاكيات وغير ذلك من الاحاديث البالغة مبلغ التواتر قال العلامة البيجوري في شرح الجوهرة واما آزر فكان عم ابراهيم وانما دعاه بالاب لان عادة العرب تدعو العم بالاب واما ما نقل عن ابي حنيفة في الفقه الاكبر من ان والدي المصطفى ماتا على الكفر فمدسوس عليه وحاشاه ان يقول في والدي المصطفى ذلك وغلط منلا على قاري يغفر الله له في كلمة شنيعة قالها ومن العجائب ما نسب له مع ذلك من ايمان فرعون فالحق الذي نلقى الله عليه ان ابويه صلى الله عليه وسلم ناجيان على انه قيل انه تعالى احياهما حتى آمنا به ثم اماتهما لحديث ورد بذلك وهو ما روي عن عروة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ربه ان يحيي له ابويه فاحياهما فآمنا به ثم اماتهما قال

السهيلي والله قادر على كل شيء له ان يخص نبيه صلى الله عليه وسلم بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته اه وقد انشد بعضهم فقال

حبا الله النبي مزيد فضل   على فضل وكان به رؤوفا
فاحيا امه وكذا اباه   لايمان به فضلا منيفا
فسلم فالقديم بذا قدير   وان كان الحديث به ضعيفا

ولعل هذا الحديث صح عند اهل الحقيقة بطريق الكشف كما اشار له بعضهم بقوله

ايقنت ان ابا النبي وامه   احياهما الرب الكريم الباري
حتى له شهدا بصدق رسالة   صدق فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه   فهو الضعيف عن الحقيقة عاري

وقد الف الجلال السيوطي فيما يتعلق بنجاتهما مؤلفات كثيرة اه فتامل المقام وتعريف المكلف بما تقدم غير ظاهر في الجن والملائكة فهم مكلفون باصل الخلقة اما بسماع كلام الله تعلى او بخلق علم ضروري فيهم (ممكنا من نظر) اي يمكنه ذلك فلو مات فجأة بمجرد البلوغ وقبل النظر لم ياثم والنظر هو الفكر المرتب في النفس على طريق يفضي الى العلم في العلميات او الظن في الظنيات والعقايد يقينية والفروع ظنية والطريق في العقايد الدينية هي القياس المنطقي المحتوي على شرائط الانتاج فلا يدرك ذلك الادراك التام إلا من له المام بفن المنطق وقد قرر اهل الكلام ان علم العقايد الى حد يصل معه الى سلامة خاطره من الشكوك والشبه واجب عينا والى حد دفع الشبه ودرء الشكوك والذب عن شعائر الدين فرض كفاية فالمنطق فرض كفاية على كل من تاهل للذب عن شعائر الدين ولم يحتجه الصحابة ومن حاذاهم

لارجحية عقولهم واستنارتها بقرب عهد النبوة فاسمع هذا ولا تلتفت لغيره فانكار السيوطي لفن المنطق في غير محله ثم انه اختلف هل اول واجب على المكلف النظر في المعرفة او المعرفة نفسها والحق ان الخلف لفظي فالاول نظر الى الوسائل والثاني الى المقاصد وعلى الثاني درج المصنف فقال (ان يعرفا الله والرسل) الالف في المضارع من كلام الناظم للاطلاق كالف كلفا قبله والمعرفة هي الجزم المطابق للواقع عن دليل فلا يكفي في العقايد الظن وهو الاخذ بالطرف الراجح والوهم وهو الاخذ بالطرف المرجوح والشك وهو الاخذ بالطرفين على حد سواء والجهل المركب وهو جهل المرء بانه جاهل كما قال بعضهم

جهلت وما تدري بانك جاهل ومن لي بان تدري بانك لا تدري

ولك ان تقول في تعريفه هو الجزم الغير المطابق للواقع واختلف في التقليد قيل لا يكفي بل يجب النظر واليه ذهب جمهور اهل العلم كالشيخ ابي الحسن الاشعري والقاضي وامام الحرمين وحكاه ابن القصار عن مالك وذهب غير الجمهور الى ان النظر ليس شرط صحة في الايمان بل شرط كمال وعليه فالتقليد جائز واليه ذهب القاضي ابن رشد والامام القشيري وابو حامد الغزالي وجماعة ورجح بعض العلماء الاول على انه يكفي في ذلك النظر الاجمالي فلا يلزم عليه خروج العوام وهم جل الامة عن الايمان ومن اللطايف ما اجاب به الاعرابي الاصمعي عن سؤاله بم عرفت ربك فقال البعرة تدل على البعير واثر الاقدام تدل على المسير فسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج الا تدل على اللطيف الخبير اما النظر على طريق المتكلمين من تحرير الادلة وتدقيقها ودفع الشكوك ورد الشبه ففرض كفاية كما تقدم فيجب على اهل كل قطر اقامة

واحد فيه اهلية لذلك نص على ذلك شيخنا الشيخ محمد بخيت قاضي الاسكندرية في كتابه القول المفيد وهناك قول ثالث بحرمة النظر والاشتغال بعلم الكلام نسب الى الشافعي وغيره من ايمة السلف وحمل على من ليس فيه اهلية للنظر فيخشى عليه الوقوع في الضلال وانما قيد المعرفة (بالصفات) لان معرفة ذاته تعلى وكنهه متعذر قال المرتضى كرم الله وجهه

العجز عن درك الادراك ادراك والبحث عن سر كنه الذات اشراك

واختلف هل نعلمه في الاخرة او لا واما حقيقة ذات الرسل فنحن مكلفون بمعرفتها لما اننا مكلفون بالجزم بتحقق بشريتهم وجواز الاعراض عليهم و (مما) بيان للصفات و (عليه) معمول (نصب) اي اقام (الايات) اي الادلة فصفاته تعالى الكمالية لا تتناهي ولكن ما نصب عليه الادلة من وجوب العشرين صفة الاتية واستحالة اضدادها وجواز فعل كل ممكن وتركه وما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام من الصفات الاتية يتعين علينا الايمان به تفصيلا وما لم ينصب عليه دليل من الشارع من صفاته تعلى او صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام يتعين علينا اعتقاده اجمالا قال في وسيلة العبيد

وما عليه عينا الدليل قام ففيه يلزم التفصيل
وغيره فاعلمه بالاجمال كالله ذو الكمال والجلال

ثم اشار الى شروط التكليف وهي اربعة بقوله (وكل تكليف) من التكاليف الشرعية (بشرط العقل) اي ملابس له والشرط هو ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته والعقل ملكة

في النفس بها تستعد لادراك العلوم الضرورية والنظرية فهو عرض وقيل جوهر ومحله القلب على الصحيح والقلب شكل صنوبري فالنائم والسكران والساهي والمغمى عليه والمجنون خارجون عن ربقة التكليف (مع البلوغ) وهو قوة تحدث للنفس تخرج بها عن حالة الطفولية الى حالة الرجولية وبقي على المصنف بلوغ الدعوة وعدم الالجاء والاكراه والملجا من لا مندوحة له عن الفعل والمكره من اجبر عليه ولما كانت قوة البلوغ لا تكاد تعرف لخفائها ذكر لها خمس علامات فقال ويثبت البلوغ (بدم) حيض (او حمل) اي عند تحققه ويتحقق الحمل بمضي اربعة اشهر لانه فيها يتحرك المولود وهذان في حق المراة (او بمني) وله تدفق ورائحة طلع او عجين (او بانبات الشعر) اي شعر الوسط الخشن لا الزغب قيل ويكفي في ذلك النظر الى مرءاة تسامت الشعر وانكره بعضهم قائلا انه كالنظر للعورة بل هو نظر لها وهو لا يجوز لغير ضرورة ويكره نظر فرج الزوجة كما ذكره الفقهاء واللائق بصاحب المروءة التنزه عن ذلك مطلقا وكان الامام علي رضي الله عنه طول عمره لم ير سوأة قط حتى انه لما خرج لمقاتلة عمرو بن العاصي رضي الله عنه فيما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم حينئذ من النزاع كشف عنه عمرو رضي الله عنه عورته فاعرض عن قتاله لذلك ولم ينظر اليه والى ذلك يشير ابو فراس الحمداني بقوله

ولا خير في دفع الردى بمذلة   كما ردها يوما بسوءته عمرو

ومن اغرب البدع واسمجها التي تفعل في وطننا في هذا العصر انهم تواطؤوا على جعل الحصة من الارض العروشية تثبت بالبلوغ ويعتمدون في ذلك خصوص الشعر ويكشفون على من ارادوا منه ذلك وما ذلك إلّا من

نزع الحياء من وجوههم وضعف عقولهم ولا ضرورة لهم في ذلك لامكان التواطي على سن مخصوص ومن نهاهم عن هذه المحدثات وما شاكلها قالوا الم ينهنا قبلك سيدي فلان او فلان من مشائخ طرقهم حتى تحيرت منا الافكار في دعواهم ومن مخاطباتي لهم

يا قوم ما لي اراكم في جهالتكم   كقوم موسى طغوا فهالهم صغر
ستندمون ندامة الفرزدق اذ   غدت نوار بتاتا صار يستعر

الى ان قلت في وصفهم

اذا راوا حبر علم استفزوا به   ولو اتاهم بن عثمان او عمر
هذا الذي ترك العلوم خامدة   وافسد القطر حتى عمه الضجر
جنت نفوسنا عن عز لنا سلفا   كجنتي سبا اذ بدل الشجر

وهذه الابيات من قصيدة لنا طويلة ادرجتها في جريدة كوكب افريقيا سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة والف بعنوان (نظرات او عبرات في النفس والعقل والعلم والجهل) فيها ما يزيد عن الاربعين بيتا ومما قلت في العلم والجهل منها

والعقل تصلحه العلوم والحكم   وليس تصلحه الاصال والبكر
الى ذرى المجد ترتقي النفوس به   ودون ذاك مراتب لا تنحصر
يبصر المرء في الامور مطلعا   حتى يرى العلم هو الكوكب النير
والساري في الجهل كالساري بذي نفق   ففاته الازهران الشمس والقمر
والجهل صاحبه دوما لا يسترة   كصاحب الليث قد ينوبه الضرر
اذا تولى عليه ابدى سلطته   فكان في كل ما يختاره عكر
سبحن من جعل الانسان مختلفا   هذا عليهم وذا بالجهل يستتر

وطالع هذه القصيدة

يا بدر مالك بالانجاء تفتخر — الم تكن بطلوع الشمس تستتر
الشمس تطلع في النهار اجمعه — وانت في غالب الليالي تستتر
يجامع البدر كل طالع لها — وطالع الشمس لا يبقي ولا يذر

وختمتها بقولي

وهذه عبرات كنت اسكبها — اذاعها قالب الانظار والخبر
لا زلت انشدكم في خدمة الوطن — كفى شهيدا على الصحف والطرر
ان عشت يشهد لي القرطاس والقلم — وان انا مت فالتاريخ والعبر

ولكنني لا زلت اتمثل بقول القائل

لقد اسمعت اذ ناديت حيا — ولكن لا حياة لمن تنادي

(او) بتمام (ثمان عشرة حولا) وقيل بالدخول فيها وهذه الثلاثة بين الرجل والمرأة ويجري في الخنثى المشكل جميع العلامات احتياطا بهذه العلامات الخمس (ظهر) البلوغ اي يظهر ويتحقق

(كتاب ام القواعد وما انطوت عليه من العقائد)

ام القواعد هي الشهادتان كما ياتي في قول المصنف قواعد الاسلام خمس واجبات الخ وانما سميت بذلك لاندراج جميع العقائد تحتها كما ياتي وذلك ظاهر من الترجمة (يجب لله) اي في حقه اعتقاد ثبوت عشرين صفة على كل مكلف شرعا ببراهينها التي اقيمت عليها وهي على اربعة اقسام نفسية وسلبية ومعاني ومعنوية قال العلامه الدسوقي واعلم ان العشرين المذكورة بعضها دليله عقلي وهو ما عدى السمع والبصر والكلام ولوازمها وبعضها دليله نقلي وهو الستة المذكورة واما ما عدا العشرين مما يجب له تعالى فدليله نقلي فقد ورد في عدة احاديث ما معناه ان لله تعالى كمالات لا نهاية لها وان العشرين صفة المذكورة على اربعة

اقسام قسم عدمي اتفاقا اي مفهومه عدم شيء وهو صفات السلوب وقسم موجود في خارج الاعيان اتفاقا بحيث تمكن رؤيته لو ازيل عنا الحجاب وهو صفات المعاني وقسم له ثبوت في نفسه ولم يرتق لمرتبة الوجود في خارج الاعيان فلا تمكن رؤيته وهو الصفات المعنوية وقسم اختلف فيه وهو النفسية كما ياتي اه ومراده بالاختلاف في النفسية هل هي عين الذات فليست بصفة او غيرها فهي صفة كما ياتي واعلم ان هذا الفن منقسم على ثلاثة اقسام الهيات وهي ما يتعلق بذات الله تعالى من الواجبات والجائزات والمستحيلات ونبويات وهي ما يتعلق بالرسل عليهم الصلوة والسلام كذلك وسمعيات وهي ما ورد على لسان الشرع مما ياتي من الحوض والصراط والميزان والشفاعة وغير ذلك وقدم الناظم القسم الاول لاشرفيته عما سواه ثم ان صفات الله تعالى على قسمين ما يجب الايمان به تفصيلا وهي العشرون صفة المذكورة وما يجب الايمان به اجمالا وهي كل صفة تدل على كماله تعالى وهذا القسم الثاني لا نكلف بتفصيله لانه يلزم على ذلك التكليف بما لا يطاق وهو غير واقع على المشهور وعلى كل حال لا نؤاخذ بعدم تفصيله بفضل الله تعالى ورحمته والصفة النفسية واحدة وهي (الوجود) ومعنى كونها نفسية انها لا تعقل ولا تتصور الذات بدونها وعد الوجود صفة ظاهر على قول الامام الرازي انه زائد على الذات واما على قول الاشعري انه عين الذات فعده صفة تسامح باعتبار الوصف اللفظي كقولنا ذات مولانا موجودة والحكم على الشيء وصف له في المعنى ويلزم من حمل الموجود حمل اشتقاق على الذات حمل الوجود عليها حمل ذو هو واعلم انها اتفقت جميع الملل والنحل مومنها وكافرها على وجود الصانع ولا

عبرة بقول جماعة من جهلة الفلاسفة بان حدوث العالم امر اتفاقي بدون صانع لانه بديهي البطلان ولذا لما الف ابن القيم رضي الله عنه مائة حمل بعير في علم التوحيد وزفها للسلطان ومشى العلماء معها سالته امرأة وهي لا تعرفه فاخبرها فقالت افي الله شك فقال لا لكن ربما تطرا شبهة فتدفع بهذه الكتب فقالت كل من جادل في الله خرقت عينه باصبعي كذا ذكره الشرقاوي في حاشيته على الهدهدي واعلم ان الجماعة الصوفية وقعت لهم الفاظ توهم الوجود في الحوادث حتى انهم يقولون ما في الجبة إلّا الله ما في البيت إلّا الله وحكم عليهم العلماء الاقدمون بالكفر وممن افتى بقتل الحلاج حين قال انا الله الشيخ الجنيد امام الصوفية رضي الله عنهم وذهب جماعة من المتاخرين الى ان لهم كلاما ينبغي تاويله لان لهم حالات لا يملكون فيها عقولهم وللشيخ ابي مدين دفين تلمسان رضي الله عنه في هذا المعنى

فقل للذي ينهى عن الوجد اهله   اذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا
اذا اهتزت الارواح شوقا الى اللقا   نعم ترقص الاشباح ياجاهل المعنى

الى ان قال

وصن سرنا في سكرنا عن حسودنا   وان انكرت عيناك شيئا فسامحنا
فانا اذا طبنا وطابت عقولنا   وخامرنا خمر الغرام تهتكنا
فلا تلم السكران في حال سكره   فقد رفع التكليف في سكرنا عنا

قلت ما قاله ابو مدين رضي الله عنه صحيح لكن هذا بالنسبة لمن غلبت عنه المحبة حتى انه لم يكن في عقله كما يلوح من كلامه فهو حينئذ ليس في ربقة التكليف وهذا لخصوص صاحب هاته الحالة فلا يجوز لتلامذته الذين هم في رياض عقولهم ولم تجتنب منهم الاقتداء بمن

اتصف بذلك ما دام على تلك الحالة وبهذا اغتر اناس فزعموا ان
الرقص والصراخ والتصفيق حيث اشتهر من بعض الصوفية فهو جائز
لتلامذتهم قال الاخضري

والرقص والصراخ والتصفيق عمدا بذكر الله لا يليق
وانما المطلوب في الاذكار الذكر بالخشوع والوقار
فقد راينا فرقة ان ذكروا تبدعوا وربما قد كفروا
وصنعوا في الذكر صنعا منكرا صعبا فجاهدهم جهادا اكبرا

وما احسن ما انشده صاحب المدخل

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاؤك اذ غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب ولا اختباط كان قد صرت مجنونا
بل التصوف ان تصفو بلا كدر وتتبع الحق والقرءان والدينا
وان ترى ظاهرا لله مكتئبا على ذنوبك طول الدهر محزونا

وممن سمعنا بهم في هذا الزمان من الطوائف المنتسبة للصوفية الذين
تنوعوا في البدع والمحدثات الشنيعة بل انهم ياتون بالمنكرات الفضيعة
حتى انهم في حرمات صلاتهم المردودة يصيحون ويرقصون ويضربون
بعضهم بعضا وربما سبوا الدين القويم وكفروا بربهم الكريم فرقة
ينبغي لنا التحاشي عن التصريح باسمها استغناء بذكر رسمها فهم لا زالوا
الى هذا الوقت يتطورون في انواع الفواحش وقد بلغني ان من انكر
عليهم ذلك رموه بالزندقة فكانوا كما قيل

شكونا اليهم خراب العراق فعابوا علينا شحوم البقر
فكانوا كما قيل فيما مضى اريها السهى وتريني القمر

حتى اذا لم تجدهم نفعا كل الاعذار وتعطلت فى وسائل المغالطة منهم

الافكار واختل منهم ركن العناد واظهر عليهم الفساد تعـذروا بسلب عقولهم في تلك الحالة وهذا عذر اقبح من الذنب فان كان ذلك كذلك فيجب ترك هذه الطريقة راسا ويحرم تعاطيها فانا لله وانا اليه راجعون والى مثل هاته الطائفة المضلة يشير ابن الفارض بقوله

تعرض قوم للغرام واعرضوا   بجانبهم عن صحتي فيه واعتلوا
فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم   وما ضعنوا في السير عنه وقد كلوا
وعن مذهبي لما استحبوا العمى على الـ   ـهدى حسدا من عند انفسهم ضلوا

وما اجدر صاحب هاته الطريقة ان يقال فيه

يمشي وقد نصبت عليه عمامة   كالبرج لكن فوق تل نفاق

هذا والمسموع ان طريقة شيخه سالمة من ذلك كله وبالجملة فكل طائفة ادعت ما يخالف الشرع القويم والصراط المستقيم فهي على شفا حفرة من النار وقد تقدم ما قال الجنيد رضي الله عنه الطريق مسدود إلّا على المقتفين اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم (و) الصفات السلبية خمس ومعنى كونها سلبية انه ماخوذ في مفهومها العدم اولها (القدم) فهو صفة سلبية على الصحيح وهو سلب العدم السابق على الوجود في حق ذاته تعالى وصفاته وفي حق الحادث يعرف بطول المدة ومن اطلاقها على الحادث قوله تعالى انك لفي ضلالك القديم وهل يطلق اسم القديم عليه تعالى لوجود القدم له اولا لان اسماءه توقيفيـة الاول للقاضي والثاني لامام الحرمين قيل انه وان لم يثبت في الكتاب نصا إلّا انه ورد في السنة وثانيها البقاء وهو يفهم من القدم بطريق اللزوم لان كل من ثبت قدمه استحال عدمه ومن جاز عدمه استحال قدمه كما قال اللقاني

وكل ما جاز عليه العـدم   عليه قطعا يستحيل القـدم

فالصفتان متلازمتان ولما كان اهل الكلام لا يكتفون بدلالة الالتزام لخطر هذا الفن نبه على ذلك بقوله (كذا البقاء) اي انه مثل القدم في كونه صفة سلبية وهو سلب العدم اللاحق للوجود وهذا التعريف غير مانع لدخول المستثنيات فيه التي اشار لها الجلال السيوطي بقوله

ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي نار وجنة وعجب وارواح كذا اللوح والقلم

ويجاب بانه تعريف بالاعم على راي الاقدمين من اهل النظر او انه تعريف للبقاء الواجب وهو في المستثنيات جائز وثالثها قيامه بنفسه ويعبر عنها بالغنى المطلق واعتبر المصنف الثاني فقال (والغنى المطلق) اي عدم الافتقار الى شيء من الحوادث والحال انه قد (عم) جميع الاشياء فعم فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على الغنى والجملة حال من الغنى على اضمار قد فهي حال موكدة لاستفادة العموم من الاطلاق فلا يفتقر تعلى الى ذات يقوم بها لانه ليس بصفة كما يدعيه بعض النصارى والباطنية قال المحقق الدسوقي وهم قوم كفار ينفون الشريعة ويصرفون الايات عن ظواهرها ويعتقدون ان الله تعلى صفة قائمة بجميع الحوادث يقولون ما في البيت إلا الله ما في الجبة إلا الله وهكذا اه قلت وبعض الجاهلين من اهل التصوف التبس عليهم مذهبهم بمذهب الباطنية فصاروا يفسرون الايات بتفسير يناسب مذاهبهم واصطلاحاتهم في حال السالك والمريد وغير ذلك فخالف الظاهر بل صريح الاية الكريمة وما ذلك إلا الحاد وضلال مبين قال العارف بن الفارض

ونهج طريقي واضح لمن اهتدى ولكنها الاهواء عمت فاعمت

ولا الى مخصص اي فاعل يخصصه بالوجود في ذاته او صفاته لان

ذلك شان الحوادث والحوادث لا تستقل بنفسها بالنسبة لبعضها بعضا لضرورة التعاون البشري فما بالك بها مع خالقها ومصورها قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز فتبارك الله احسن الخالقين ورابعها مخالفته تعالى للحوادث واليها اشار بقوله (وخلفه) اسم مصدر للمخالفة (لخلقه) اي مخلوقاته وقوله (بلا مثال) حال مؤكدة اي انه مخالف لها حالة كونها غير مماثلة له في شيء من الاشياء قال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير اي لا يماثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وما ورد في الكتاب والسنة مما يوهم المماثلة فمفوض على راي الاقدمين وهو اسلم او مؤول على راي المتاخرين وهو احكم قال ابن السبكي في جمع الجوامع وما صح في الكتاب والسنة من الصفات نعتقد ظاهر المعنى وننزه عند سماع المشكل ثم اختلف ايمتنا انؤول ام نفوض منزهين مع اتفاقهم على ان جهلنا بتفصيله لا يقدح اي في اعتقادنا اه قال الجلال المحلي في شرحه عليه مفرعا على مذهب المتاخرين فيؤول في الايات الاستواء بالاستيلاء والوجه بالذات والعين بالبصر واليد بالقدرة اه والمراد بالايات قوله تعالى الرحمن على العرش استوى ويبقى وجه ربك ولتصنع على عيني يد الله فوق ايديهم ونحو ذلك واطلاق الاستواء على الاستيلاء موجود في كلام العرب قال شاعرهم

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وسال رجل الامام مالكا عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فاطرق براسه مليا ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به

واجب والسؤال عنه بدعة وما اظنك إلّا ضالا فامر به فاخرج وسأل صاحب الكشاف حجة الاسلام الامام الغزالي رضي الله تعالى عنه عن هذه الاية فاجابه الامام بقوله اذا استحال ان تعرف نفسك بكيفية او اينية فكيف يليق بعبوديتك ان تصفه تعالى باين او كيف وهو مقدس عن ذلك ثم انشا يقول

قل لمن يفهم عني ما اقول	قصر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه	قصرت والله اعناق الفحول
انت لا تعرف اياك ولا	تدري من انت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات ركبت	فيك حارت في خفاياها العقول
اين منك الروح في جوهرها	هل تراها فترى كيف تجول
وكذا الانفاس هل تحصرها	لا ولا تدري متى عنك تزول
اين منك العقل والفهم اذا	غلب النوم فقل لي يا جهول
انت اكل الخبز لا تعرفه	كيف يجري منك ام كيف تبول
فاذا كانت طواياك التي	بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدري من على العرش استوى	لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكي الرب ام كيف يرى	فلعمري ليس ذا إلّا فضول
فهو لا اين ولا كيف له	وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له	وهو في كل النواحي لا يزول
جل ذاتا وصفات وسما	وتعالى قدره عما تقول

والغزالي هذا هو ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الملقب بحجة الاسلام زين الدين الطوسي وكان شافعي المذهب لم يكن في عصره من ائمة الشافعية مثله قرا في بلده بطوس على الشيخ احمد الراكداني

ثم قدم الى نيسابور وحضر دروس امام الحرمين واجتهد فتخرج في مدة قريبة وصار من الاعيان واهل التصنيف في ذلك الوقت وكان شيخه يتمدح به ولازمه حتى توفي فخرج من نيسابور الى العسكر ولقي الوزير نظام الملك واكرمه وتلقاه بغاية المحبة والقبول وكان بمجلس الوزير جماعة من الافاضل فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس فراوا فضله واشهر علمه وسارت بذكره الركبان ثم فوض اليه الوزير تدريس المدرسة النظامية بمدينة بغداد فصار يلقي فيها الدروس واطمان به اهل العراق وبجلوا منزلته ثم ترك التدريس وسلك طريق الزهد وارتحل الى الحج فلما رجع توجه الى الشام فاقام بمدينة دمشق مدة منتصبا فيها الى التدريس ثم انتقل منها الى بيت المقدس واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد المعظمة ثم ارتحل الى مصر فاقام بالاسكندرية مدة ويقال انه قصد منها الركوب في البحر الى المغرب لعزمه على الاجتماع بامير مراكش يوسف بن تاشفين فما زال كذلك حتى سمع نعي الامير فصرف حينئذ همته عن تلك الناحية وبعد ذلك عاد الى وطنه فاشتغل بنفسه وصنف كتبا نفيسة في عدة فنون منها البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة واحياء علوم الدين وله في اصول الفقه المستصفى ثم عاد الى نيسابور وانتصب للتدريس بالمدرسة النظامية ثم ترك جميع ذلك وعاد الى بيته ووطنه واتخذ محلا لمحاضرات الصوفية ومحلا للمشتغلين بالعلم في جواره واستفرغ اوقاته في العبادة وكانت ولادته سنة خمسين واربعمائة وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الثانية سنة خمس وخمسمائة بطوس وللشعراء فيه مراثي كثيرة منها قول الابيوردي

مضى واعظم مخاوق فجعت به ... من لا نظير له في الناس يخلفه

وطوس بالضم ناحية بخراسان والغزالي بالتخفيف نسبة للغزل وذلك ان ابن المقري وجده في البرية بمرقعة وعكاز وقد ترك الافتاء والتدريس فسأله عن ذلك فقال

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت الى مصحوب اول منزل
ونادت بي الاشواق مهلا فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد لغزلي نساجا فكسرت مغزلي

(و) خامسا (وحدة الذات) اي عدم تركبها من اجزاء وهو نفي الكم المتصل وعدم وجود ذات اخرى تماثل ذاته وهو نفي الكم المنفصل (و) وحدة (وصف) اي صفاته فليس له صفتان متماثلتان كعلمين وقدرتين وهو الكم المتصل وليس لغيره صفة تماثل صفته وهو الكم المنفصل (و) وحدة (الفعال) اي الافعال ممكنة اولا بمعنى عدم وجودها لغيره فالوحدانية نفت الكم المتصل والمنفصل في الذات والصفات والمنفصل في الافعال قال تعلى انا كل شيء خلقناه بقدر والله خلقكم وما تعملون ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل والخلق في الايات عام مخصوص فلا يتعلق بذاته تعلى وصفاته ثم الصفة إن كانت موجودة في نفسها سميت صفة معنى وإن كانت غير موجودة في نفسها بل بطريق التبع فإما ان تكون ثابتة للذات ما دامت الذات غير معللة بعلة وتسمى صفة نفسية او تكون ثابتة لها ما دامت معللة بعلة وتسمى صفة معنوية وان كانت عدما محضا سميت صفة سلبية لكونها سلب امر لا يليق به تعلى ولما قدم النفسية والسلبيات شرع في صفات المعاني فقال (وقدرة) هي صفة ازلية يتاتى بها ايجاد كل ممكن واعدامه ولها تعلقان صلوحي قديم وهو صلاحيتها

في الازل للايجاد و الاعدام فيما لا يزال و تنجيزي حادث وهو ابرازه للممكنات بالفعل على الصفة المخصوصة التي اقتضتها الاراد فالتعلق الصلوحي اعم مثلا قدرة الله تعلى صالحة لايجاد زيد كاتبا او تاجرا ولكن التعلق التنجيزي اوجده الان على خصوص احدى الصفتين فلا تاثير لغيره تعلى في شيء من الاشياء والكسب الذي اثبته اهل السنة عبارة عن مقارنة قدرة العبد الحادثة للمقدور وبمجرد تلك المقارنة الاعتبارية تتعلق به قدرته تعلى فكان المقارنة امارة على تعلق قدرة الله تعلى بالفعل ومن تلك المقارنة كان الثواب والعقاب وليس وجود الفعل بقدرة العبد الحادثة كما زعم المعتزلة ولا بمجموع القدرتين كما يدعيه بعض الجاهلين قال القائل مصرحا بمذهب اهل السنة

مذهبنا ان لنا قدرة حادثة لسنا بها نقدر
وربنا جوز اطلاقها في قوله من قبل ان تقدروا

ومما تقدم تعلم ان وظيفة القدرة الايجاد و الاعدام فهي صالحة للامرين وتخصيصها باحدهما يحتاج الى صفة اخرى تخصصها بذالك وما يصلح لذالك إلا (ارادة) منه تعلى فهي الصفة الثانية من صفات المعاني وهي صفة ازلية يتاتى بها تخصيص كل ممكن ببعض ما يجوز عليه والقدرة لا تكون إلا على وفق الارادة فكل ما تعلقت به قدرته فهو مراد له تعلى وإلا لزم ان يقع في ملكه ما لا يريده وهذا خلف والمراد بالتخصيص المذكور تخصيص الممكن باحد المتقابلين والمتقابلات ستة اشار لها الشيخ القصار بقوله

المكنات المتقابلات وجودنا والعدم الصفات
ازمنة امكنة جهات كذا المقادير روى الثقات

وللارادة ثلاث تعلقات صلوحي قديم وهو صلاحيتها في الازل لتخصيص احد المتقابلين من غير تعيين و تنجيزي قديم وهو تخصيص احد المتقابلين بعينه في الازل و تنجيزي حادث وهو تخصيص احد المتقابلين بعينه فيما لا يزال ويفهم من تعريف القدرة و الارادة ان متعلقهما واحد وهو الممكن إلّا ان جهة التعلق مختلفة فتعلق القدرة من حيث التاثير وتعلق الارادة من حيث التخصيص قال الامام السنوسي رضي الله تعالى عنه في شرح عقيدته وانما لم تتعلق القدرة و الارادة بالواجب والمستحيل لان القدرة و الارادة لما كانتا صفتين مؤثرتين ومن لازم الاثر ان يكون موجودا بعد عدم لزم ان ما لا يقبل العدم اصلا كالواجب لا يقبل ان يكون اثرا لهما وإلّا لزم تحصيل الحاصل وما لا يقبل الوجود اصلا كالمستحيل لا يقبل ايضا ان يكون اثرا لهما وإلّا لزم قلب الحقائق برجوع المستحيل عين الجائز فلا قصور اصلا في عدم تعلق القدرة و الارادة القديمتين بالواجب والمستحيل بل لو تعلقتا بهما لزم حينئذ القصور لانه يلزم على هذا التقدير الفاسد ان يجوز تعلقهما باعدام انفسهما بل وباعدام الذات العلية و باثبات الالوهية لمن لا يقبلها من الحوادث وسلبها عمن تجب له وهو مولانا جل وعز واي نقص وفساد اعظم من هذا وبالجملة فذلك التقدير الفاسد يؤدي الى تخليط عظيم لا يبقى معه شيء من الايمان ولا شيء من العقليات اصلا ولخفاء هذا المعنى على بعض الاغبياء صرح بنقيض ذلك فنقل عن ابن حزم انه قال في الملل والنحل انه تعلى قادر ان يتخذ ولدا اذ لو لم يقدر عليه لكان عاجزا فانظر اختلال عقل هذا المبتدع كيف غفل عما يلزمه على هذه المقالة الشنيعة من اللوازم التي لا تدخل تحت وهم ثم اطنب في الرد

والتشنيع عليه فراجعه ان شئت قال المحقق الدسوقي في حاشيته عليه
ابن حزم هو ابو محمد علي بن حزم الظاهري الاندلسي كان من حفاظ
المغرب الف كتبا منها هـذا الكتاب الذي ذكره المصنف وهو كتاب
الفصل في الملل والنحل مجلد نحو الثلاثين كراسا في الورق الكامل يرد
فيه على سـائر الفرق من اليهود والنصارى والفلاسفة والمعتزلة وغيرهم
واغلب حطه وتشنيعه فيه على الاشاعرة والماتريدية ايمة السنة وقد رايت
ذلك الكتاب بزاوية دمرداش بمصر وله كتاب كبير في الفقه ينتصر فيه
للظاهرية ويشنع فيه على الايمة الاربعة لا سيما الامام المجمع على جلالته
امامنا مالك رضي الله عنه وما زالت الاخيار تبتلى بالاشرار ورايت من
ذلك الكتاب جزأ ضخما قال الشاوي وقد وجدت لابي محمد ابن ابي زيد
القيرواني كتابا في رد هذا الكتاب الذي الفه ابن حزم في الفقه وتعصب
فيه على مالك بنقضه عروة عروة اه قلت وقـد طبع الان الفصل لابن
حزم في خمسة اجـزاء بقاهرة مصر في مجلد ضخم وصـار مشتهرا بين
الطالبين واما كتابه الاخر وكتاب ابن ابي زيد في الرد عليـه فلم يتصل
بايدينا ومن تشنيعه الفاحش على الامام النعمان رضي الله عنه قوله

ان كنت كاذبة الذي حدثتني فعليك اثم ابي حنيفة او زفـر
الواثبين على القيـاس تمــردا والراغبين عن التمسك بـالاثر

ورد عليه بعضهم بقوله

كذب الذي نسب المثاثم للـذي ابدى المسائل بالقيـاس المعتبر
ان الكتاب وسنة المختار قد دلا عليه فدع مقـالة من فشر

ومن ردله على السادات الفقهاء قوله

من عذيري من اناس جهلـوا ثم ظنوا انهم اهل النظــــر

ركبوا الراي عنادا فسروا　في ظلام تاه فيه من عبر
وطريق الرشد نهج مهيع　مثل ما ابصرت في الافق القمر
وهو الاجماع والنص الذي　ليس إلا في كتاب او اثر

واعلم ان الارادة لا تكون إلا على وفق العلم فكل ما تعلق به (علم) منه تعالى فهو مراد له وان كان العلم اعم متعلقا لكونه يتعلق بالواجب والممكن والمستحيل كما يستفاد من تعريفه بانه صفة ازلية ينكشف بها كل معلوم على ما هو عليه وجعل المعتزلة الارادة على وفق الامر فايمان ابي جهل غير مراد له تعالى وان كان مامورا به لتعلق علم الله بعدم وقوعه وكفره مراد له تعالى وان كان غير مامور به لتعلق علم الله بوقوعه فلا تلازم بين الارادة والامر عند اهل السنة وعلى راي المعتزلة فايمان ابي جهل مراد له تعالى لكونه مامورا به وان تعلق علم الله تعالى بعدم وقوعه وكفره غير مراد له تعالى لكونه منهيا عنه وان تعلق علمه تعالى بوقوعه فلزم على كلامهم ان يقع في ملكه تعالى ما لا يشاء ومن هنا تعلم انه تعالى يريد الخير والشر خلافا للمعتزلة في قولهم انه تعالى لا يريد الشرور والقبايح ويحكى ان القاضى عبد الجبار بن احمد قاضي قزوين احد شيوخ المعتزلة دخل عند ابن عباد وزير المعز وعنده الاستاذ ابو اسحق الاسفرائني امام اهل السنة فقال القاضي سبحن من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ سبحن من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء فقال القاضي افيريد ربنا ان يعصى فقال الاستاذ افيعصى ربنا قهرا عليه فقال القاضي اريت ان منعني الهدى وقضى علي بالردي أحسن الي ام اساء فقال الاستاذ ان منعك ما هو لك فقد اساء وان منعك ما هو له فالمالك يفعل في ملكه كيف يشاء فانصرف

الحاضرون وقالوا ليس بعد هذا جواب والله كانه القم حجرا واختلف
هل يجوز ان يقال ان الله تعالى صانع الشرور والقبائح اولا والراجح
جواز ذلك في مقام التعليم ثم انه ربما غلط بعض الطلبة في قولهم انه
تعالى يعلم الاشياء جملة وتفصيلا ولم يدروا ان هذا من جمع النقيضين
قال العلامة العطار في حواشي جمع الجوامع ثم في حاشية الصغرى
للشاوي قال الضرير

والعلم بالشيء على التفصيل ينافض العلم على التجميل

قال ابن خليل سمعت بعض المدرسين ممن ينتسب الى العلم يقول في
درسه انه تعالى يعلم الاشياء جملة وتفصيلا وذلك جهل فانا لله وانا اليه
راجعون على العلم حيث صار يتولى تدريسه مثل هذا قال الشيخ والعلم
بالشيء الخ فان الشيء المجمل هو الذي لم تدرك حقيقته والمفصل هو
مدرك الحقيقة فيجتمع عند ذلك مدرك لا مدرك وذلك محال ونظيره لو
قلت الله اعلم بالدليل الجملي والتفصيلي كان تناقضا اه ثم قال العلامة
العطار اقول ليت هذا العالم عاش حتى الان ليرى ما يقوله المدرسون
في دروسهم بل ما ينقله المؤلفون في عصرنا مما يتعلق بعلم الكلام فانهم
اتخذوا الصغرى وما كتب عليها من الحواشي والشروح عمدة واماما
ولم تطمح نفوسهم بما قرره محققو هذا الفن في كتبهم حتى انه لو
اتي لواحد منهم بنقل ساطع او ببرهان قاطع لم يعدل عما استقر في
ذهنه مما يخالف الصواب وقال لا اعدل عما رايته في ذلك الكتاب اه
هذا ما قال العلامة العطار وانا اقول ليت العلامة العطار حضر لوقتنا هذا
وراى ما فيه من قلة الانصاف وشدة الاعتساف وكثرة الاختلاف مع فهمهم
السقيم وطبعهم الذميم يعيبون الكلام الواضح ويؤيدون الجهل الفاضح

وكم من عايب قولا صحيحا وءافته من الفهم السقيم

يتفوهون باضرب من الوبال وانواع من الخبال وبالخصوص قطرنا الجزائري فان من قرا فيه ميارة الصغرى فقها والاجرومية وشروحها نحوا اصبح مدرسا ولا يبالي بجهله الذي هو فيه وبالانتقاد عليه وصار يحرم الحلال ويحلل الحرام يخوض في الفنون الصعبة عليه كالاصول والكلام والبلاغة والمنطق وغير ذلك ويدعي فيها دعاوي باطلة وهو بعيد عنها بمراحل لا يشم لها رائحة لو باحثته وناظرته لظهر لك من عيوبه ما لا اكاد اعبر عنه للقراء شعر

من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان

واذا وقفت على درسه ترى ما اجترا عليه لسانه من انواع حشو الكلام وضعف التاليف والغرابة والتعقيد فظنوا انهم من اكابر علماء الزمان وافاضل العصر والاوان وبعض منهم يبذلون همتهم في فن الفقه خاصة من غير نحو يعينهم على ذلك بل يقتصرون على متون الفقه مجردة عن شروحها ليسهل عليهم تناول ذلك لقصورهم عن ادراك الالة فيبقى نحو العشرين سنة او اكثر يتعلم على الفقهاء القاصرين مثله فيتخرج مع هاته المدة كلها عديم الذوق والملكة بل يعتني بحفظ نقول ونصوص ولو باحثته في مفاهيم الكتب التي قراها وتفاريعها لوجدته صفرا ومن الحكمة قول بعضهم النحو في الكلام كالملح في الطعام وقول الشاعر

النحو قنطرة الاداب هل احد يجاوز البحر إلّا بالقناطير

لم تعلم الطير ما في النحو من ادب حنت وانت اليه بالمناقير

ان الكلام بلا نحو يحسنه نبح الكلاب واصوات السنانير

وقال ابن الوردي

جمل المنطق بالنحو فمن يحرم الاعراب بالنطق اختبل

ولو تعلموا كغيرهم النحو مع الفقه ولم يقتصروا على الثاني بل احرزوا الفضيلتين لكانوا اهون من غيرهم والعاقل من يحصل الفضيلتين ولم تفته الفنون المهمة من العربية وغيرها فانك تجد العلماء العظام اصحاب التآليف الكبيرة لهم في كل فن مقدار وقلت في بعض القصائد مشيرا الى ذلك

وليس من يعرب الالفاظ اذ كتبت ورنق اللفظ لا يدريه يحتبس

كجاهل الشكل في القياس ينسقه وشرط الانتاج ان خلا لا ينجبر

على ان هؤلاء لو ساحوا واغتربوا في بلدان العلوم واقطارها كمصر فانها الان اوسع بلاد العلوم نطاقا وراياتها ازيد اخفاقا لعلموا انهم لا زالوا في حضيض الجهل وغياباته يهيمون وكان الواجب عليهم التغرب لنيل العلوم ولو تركوا مالهم واهليهم فان حياتهم الادبية مقدمة على حياتهم المادية لو كانوا يعلمون قال الفاضل الاديب ابن سعيد الاندلسي

انا شاعر اهوى التخلي دونما زوج لكيما تخلص الافكار

لو كنت ذا زوج لكنت منغصا في كل حين رزقها امتار

دعني ارح طول التغرب خاطري حتى اعود ويستقر قرار

كم قائل قد ضاع شرخ شبابه ما ضيعته بطالة وعقار

اذ لم ازل في العلم اجهد دائما حتى تاتت هذه الافكار

مهما ارح من دون زوج لم اكن كلا ورزقي دائما مدرار

واذا خرجت لفرجة هنيتها لا ضيعة ضاعت ولا تذكار

قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وانما لم تتعلق القدرة والارادة

بالواجب والمستحيل لانهما صفتا تاثير والواجب لا يقبل العدم والمستحيل لا يقبل الوجود فلو تعلقتا بوجود الواجب او عدم المستحيل لزم تحصيل الحاصل او بانعدام الواجب او ايجاد المستحيل لزم قلب الحقائق كما تقدم فيصير الواجب غير واجب والمستحيل غير مستحيل ولا مانع من ذلك في العلم فلذلك كان اعم منهما تعلقا وله تعلق تنجيزي قديم وهو انكشاف جميع الامور له ازلا وليس له تعلق صلوحي قديم كما زعم بعضهم للزوم الجهل لان الصالح لان يعلم ليس بعالم فتعلق الاولين تعلق تاثير وتعلق الثالث تعلق انكشاف والصفة الرابعة من صفات المعاني المشار لها بقوله (حياة) ولا تعلق لها بشيء من الاشياء لانها لا تطلب امرا زائدا على قيامها بالذات وهي صفة ازلية تصحح لمن قامت به ان يتصف بالادراك والادراك هو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يدرك بها الملموسات والمشمومات والمذوقات وهذا على راي من جعله صفة واما على راي غيره فلا نثبت له تعالى صفة الادراك واستدل المجوزون بانه كمال وكل كمال فهو ثابت له تعالى والاصح الوقف كما قال اللقاني

فهل له ادراك اولا خلف وعند قوم صح فيه الوقف

(سمع) هذه الصفة الخامسة من صفات المعاني وهو صفة ازلية ينكشف (١) بها كل موجود على ما هو عليه سواء كان صوتا او لونا او غيرهما وهذه طريقة السنوسي واما طريق السعد التفتازاني فهي قائلة بتعلقها

---

(١) للسمع والبصر ثلاث تعلقات تنجيزي قديم وهو انكشاف الذات العلية وصفاتها بهما وتنجيزي حادث وهو انكشاف ذوات الكائنات وصفاتها الوجودية بهما عند وجودها وصلوحي قديم وهو صلاحيتهما في الازل لانكشاف ذوات الكائنات وصفاتها بهما فيما لا يزال

بالمسموعات فقط فيحتمل ان المراد المسموعات في حقنا وهي الاصوات فبينهما خلاف او المسموعات في حقه تعالى وهي الاصوات وغيرها فبينهما وفاق فهو اخص من العلم لتناول العلم للمعدوم وهو منزه عما في السمع الحادث من القرب وغلظ الصوت والسر واضدادها ونحو ذلك فيسمع تعالى ذاته وصفاته كما يراهما ويسمع جميع الكائنات جواهرا واعراضا وهذا في السمع القديم واما السمع الحادث فهو قوة مودعة في العصب المفروش في مقعر الصماخ تدرك بها الاصوات على وجه العادة وقد يدرك بها غير الاصوات فقد سمع الكليم عليه الصلاة والسلام الكلام القديم وهو ليس بحرف ولا صوت وسادسها (كلام) اي كلامه تعالى وهو صفة ازلية قائمة بالذات المعبر عنها بالعبارات المختلفات المنزهة عن جميع انواع التغييرات المتعلقة بما يتعلق به العلم من المتعلقات والمراد بذلك الكلام النفسي القائم بذاته تعالى قال الاخطل

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والمراد بالعبارات المختلفات تسميته زبورا او فرقانا او غير ذلك وليست هذه العبارات كلام الله تعالى لانها اصوات نقراها وكلام الله تعالى منزه عن ذلك وانما هو من باب تسمية الدال باسم المدلول والمراد بانواع التغييرات اللحن والاعراب والتقديم والتاخير وما اشبه ذلك وقولنا من المتعلقات اي من واجب وجائز ومستحيل إلّا ان جهة التعلق مختلفة فتعلق العلم تعلق انكشاف وتعلق الكلام تعلق دلالة واعلم ان الكلام صفة واحدة لا تعدد فيها كسائر صفاته تعالى لكنه باعتبار دلالته يتنوع الى ستة انواع اعتبارية فباعتبار دلالته على طلب امر وعلى ترك نهي وعلى امر مطابق للواقع خبر وعلى طلب العلم باعتبار

حال المخلوقات استخبار و باعتبار دلالته على ثواب في المستقبل وعد وعلى عقاب فيه وعيد والذي يظهر لي عدم انحصارها في ستة لا كما زعم بعضهم ثم ان الكلام باعتبار كونه ليس امرا او نهيا له (١) تعلق تنجيزي قديم وباعتبار كونه امرا او نهيا له تعلقان تنجيزي حادث عند وجودها وصلوحي قديم وهو صلوحيتها في الازل لتلك الانواع واعلم ان كلام الله تعالى يطلق على الكلام النفسي كما تقدم وعلى الكلام اللفظي المخلوق لله تعالى الذي لا فضل لغيره فيه ومن ذلك قول السيدة عائشة رضي الله عنها ما بين دفتي المصحف كلام الله وانما قدم الكلام على قوله (بصر) مع ان البصر احرى باقترانه بالسمع لاشتراكه معه في الحقيقة فما تقدم في السمع من التعريف والخلاف بين السنوسي والتفتازاني يثبت للبصر هنا لبناء القافية وهذا في البصر القديم واما البصر الحادث فهو قوة مخلوقة في العصبتين المجوفتين المتلاقيتين تلاقيا صليبيا هكذا + او المتلاقيتين تلاقي دالين ظهر احداهما في ظهر الاخرى هكذا ◌ تدرك بها الاضواء والالوان والاشكال وغير ذلك مما يخلق الله تعالى ادراكه في النفس (ذي) الصفات الثلاث عشرة (واجبات) الاعتقاد وبقي على المصنف الصفات المعنوية وهي كونه تعالى قادرا وكونه مريدا وكونه عالما وكونه حيا وكونه سميعا وكونه بصيرا وكونه متكلما والتحقيق انها امور اعتبارية لانها

---

(١) بيان ذلك انه باعتبار كونه امرا او نهيا له تعلق تنجيزي حادث عند وجود المأمور به والنهي عنه وتعلق صلوحي قديم وهو صلاحيته في الازل للدلالة على طلب الفعل او الترك ممن سيوجد واما باعتبار كونه ليس امرا او نهيا بل خبرا او استخبار او وعدا او وعيدا فله تعلق تنجيزي قديم وهو دلالته على امر مطابق للواقع او على طلب العلم باعتبار حال المخلوقات او على ثواب في المستقبل او على عقاب فيه

عبارة عن قيام صفات المعاني بالذات فليست واجبة الاعتقاد وهذا على
قول الاشعري الذي لا يثبت الاحوال وعلى قول القاضي وامام الحرمين
من ثبوت الاحوال وجعلها واسطة بين الوجود والعدم فلم تصل درجة
الوجود حتى تكون موجودة في الخارج ولا العدم المحض حتى تكون
عدما صرفا فلا بد من ذكرها وعدم الاستغناء عنها وعلى كل من القولين
لا يكفر من نفاها إلّا اذا اثبت اضدادها وهكذا ينبغي ان يقرر المقام
ونافي صفات المعاني يفسق إلّا اذا اثبت اضدادها فيكفر اذا علمت ذلك
تعلم ان الصفات المتفق عليها هي الستة الاولى على ما في النفسية واما صفات
المعاني فقد نفاها المعتزلة يعني نفوا زيادتها على الذات لا انهم اثبتوا
اضدادها والصفات المعنوية نفاها الاشعري واثبتها القاضي وامام
الحرمين والمعتزلة وبقي عليه ايضا صفات الافعال ويعبر عنها بصفة
التكوين وذلك كالخلق والرزق وسائر الافعال ولكن التحقيق انها ليست
صفات مستقلة بل هي تعلقات للقدرة فهي تعلقات تنجيزية حادثة على
راي الاشعري وصلوحية قديمة على راي الماتريدي وتقدم الخلاف في
الادراك فلا تغفل (و) ما (يستحيل) في حقه تعالى (ضد) بمعنى
منافي (هذه الصفات) الثلاث عشرة او العشرين على القول بثبوت
الاحوال والسين والتاء زايدتان واقسام التنافي عند اهل الميزان اربعة
ثبوت امر ونفيه ويدعى تنافي النقيضين كثبوت السكون ونفيه وثبوت
امر ونفيه عمن شانه ان يتصف به ويدعى تنافي العدم والملكة كالعمى
والبصر فلا يقال الحائط اعمى للتقييد بالشانية المذكورة وتقابل ضدين
ويسمى تنافي التضاد والضدان هما الامران الوجوديان اللذان بينهما
غاية الخلاف ولا يتوقف تعقل احدهما على تعقل الآخر كالبياض

والسواد وتقابل المتضائفين ويسمى تنافي التضايف والمتضايفان هما الامران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف ويتوقف تعقل احدهما على تعقل الاخر كالابوة والبنوة ونسبة التضايف هي احدى المقولات العشر المجموعة في قول بعضهم

الجوهر الكم والكيف المضاف متى   اين ووضع له ان ينفعل فعلا

واهل الاصول يدرجون الثاني من اقسام التنافي في الاول والرابع في الثالث ولهذا يحصرون المعلومات في اربعة اقسام لان المعلومين ان امكن اجتماعهما كالعلم والقدرة والبياض والحركة فخلافان وإلا ولم يمكن ارتفاعهما ايضا فنقيضان وان امكن ارتفاعهما فقط فان اختلفا في الحقيقة فضدان اولا فمتماثلان كالبياض والبياض ثم ما كان من الصفات دليله عقلي فضده كذلك وما كان منها دليله نقلي فضده كذلك ولما كان اهل الكلام لا يكتفون بدلالة الالتزام لخطر هذا الفن صرح بالاضداد فقال وهي (العدم) وهو ضد الوجود و (الحدوث) ضد القدم (ذا) المذكور من المستحيلات انما هو (للحادثات) اي المخلوقات (كذا) خبر مقدم و (الفنا) مبتدا مؤخر وهو ضد البقاء اي العدم اللاحق للوجود (والافتقار) مفعول محذوف يفسره (عده) اي اذكره في المستحيلات فهو من باب الاشتغال والافتقار ضد القيام بالنفس وما جعله من الوسائط والاسباب فهو حكمة منه تعلى عما يقوله الجاهلون (وان يماثل) اي مماثلته للحوادث مستحيلة في حقه تعلى فلا يقال انه تعلى داخل العالم ولا خارجه وليس ذلك من رفع النقيضين الا ترى ان الجماد لا يوصف بكونه عالما ولا جاهلا لفقد شرط الحياة فكذلك ما ذكر لفقد شرط التحيز الثابت للاجرام المحال في حق مولانا تبارك

وتعلى فهو منزه عن الاكوان والازمان والامكنة والالوان والغرض والعرض والاجرام ولا يكفر معتقد الجهة لحديث الاعرابية المشهور وما تقدم من انواع المماثلة مرجعه الى قسمين عند جمهور اهل السنة لانحصار العالم عندهم في الاجرام والاعراض والجرم هو الجسم المتحيز الآخذ قدر ذاته من الفراغ والاعراض هي المعاني القائمة به واثبت الفلاسفة والغزالي قسما ثالثا ودعوه بالمجردات لتجرده عن الجرمية والعرضية وذلك كالارواح والملائكة (و) يستحيل في حقه تعالى ضد الوحدانية وهو (نفي الوحدة) في الذات والصفات والافعال كما تقدم وما ورد مما يوهم التاثير لغيره تعالى فاسناده عقلي وكسب العبد ليس له تاثير في شيء وانما الله تعالى خلق قدرة للعبد حادثة وقد تقارن فعلا من الافعال والكسب عبارة عن تلك المقارنة وارادة العبد للفعل وميله اليه سبب لايجاد تلك المقارنة فبالارادة نثاب ونعاقب فالفعل مكتسب للعبد من هذه الجهة لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون واعلم انه قد غلط اقوام ممن اجتمعنا بهم في هذا الزمان في هذه الاية المذكورة فقد سمعت منهم في عدة مجالس انهم يقولون ان استدلال اهل السنة بهذه الاية عجز وهذا منهم غلط فاضح لانه ليس مراد اهل السنة انه لا يسئل عن حكمة فعله اصلا بل ان المراد اذا بحثت عن الحكمة تجدها في كل فعل ظاهرة ظهور نار قرى ليلا على علم ولكن بعض الاغبياء لبلادة طبعهم وجموده لا يدركون ذلك فهذه الطائفة كان اللائق بها عدم السؤال عن ذلك وقد وجدنا الحوادث يتمدحون بذلك فضلا عن المولى تبارك وتعالى ومن ذلك قول الحماسي

ونفكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرن القول حين نقول

فالشاعر حين كان في ظنه اشتماله على الكفاءة التامة وعدم مبالاته بغيره صرح بذلك لمن هم له معاندون لا يقال ان الشاعر العربي اراد انه لا يقدر ان يعارضه احد ولو اتى بالمنكرات وهذا لا يليق بالمقام لانا نقول ان تلك المنكرات تظهر له افعالا حسنة صادرة عن موجب فيرى ان المقتول يستحق القتل والذي نهب ماله يستحق النهب وهكذا كما قيل

يقضى على المرء في ايام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

هذا ما ظهر لي في سوق هذا الكلام وتوجيه المرام فاسمع فقد زلت هنا كثير من الاقدام وطالما كنت اوجه لهم هذا التوجيه فلم يرسخ بعقولهم بل تمادوا على دعاويهم الباطلة وما احسن قول ابي حيان

ان عقلي لفي عقال اذا ما انا صدقت قول كل محال

ثم اشار الى اضداد صفات المعاني بقوله (عجز) هو ضد القدرة وهو صفة وجودية قائمة بالعاجز لا يتاتى معها ايجاد ولا اعدام فبينه وبين القدرة تقابل التضاد وقد تقدم قريبا ان قدرته تعالى عامة لجميع الممكنات فلو قصرت عن ممكن ما لجاز القصور في الباقي اذ ما ثبت للمثل يثبت للمماثل فيلزم على ذلك اجتماع الضدين اي كونه قادرا وعاجزا وهذا محال فما ادى اليه محال ويستحيل في حقه تعالى ضد الارادة اي الكراهة وهي قسمان (كراهة) عقلية بمعنى وقوع شيء من العالم مع عدم ارادته له تعالى وهي المرادة هنا وشرعية وهي طلب الكف عن الفعل طلبا غير جازم فانه تعالى يريد الخير والشر ويرزق الحلال والحرام خلافا للمعتزلة واقسام الفاعل بحسب العقلية ثلاثة فاعل مختار وفاعل بالطبع وفاعل بالعلة فالفاعل المختار هو من يتاتى منه الفعل والترك

والفاعل بالطبع هو الذي يتاتى منه الفعل دون الترك ويتوقف فعله على وجود الشرط وانتفاء المانع والفاعل بالعلة هو الذي يتاتى منه الفعل دون الترك من غير توقف على وجود شرط وانتفاء مانع ولهذا يلزم اقتران العلة بمعلولها كتحرك الاصبع مع حركة الخاتم مثلا ولا يلزم اقتران الطبيعة بمطبوعها كاحراق النار مع وجود الحطب فقد يتخلف الاحراق لوجود مانع كالبلل او انتفاء شرط كالمماسة وكل المومنين من سني ومعتزلي لم يثبتوا إلَّا الاول وهو الفاعل المختار وقال بالاخيرين اهل الطبيعة والفلاسفة ولزم على كلام الفلاسفة قدم العالم لضرورة وجود المعلول مع علته في الازل لانهم يقولون ان الله تعالى علة العالم والعالم كله ناشيء عنه بطريق التعليل وكذلك على كلام اهل الطبيعة فانه لا يصح ان يكون ثم مانع وإلَّا لزم ان لا يوجد العالم ابدا اذ القديم لا ينعدم ولا يصح تاخير الشرط لما يلزم عليه من الدور او التسلسل لاحتياج انعدام الشرط في الازل لمانع او فقد شرط اخر والانعدام الثاني كذلك وهلم جرا فلزم كلا من الفلاسفة والطبائعيين قدم العالم فهم على ان لازم المذهب مذهب كفار وعلى ذلك درج العلامة الدردير في خريدته فقال

ومن يقل بالطبع او بالعلة   فذاك كفر عند اهل الملة

وانشد البيجوري في حاشيته على الجوهرة

بثلاثة كفر الفلاسفة العدا   قد انكروها وهي حقا مثبته

علم بجزئي حدوث عوالم   حشر لاجساد وكانت ميته

وعلى انه ليس بمذهب وهو الصواب فليسوا بكفار وعلى هذا درج شيخنا في القول المفيد واجاب عن كل ما قيل انهم كفروا به واثبت

ان ذلك كله ناشيء من التعصب الديني من العلماء يجترؤون على تكفير بعضهم بعضا واعلم ان العقلاء افترقت في مسببات العادية على اربعة فرق منهم من اعتقد ان الاسباب العادية تؤثر في مسبباتها بذاتها وطبعها والتلازم بينهما عقلي وهو كافر اجماعا ومنهم من اعتقد ان الاسباب العادية تؤثر في مسبباتها بقوة اودعها الله فيها والتلازم بينهما عادي وفي كفر هذا قولان والصحيح عدم كفره فالمعتزلة اصحاب هذا القول ليسوا بكفار بل مبتدعون قال في الخريدة

ومن يقل بالقوة المودعة فذاك بدعي فلا تلتفت

ومنهم من يعتقد ان المؤثر هو الله تعالى والتلازم عقلي لا يمكن تخلفه فمتى وجدت النار وجد الاحراق مثلا وهذا غير كافر اجماعا إلا ان صاحب هذا القول افرط في الجهل وربما جره ذلك الى الكفر والعياذ بالله تعالى ومنهم من يعتقد ان المؤثر في المسببات العادية هو الله تعالى والتلازم عادي يمكن تخلفه وهذا اعتقاد اهل السنة المنجي عند الله تعالى هكذا فرقوا (وجهل) وهو ضد العلم يشمل الظن والشك والوهم والجهل المركب وهو جهل المرء بانه جاهل وانشدوا في الحكيم توما

قال حمار الحكيم توما لو انصفوني كنت اركب

لانني جاهل بسيط وراكبي جاهل مركب

وكون العلم ضروريا او نظريا لما يلزم على ذلك من الجهل او سبقه والجهل هو انتفاء العلم بالمقصود وقيل تصور المعلوم على خلاف هيئته والقولان حكاهما ابن السبكي في جمع الجوامع وهما ماخوذان من قصيدة ابن مكي في العقايد كما قال شراحه ونصها

وان اردت ان تحد الجهلا من بعد حد العلم كان سهلا

وهو انتفاء العلم بالمقصود ... فاحفظ فهذا اوجز الحدود

وقيل في تحديده ما اذكر ... من بعد هذا والحدود تكثر

تصور المعلوم هذا جزؤه ... وجزؤه الاخر ياتي وصفه

مستوعبا على خلاف هيئته ... فافهم فهذا القيد من تتمته

وهذه القصيدة تسمى بالصلاحية لترغيب السلطان صلاح الدين الايوبي فيها وهي من احسن وارق تصانيف الاشعرية في العقائد وكان السلطان المذكور يامر بتلقينها للاولاد في المكاتب هذا الجهل واما العلم فالقديم تقدم معرفته واما العلم الحادث فهو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع عن دليل وقيل انه ضروري فلا يحد وقال امام الحرمين عسر نظري فلا يحد فالراي الامساك عن تعريفه (وممات) الموت ضد الحياة وهو عند اهل السنة صفة وجودية قائمة بالميت يمكن رؤيتها تمنع اتصافه بالادراك فالتقابل بين الموت والحياة تقابل تضاد والى هذا ذهب الامام الاشعري رضي الله عنه وذهب صاحب الكشاف والاستاذ الى ان الموت هي عدم الحياة عمن شانه ان يكون حيا فالتقابل على هذا تقابل عدم وملكة ويجب ان يعتقد عموم الموت والفناء لكل حي كما قال تعالى كل نفس ذائقة الموت خلافا للدهرية في قولهم ان هي الا ارحام تدفع وارض تبلع وان يعتقد انه على الوجه المعهود شرعا خلافا للحكماء في قولهم انها تحصل باختلال الطبيعة ونظامها لا بفراغ الاجال كما قال اهل السنة ومما يدل لان الموت صفة وجودية قوله تعلى الذي خلق الموت والحياة والخلق انما يتعلق بالوجودي وما ورد في بعض الاحاديث ان الله خلق الموت في صورة كبش لا يمر بشيء إلّا مات كما ان في بعض الاحاديث ان الحياة خلقها الله في صورة فرس لا تمر بشيء إلّا حيي

احسن التفويض في امثال هاته المقامات ويخصص عموم الفناء قوله
كل شيء هالك إلّا وجهه واما الروح فذهب جماعة من اهل السنة
الامساك عنها وعدم الخوض فيها لانها من الامور الالهية التي لا اطلاع
لنا عليها قال تعلى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما
اوتيتم من العلم إلّا قليلا قال الجنيد رضي الله تعلى عنه الروح شيء
استاثر الله بعلمه فلم يطلع عليه احد من خلقه فلا يجوز لعباده البحث
عنها با كثر من انها موجودة والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج من
الدنيا حتى اطلعه الله تعلى على جميع ما ابهم عنا من الموت والروح
والعقل وغيرها مما يمكن علمه للبشر لا بجميع المعلومات والاساوى
علمه تعلى وقوله ولا اعلم الغيب محمول على انه قبل ان يكشف
له عن ذلك وما ذكرناه من عدم الخوض في الروح هو المذهب المختار
وذهب جماعة الى الخوض فيها فقد ورد عن اصحاب مالك رحمهم الله
تعلى انها جسم ذو صورة كصورة الجسد في الشكل والهيئة وقال امام
الحرمين انها جسم لطيف شفاف مشتبك بالجسم كاشتباك الماء بالعود
الاخضر وهذا باعتبار الحياة واما بعد الموت فارواح السعداء بافنية
القبور على الصحيح وقيل عند ءادم عليه السلام في السماء الدنيا في بعض
الاحيان فلا ينافي انها تسرح حيث شاءت واما ارواح الكفار ففي
سجين في الارض السابعة السفلى محبوسة وقيل ارواح السعداء بالجابية
في الشام وقيل ببير زمزم وارواح الكفار ببير برهوت بحضر موت في
اليمن واما العقل فقد اختلف فيه ايضا والراجح الوقف وعدم الخوض
فيه والاحسن من تعاريف الخائضين فيه ما تقدم من انه نور روحاني
به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية واعلم انه لا خلاف بين

المسلمين في عدم فناء الروح بعد موت الجسد وانما الخلاف في فنائها
عند النفخة الاولى والراجح ما قاله الامام السبكي رضي الله تعلى عنه
من عدم فنائها حينئذ والموكل بقبض الارواح عزرائيل عليه السلام
ومعناه عبد الجبار وهو ملك عظيم هائل المنظر جدا راسه في السماء العليا
ورجلاه في تخوم الارض السفلى وجهه مقابل للوح المحفوظ والخلق
بين عينيه وله اعوان بعدد من يموت ياتي للمؤمن في صورة حسنة
وللكافر في صورة قبيحة وورد عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله
تعلى عنهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال يا ملك الموت ارني
كيف تقبض انفاس الكفار قال يا ابراهيم لا تطيق ذلك قال بلى قال
اعرض فاعرض ثم نظر فاذا هو برجل اسود ينال راسه السماء يخرج
من فيه لهب النار فغشي على ابراهيم ثم افاق وقد تحول ملك الموت
على الصورة الاولى فقال يا ملك الموت لو لم ير الكافر من البلاء والحزن
الا صورتك هذه لكفي فارني كيف تقبض انفاس المؤمنين قال اعرض
فاعرض ثم التفت فاذا هو برجل شاب احسن الناس وجها واطيبهم
ريحا في ثياب بيض فقال يا ملك الموت لو لم ير المومن من قرة العين إلا
صورتك هذه لكان يكفيه (وصمم) ضد السمع فيستحيل ان يغيب
على سمعه تعلى شيء من الموجودات وهو صفة وجودية تمنع من
الاسماع وهذا مذهب اهل السنة ومذهب المعتزلة انه عدم السمع
عمن شانه السمع (وبكم) ضد الكلام والبكم صفة وجودية تقوم
بالذات تسمى الخرس تمنع من الكلام هذا مذهب اهل السنة ومذهب
المعتزلة انه عدم الكلام عمن شانه الكلام و (عمى) ضد البصر وهو
عند اهل السنة صفة وجودية تقوم بالذات تمنع من الابصار وعند

المعتزلة هو عدم البصر عمن شانه ان يكون بصيرا فالتقابل في هذه وما
قبلها تقابل تضاد على ما لاهل السنة وتقابل عدم وملكة على ما للمعتزلة
و (صمات) بضم الصاد الصمت فهو من اضداد الكلام لانه تعلى متكلم
دائما وابدا والمراد بالصمت السكوت وما في معنى ذلك من الاعراض
كيف وكلامه تعلى منزه عن تلك النقائص واعلم انه وقع خلاف في انه
هل سمع موسى عليه السلام الكلام القديم او سمع كلاما مركبا من
حروف واصوات خلقها الله تعلى في كل ناحية والاول هو المعتمد
الذي عليه اهل السنة قيل ان السبب الوحيد في انبساط النفس حين
سماعها للصوت الحسن ان الارواح سمعت كلام الله تعلى يوم الست
بربكم فصارت النفس كلما سمعت صوتا حسنا اهتزت لذلك ولا يخفى
عليك اضداد الصفات المعنوية قياسا على المعاني ثم اشار الى القسم
الثالث من الالهيات بقوله (يجوز) هو بمعنى الامكان عند المتكلمين (في)
بمعنى اللام (حقه) اي ذاته اي ان الجائز بالنسبة لذاته تعلى (فعل
الممكنات باسرها) اي جميعها فالعالم كله في قبضته على حد سواء
وافعل التفضيل في قوله تعلى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو
اهون عليه ليس على بابه وليس عندنا شيء واجب بالذات سوى ذاته
تعلى وصفاته وذهب جماعة منهم الفخر والسعد الى ان صفاته تعلى
ممكنة لذاتها ولكنها اكتسبت الوجوب من الذات بطريق التعليل
وشنعوا عليهم في ذلك وليس عندنا شيء من الممكنات خيرا او شرا
بواجب عليه تعلى بل كلها جائز في حقه فعلها اي ابرازها الى الوجود
(وتركها في العدمات) جمع عدم على غير قياس واعلم ان الحسن عندنا
ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع والمعتزلة بنوا على قاعدتهم

المنخرمة من ان الحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل ووجوب الصلاح كتغذية زيد لبنا بدلا عن ضربه والاصلح كتغذيته برا بدلا عن ذرة فالله تعالى له ان يثيب العاصي ويعاقب المطيع وان كانت اثابة المطيع وعقاب العاصي واجبين بطريق الشرع لاخباره بوقوعهما ولو قلنا بوجوب الصلاح والاصلح لما وقعت تكاليف ومحن في الدنيا والتالي باطل الا ترى ان الكافر المعذب في الدنيا لا صلاح له في ذلك لكون مئاله النار وكل افعاله تعالى لحكمة وان لم يظهر لنا وجهها في بعض الامور ومن الجائز بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام ومنه رؤية المؤمنين للمولى تبارك وتعالى في الاخرة وقد وقع ذلك في الدنيا لنبينا عليه الصلاة والسلام وليست بمستحيلة كما ادعاه المعتزلة بناء على اصلهم الفاسد من ان الرؤية اشعة تنبعث من العين للمرئيي ونحن معاشر اهل السنة لا نقول بذلك بل هي معنى يخلقه الله تعالى في جزء من العين فلا يلزم على هذا حصره تعالى في جهة كما لزم على كلامهم واعلم ان للرؤية هنا مقامين الاول في وقوعها والثاني في امكانها والحق انها لم تثبت ولم تقع في الدنيا لغير نبينا عليه الصلاة والسلام قال العلماء ومن ادعاها من غيره في الدنيا يقظة فهو ضال باطباق المشايخ حتى ذهب بعضهم الى تكفيره وبعضهم اول كلام بعض الاولياء الذين اوهمت عباراتهم رؤيته تعالى بان غلبة الاحوال تجعل الغائب كالشاهد حتى اذا كثر اشتغال القلب بشيء صار كانه حاضر بين يديه وهذا وجيه ومع ذلك فقد اختلفت الصحابة رضي الله عنهم في ثبوت الرؤية له عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج بل في المعراج من اصله فذهب ابن عباس الى ثبوتها وبه تمسك اهل السنة والسيدة عائشة

رضي الله تعالى عنها الى نفيها وبه اخذ المعتزلة لنا ان ابن عباس مثبت والمثبت مقدم على النافي حتى قال معمر بن راشد ما عائشة باعلم عندنا من ابن عباس والصحيح انه رآه صلى الله عليه وسلم بعيني راسه لا كما زعم بعضهم انهما حولتا لقلبه هذا يقظة واما مناما فقد نقل عن القاضي عياض انه لا نزاع في ثبوتها وقد رآه كثير من السلف رضي الله تعالى عنهم ودليل وقوعها يوم القيامة الكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وناضرة الاولى بمعنى حسنة صفة للوجوه والثانية خبر من النظر واول الجبائي احد شيوخ المعتزلة هذه الاية بحمل النظر على الانتظار والى على الاسمية بمعنى النعمة واما السنة فحديث ابي هريرة ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك، وهذا الحديث مشهور فقد رواه واحد وعشرون من اكابر الصحابة رضي الله عنهم واما الاجماع فقد ثبت في القرون الاولى قبل ظهور اهل المخالفات والبدع واقوى شبه المعتزلة في نفي الرؤية ان الرؤية تستلزم انحصار المرئي في جهة وزمان ومكان وذلك من شان الحوادث وشبهتهم في قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار مندفعة بجعل ال جنسية لا استغراقية فيصدق بعدم رؤيته لبعض الابصار يعني للكفار قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وايضا فيخصص هذه الاية الحديث المتقدم والاجماع واما شبهتهم في الانحصار فاننا نمنع ذلك لما تقدم من ان الرؤية هي قوة يخلقها الله تعالى في جزء من العين فلا تستلزم

ذلك وانما يستلزم ذلك تعريفكم لها بانها اشعة تنبعث من العين للمرئي ونحن لا نقول به فعندنا انه تعالى يرى ونراه في الاخرة بلا كيف ولا انحصار قال الزمخشري في كشافه يهجو اهل السنة

لجماعة سموا هواهم سنة | وجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه فتخوفوا | شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وقال السيد البليدي في الرد عليه

هل نحن من اهل الهوى او انتم | ومن الذي منا حمير موكفه
اعكس تصب فالوصف فيكم ظاهر | كالشمس فارجع عن مقال الزخرفه
يكفيك في ردي عليك باننا | نحتج بالايات لا بالسفسفه
وبنفي رؤيته فانت حرمتها | ان لم تقل بكلام اهل المعرفه
فنراه في الاخرى بلا كيفية | وكذاك من غير ارتسام للصفه

واختلف هل نراه في الاخرة بحدق العين او بجميع الوجه كما هو ظاهر قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ونقل عن ابي يزيد البسطامي انها بكل جزء من اجزاء البدن واليه ذهب ابن الفارض ويرشد لذلك قوله

فان حدثوا عنها فكلي مسامع | وكلي اذا حدثتها السن تتلوا

ودليل امكان الرؤية اية الاعراف وهي قوله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني اذ استقرار الجبل وسكونه امر ممكن والمعلق على ممكن ممكن ومنع المعتزلة ذلك فقالوا ان المعلق عليه مستحيل وهو استقرار الجبل حال التحرك وبالجملة فلهم شبهة قوية في هاته المسالة راجع كتب القوم وفي اثناء كتابة هذا المقام وقعت لنا عوائق كثيرة واحن غزيرة في هاته البلدة التعسة التي لولا قضاء الله والقدر لما بقيت بها طرفة عين وهي زريبة

الوادي فان اهلها اشد جهلا ممن سواهم واقرب الى المنكرات ممن عداهم حتى انني كنت في هذا الوقت على ساق السعي والجد في بناء جامع جمعة في هاته البلد مع بعض الافاضل اذ انها مع كونها قرية صغيرة كان اهلها مفترقين في جمعتهم على ثلاثة جوامع وبعد ما دعوناهم للاجتماع بهذا الجامع اجابوا لذلك مع كمون بعض طبائعهم وارائهم العقيمة تحت طي المكر والخداع وعند ما اخذنا في تشييده وتجديده رجعوا لما كانوا عليه واظهروا العداوة والبغضاء ولبئس ما كانوا يفعلون والى الان فالجامع لا زال معلقا في الهواء من غير سقف يزينه ولا معين يعينه فحق لي ان اتمثل بقول القائل

عجب لتلك قضية واقامتي فيكم على تلك القضية اعجب

وهذا كله بعد ما رجعت من مصر وبعد القراءة بالجامع الازهر الشريف فصرت اتنهد عليها تنهد الثكلى وحماني على العود منها الشوق الى الاهل والوطن وحينما رجعت وجدت انه ليس المنزل بمنزل ولا الوطن بوطن

شعر

رب يوم بكيت فيه فلما كنت في غيره بكيت عليه

فقد ظهر لي الان ان مصر هي معدن الادباء ونادي الظرفاء وما لها بدل فيما رات عيني فقد رايت بها من المحاسن ما لا تحيط به العقول سيما المدارس الفخيمة التي هي منبع الفحول ولا اظن انه يحاكيها في هذا الوقت في العلوم قطر من الاقطار وسائر المطبوعات العلمية المستعملة عندنا اليوم لا تصدر الان منها إلا نادرا وبالجملة ففضلها اجل من ان يحصر فهي الجديرة بقول القائل وهو الحريري

رايت بها ما يملا العين قرة ويسلي عن الاوطان كل غريب

وقد ظهر في قطرنا الجزائري في هـذا الزمان بدع كثيرة واعتقادات فاسدة وقام بها اناس يزعمون علوما وهم اضل من توما الحكيم ان هم إلا كالانعـام بل هم اضل سبيلا يامرون العـوام بالاستمرار على عوائدهم المحدثـة الشنيعة التي هي مصادمة للدين القـويم والصراط المستقيم ومنبع هذه البدع بعض الزوايا فكم في الزوايا من خبايا بالغ فيهم تلامذتهم فاعتقدوا فيهم ما اعتقد النصارى في المسيح فرايت انه من الواجب علي الاقامة بالذب عن شعائر الدين مادمت بين اظهرهم ووافقني على ذلك بعض الافاضل فصرنـا بين مخرق ومرقع او بين بان ومهدم ومن المعلـوم ندرة المرقع والباني لان رجال الحق قليـل ماهم ويحق التمثل بقول الشاعر

متى يبلغ البنيـان يوما تمامه اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

فان بعضا من المستشيخين لم يرتضوا ذلك بل ارتضوا بالبدع ولم يدروا ان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ومن اشعارهم التي هم بها للدين مصادمون

دعوا العوام فهم حشو بجنتكم وانتم لكم الفردوس والسرر

معاذ الله سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم ولعمري ان هؤلاء هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون ومن معارضاتي لهم قولي

يا ايها الرجل الذي غر الورى متبخترا في جبـة الخيلاء
اتعبت نفسك فيما لست تناله ولقد رقمت على وجوه المـاء
اسنح بسمعك كي نريك فذالكا تسموا بها او تدنوا عند تناء
عافت مجاري مياهكم بقر المهـا والثور يضرب عن ورود الشاء
جاؤوا بافك او اساطير الالى ويعارضون جماعـة الفضلاء

القوا عصيهم وخيلوا سحرهم   وعصى الكليم بمحضر الكبراء
من لم يساعد دينه بلسانه   حلت عليه مقالة العلماء
فليتخذ نفقا له في ارضه   او سلما في جو لا لسماء

وهي قصيدة طويلة تحتوي على نحو السبعين بيتا مشتملة على الرد والتشنيع على هذه العقائد الحادثة التي ابتدعها المبتدعون فانا لله وانا اليه راجعون ولنا قصائد كثيرة في هذا الموضوع ومحاضرات في هذا المشروع ضربت عنها صفحا خشية الاطالة ولو لم يجب ويتاكد علينا الخوض في هذا المقام اعني مقام المحدثات والبدع لتركت ذلك سدى لما لاقيت من ذلك وعملت بمقتضى قول القائل

واترك حبها من غير بغض   وذاك لكثرة الشركاء فيه
اذا وقع الذباب على طعام   رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء   اذا كان الكلاب ولغن فيه

وذلك ان كثيرا من القاصرين غلبت عليهم الاهواء فعبروا اودية من الضلال وتقلدوا بدروع الوبال عدلوا عن طريق اهل الحق والورع وخاضوا لججا من المحدثات والبدع فصاروا يعارضون كلام اهل الحق بالاراجيف الظلمانية والاباطيل الشيطانية ولنا قصيدة غراء في مخاطبة هؤلاء فلنات بها وان كانت طويلة تتميما للفائدة وقد نشرتها في جريدة كوكب افريقيا التي تصدر بالجزائر سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة والف عنوانها (زفرات المشي) وهي

كاني بزفرات العشي موكل   وفي الكوكب الافريقي ابدي دواها
اذا دهمتني النوايب برهة   رفعت له الشكوى فامسى مساها
سيخضع اهل السوء من كل منكب   فسيف يراعي كم اباد جباها

واني بحلم في ذوي الحلم عاكف شديد عقاب اذا لاقي سواها
فانت تراني تارة ازعج الملا وحينا كما الخنساء ترثي اخاها
اقول واهل الحي مني بمسمع واغرق عيني في بحار بكاها
اعوذ برب العرش من فئة طغت وما برحت في غيها وعماها
سرت بعد عز في غيابات جهلها سل الرسم والاطلال عما عراها
لتنبيك عما قبل نوح وبعده نواحيها بل افلاكها وسماها
اذا اهتز اهل العلم علما واطربوا وكان عكاظ بالورى يتباهى
على سالف الاعصار اذ سار اهلها بكت ارضنا حتى بكى قمراها
قضى الله عنها والقضاء محتم فما سعدت نفس ورق نهاها
قضى الله عنها بالملاهي ونهجها فما اعشوشبت ارض وبل ثراها
وهذا زمان سابق فتفصما وليتنا ندري هل يعود سناها
لعمرك ما ندري ماذا الله صانع وكل غيوب الدهر لسنا نراها
وان زعم الاقوام ليل كهانة فقد اكذب الكهان شمس ضحاها
وما احد ترمي يداه خطوبه بل الواحد القهار ربي رماها
اريتك عما يضمر القلب والحشا من الناس فينا هل تروود علاها
ام الشعب يبغي سوددا بفراشه ولم تجهد الاقران فيه قواها
وذاك محال عادة غير واقع ومن خطب الحسناء اعطى مناها
اخاطب ذاك الشعب وهو مقامر بابنائه حتى اضمحل عراها
وانصحه نصحا كلقمان لابنه فما ضفرت نفس الهوى بهواها
ولا زلت فيهم واعظا بمواعظي فقبل ناس ثغرها ولماها
فقد احرزوا في العلم والحلم بسطة ستبدي لك الايام ماذا كساها
ولست ابالي بالبهايم رتعا فما نهقت إلّا لفرط جواها

لا لا والذي اجرى ينابيع علمه ... واكسبنا عقلا يحوم حماها
ومذ غض طرف العلم عن طرف الورى ... تيقنت ان الجهل نال ثواها
ومذ قامت الجهال تدعوا لجهلها ... وقد غرها القابها وكناها
علمت بان الحقد منها مسلسل ... وقد نضجت اكبادها وكلاها
فما هو مغن عنهم حسد ولا ... دعاوي علوم ما الفؤاد حواها
فقد فضح المولى مسيلمة وقد ... اراد فجورا همها وعناها
اذا كنت تاتي بالوساوس برهة ... بقالب نصح فالعقول تراها
اعد نظرا فيما كتبت وقف بنا ... نريك بارض المجد زهر رباها
اذا انا لم اؤمن عليك وخلتني ... اريد خطوبا والانام سواها
فقف وقفة الضرغام في زمن الوغى ... تراني فيها حاملا للواها
اردد طرفي كل حين ومقلتي ... وانظر اقطار الورى وفضاها
فما انا راء مثل ارضك خيبة ... ومثلي لا يخفى عليه دهاها
فما كل ارض تنبت العز والعلا ... وما كل نفس تهتدي لهداها
وماذا عسى المجنون ياتي بلهجة ... سوى عبث بالحق فهو جناها
ولم يجد نفعا ذو المعالي وذو الحجا ... فكيف بمجنون يروم رداها
ايرجو اهالي القطر عزا ورفعة ... وفيهم اناس يبتغون عناها
وطال وقوفي بينكم بنصايحي ... وما سمع الاقوام ما ذا عساها
واني وان طال الزمان مواصل ... قريضي وقرض الشعر ابدي عزاها
وان اذرفت عيناي بالدمع ابدعت ... مدامعي وجدا مفرطا وشجاها
واني بالمرصاد من حمر الفلا ... ارد الى الركبان عنها حجاها
وما همني إلّا حدوث بدائع ... ضلالتها والجهل مد خباها
فلا مرحبا منها اذا هي اقبلت ... فالقت عصاها واستقر نواها

وما راعني إلّا انحطاط عزائـم   من الاوج في قومي وفيض مراها
فصارت ربوع الشرع قفرا بلاقعا   وما علم النزال خفض ذراهـا
كان طبع المولى بالباب اهلهـا   فلم يشعروا حتى ارتدوا برداها
امـا الازهر المعمور يرفع سنـة   اما جامـع الخضراء شاد بناهـا
ورب نفـوس بالجهالة توجـت   فلـم تدر مثوى فقرها وغناهـا
ولو هي اثواب المعارف البست   تطـاول مرماهـا وبل صداهـا
ومثلي لا يخفى عليكم حالـه   وان ابـدت الجهال في خناهـا
فسل عني الاعـلام بل وعلومهـا   تجبـني حتما امها واباهـا
وقد طفت في البلدان شرقا ومغربا   وسارت ركابي واستطال سراها
وبالازهر المعمور راحلتي ثوت   وآنست مصرا فالنفوس فداها
فمـا رات العينان مثلهـا نزهة   فيا ليت قومي يرتعون حماهـا
ويا ليت قومي يعلمـون بما ارى   وللروضـة الغناء ترنو قراهـا
وما المرشد المولود يبغي بلابلا   بل يرتجي في العالمين رضاهـا
فلا هو اجرا فيهـم آخذ ولا   يسائلهـم عيشا ويغشو سهاهـا
ونزلا طـرف العين عن حر وما   ولو شاء اظناها وشق عصاهـا
اذا هي في غزل الاباطيل اطنبت   بنقضه انكاثا اراها خطاها
وشد نطاق الحزم واعتنق العلا   وكم خلة قد سدها وكفاها
واني نصحت اليوم والامس قبله   فمدوني منكم منطقا وشفاها

وربما انشدوني حسدا وبغضا قول القائل

لا تنه عن خلـق وتاتي مثلـه   عـار عليك اذا فعلت عظيـم

فانشدتهم قوله قبل تلك البيت

حسدوا الفتى اذلم ينالـوا سعيه   والكل اعـداء له وخصـوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً انه لذميم
ولنرجع لما نحن بصدده فنقول لما انهى المصنف الكلام على ما يجب وما
يستحيل وما يجوز في حقه تعالى من الصفات شرع في براهينها على الترتيب
المتقدم فقال (وجوده) تعالى (له دليل) الدليل عند المناطقة هو قول
مؤلف من مقدمتين يلزم لذاته قول آخر والبرهان قول مؤلف من مقدمتين
يقينيتين لانتاج يقين فالبرهان اخص واعلم ان ما يتوقف عليه الفعل
الممكن ومن جملته المعجزة من الصفات كالعلم والقدرة والارادة والحياة
والصفة النفسية انما يستدل عليه بالدليل العقلي اذ لو استدل على هذه
الصفات بالدليل السمعي لزم الدور لتوقف السمع عليها وهي متوقفة عليه
وما كان مرجعه الى وقوع جائز وهي السمعيات كاحوال القيامة انما
يستدل عليه بالدليل السمعي لكون العقل لو خلي وطبعه لم يصل الى درجة
اقوى من الجواز فيها وما لا يتوقف عليه الفعل الممكن وليس مرجعه
الى وقوع جائز يستدل عليه بالامرين والارجح منهما الدليل السمعي
وذلك كالسمع والبصر والكلام ولوازمها وهل الوحدانية يستدل
عليها بالدليل العقلي لا غير فتندرج في القسم الاول او يستدل عليها بالامرين
فتندرج في القسم الثالث خلاف لا يقال وصف الدليل في كلام الناظم
بكونه قاطعا ظاهر في خصوص البرهان اذ قوله (قاطع) بمعنى حاسم
للنزاع وذلك متحقق في الدليل والبرهان وانما برهن على الوجود ولم
يبرهن على وجوب الوجود لان برهان وجوبه هو عين برهان القدم
والبقاء وقوله (حاجة كل محدث للصانع) اي افتقار العالم الى صانع
ضرورة ان الاثر يدل على المؤثر اشارة الى كبرى الدليل وصغراه
حدوث العالم ونظمه من الشكل الاول هكذا العالم حادث وكل حادث

لا بد له من صانع فينتج العالم لا بد له من صانع والعالم شامل للاعراض والاجرام فلو اردت الاستدلال على حدوث الاعراض قلت الاعراض حادثة لمشاهدة تغيرها وكل متغير حادث ينتج الاعراض حادثة وعلى حدوث الاجرام قلت الاجرام ملازمة للاعراض الحادثة وملازم الحادث حادث ينتج الاجرام حادثة وهذان القياسان هما دليل الصغرى وسياتي له مزيد بيان ودليل الكبرى اشار له بقوله (لو حدثت لنفسها الاكوان) كما زعمت الدهرية فقالوا ان هي إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم إلّا يظنون (لاجتمع التساوي والرجحان و) لكن (ذا محال) اي هذا الاجتماع للزوم التناقض واللام في كلام الناظم للتعليل والاكوان جمع كون وهي الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والمراد هنا ما يعم كل الحوادث وبيان ذلك ان كل حادث وجوده وعدمه سواء فيحتاج الى مخصص يخصصه بالوجود او العدم بدلا عن الاخر فلو كان وجوده بنفسه من غير مخصص للزم الترجيح من غير مرجح والفرض التساوي وهذا باطل وهذا الدليل استثنائي ودليل الصغرى اقتراني واليه الاشارة بقوله (وحدوث العالم) وهو ما سوى الله تعالى ناشيء (من حدث) اي حدوث (الاعراض) لمشاهدة تغيرها من الحركة الى السكون مثلا وبالعكس (مع تلازم) بين الاجرام والاعراض وملازم الحادث حادث وقد تقدم بيان ذلك واعلم ان برهان حدوث الاجرام القائل الاجرام ملازمة للاعراض الحادثة وملازم الحادث حادث يتوقف على اثبات اربعة امور اثبات امر زائد على الاجرام وحدوث ذلك الزائد وملازمة الاجرام لذلك الزائد واثبات استحالة حوادث لا اول لها والامر الثاني وهو

حدوث الزائد يتوقف على امور اربعة ايضا ابطال قيام ذلك الزائد بنفسه وابطال انتقاله وابطال كونه وظهوره واثبات استحالة عدم القديم فجملة هذه الامور سبعة وتسمى المطالب السبعة الاول اثبات زائد على الاجرام الثاني ابطال قيامه بنفسه الثالث ابطال انتقاله الرابع ابطال كمونه وظهوره الخامس اثبات استحالة عدم القديم السادس اثبات كون الاجرام لا تنفك عن ذلك الزائد السابع اثبات استحالة حوادث لا اول لها وذلك لان للفلسفي القائل بقدم العالم ان يقول معترضا على الصغرى لا نسلم وجود زائد على الاجرام المعبر عنه بالاعراض وجوابه ان ذلك ضروري اذ ما من عاقل إلّا ويحس في نفسه معاني زائدة على ذاته سلمنا وجود الزائد فلا نسلم حدوثه لم لا يكون قبل طروه على الجسم قائما بنفسه او انتقل له من جرم آخر او كان كامنا فيه ثم ظهر فهو في هذه الثلاث قديم وجواب الصورتين الاولين انه لو قام العرض بنفسه او انتقل للزم قلب الحقائق فيصير العرض جوهرا لان القيام بالنفس والانتقال من لوازم الاجرام الخاصة بها وجواب الصورة الثالثة ان الكمون والظهور يؤدي الى اجتماع الضدين في المحل الواحد فيلزم على ذلك ان يكون الجرم متحركا في حال سكونه او ساكنا في حال حركته وهذا محال او لم لا يكون ذلك الزائد قديما قام بالجرم ثم انعدم وجوابه ان القديم لا ينعدم اذ لو انعدم لكان وجوده جائزا لا واجبا سلمنا حدوثه فلا نسلم ان الاجرام ملازمة لذلك الزائد لم لا يجوز انفكاكها عنه وجوابه ضروري اذ لا يحكم عاقل بعرو الجسم عن الحركة والسكون لما يلزم على ذلك من ارتفاع النقيضين وهما حركة لا حركة وسكون لا سكون او يقول سلمنا الصغرى لكننا لا نسلم

الكبرى القائلة وملازم الحادث حادث لماذا لا يمكن اثبات حوادث لا اول لها كحركات الفلك فهي متجددة في كل وقت لكنها لا مبدأ لها وجوابه اذا كان كل فرد من افراد الحوادث حادثا في نفسه فعدم جميعها ثابت في الازل ثم لا يخلو اما ان يقارن ذلك العدم فرد من الافراد الحادثة اولا فمع الاقتران يلزم اجتماع وجود الشيء مع عدمه وهذا محال وان لم يقارن ذلك العدم شيء من الافراد الحادثة لزم ان لها اولا لخلو الازل عن جميعها في هذا الفرض وهذا هو المطلوب وقد جمع بعضهم هذه المطالب السبعة في بيت فقال

زيد ما قام ما انتقل ما كمنا ما انفك لا عدم قديم لاحنا

وقوله لاحنا نحت من استحالة حوادث لا اول لها فهذا ما يتعلق ببرهان الوجود على طريق اهل النظر فلو لم يكتف بالتقليد في هذا المقام كماهو قول الاشعري رضي الله تعلى عنه للزم تكفير العوام وهم غالب المؤمنين وقد شنع عليه بعض العلماء في ذلك قال العلامة البناني في حواشيه على الجلال المحلي على جمع الجوامع رد التشنيع المذكور بان المعتبر النظر على طريق العامة كما مر قال التفتازاني في شرح المقاصد ليس الخلاف فيمن يسكن دار الاسلام من الامصار والقرى والصحارى فانهم يتفكرون في خلق السموات والارض بل فيمن نشأ في شاهق جبل واخبره مخبر بوجوب الايمان فئامن من غير تفكر هذا حاصل كلامه والحاصل ان العوام ليسوا مقلدين بل هم ناظرون نظرا شرعيا لما تقدم في كلام الاعرابي فلا يلزم تكفيرهم اه ثم اشار الى برهان القدم بقياس استثنائي فقال (لو لم يك القدم وصفه) تعلى قائما به (لزم) ان يكون حادثا لانه لا واسطة بين الحدوث والقدم فيلزم (حدوثه دور) والدور هو توقف

الشيء على ما يتوقف عليه ويسمى دورا مصرحا ان كان بمرتبتين كما لو فرضنا ان زيدا اوجده عمرو وعمرو اوجده زيد ومضمرا ان كان بمراتب كما لو فرضنا ان زيدا اوجده عمرو وعمرو اوجده بكر وبكر اوجده زيد فلو فرض حدوث زيد لكان حدوثه مكتسبا ممن بعده مباشرة او بواسطة وما بعده مكتسب حدوثه من الاول كما هو الفرض والموضوع فلزم ان يكون كل منهما احدث الاخر وهذا دور وهو محـال لما يلزم عليه من سبق الشيء على نفسه للقاعدة المقررة ان السابق على السابق على شيء سابق على ذلك الشيء ولا يخفى عليك ذلك بعد هذا التقرير فمولانا تبارك وتعالى لو كان حادثا لاحتاج الى محدث والمحدث الثاني يحتاج الى محدث ثالث والمحدث الثالث يحتاج الى الاول ان قلنا بالدور فالمحدث الاول المتوقف على الثـاني المتوقف على الثالث المتوقف على الاول لفرض الدور متوقف على الاول فلزم عليه سبق الاول على نفسه او يلزم حدوثه (تسلسل) وهو ترتب امور غير متناهية في جانب الماضي وهو محال لما يلزم عليه من فراغ ما لا نهاية له اذ يلزم على ذلك انه مهما كانت حركة من حركات الفلك إلّا وفرغ قبلها حركات لا نهاية لها وهذا باطل لكون الفراغ يقتضي انتهاء الطرفين والفرض في التسلسل عدم التناهي فلزم التناقض وعبارة المحقق الدسوقي في هذا المقام ووجه اداء التسلسل لفراغ ما لا نهاية له يظهر ببرهان التطبيق وببرهان الاحكام وتقرير الاول ان تقول لو وجدت حوادث لا اول لها لامكن ان يفرض من المعلول الاخير الى غير النهاية في جانب الماضي جملة ومما قبله بواحد مثلا الى غير النهاية جملة اخرى ثم تطبق الجملتين بان تجعل الاول من الجملة الاولى بازاء الاول من الجملة الثانية

فان كان بازاء كل واحد من الاولى واحد من الثانية كان الناقص مساويا للكامل وهو محال وان لم يكن فان وجد في الاول ما لا يوجد بازائه شيء في الثانية فتنقطع الثانية وتتناهى ويلزم منه تناهي الاولى لانها لا تزيد على الثانية إلّا بقدر متناه والزائد على المتناهي بقدر متناه يكون متناهيا بالضرورة وتقرير الثاني ان تقول لو وجدت حوادث لا اول لها للزم صحة الحكم عند وجود كل حادث بانه فرغ وانقضى قبله حوادث لا اول لها فيحكم على الحركة الحاصلة في يوم الاثنين مثلا انه فرغ قبلها حركات لا نهاية لها وكذلك يحكم عند وجود الحركة الحاصلة في يوم الاحد وكذلك يحكم عند وجود الحركة الحاصلة في يوم السبت وهكذا ونحن نازلون بجانب الماضي فان قالت الفلاسفة القائلون بوجود حوادث لا اول لها ان جنس هذا الحكم الحاصل عند كل حركة ازلي لا مبدا له كانت الحركات المحكوم عليها كذلك فما من حركة من حركات الفلك إلّا ويصح الحكم عليها بانه انقضى قبلها حركات لا نهاية لها لزم على كلامهم ان جنس الحركات ازلي وكذلك جنس الاحكام ازلي لا مبدا له ومن المعلوم ان المحكوم عليه يجب تقدمه على الحكم فيلزم اذن تقدم الحركات على الحكم والسبقية عليه تنافي ازليته فلزم ان الحكم الذي لا يتناهى متناه وان قالوا ان جنس الاحكام ليس ازليا بل له مبدا وهو الف حركة مثلا ماضية اعتبر نهايتها من الان بمعنى انه يصح الحكم عند نهاية هذه الحركات الالف اعني حركة اليوم انه انقضى قبلها حركات لا نهاية لها وكذلك يصح الحكم على حركة البارحة وعلى حركة اليوم الذي قبله وهكذا الى اول الحركات فنقول لهم اذا حكمنا على الحركة التي هي مبدا الالف بانه فرغ قبلها حركات

لا نهاية لها ووقفنا ولم نحكم على الحركة التي قبل الالف لكونها خارجة
عن مبدا الحكم فعدم الحكم على تلك الحركة التي قبل الالف بانه فرغ
قبلها حركات لا نهاية لها انما هو لكون الحركات التي قبلها متناهية اذ
لو كان ما قبل تلك الحركة التي هي مبدأ الالف غير متناه لصح الحكم
والفرض انه لا يصح فصار ما قبل مبدأ الالف متناهيا وقد حكمنا على مبدأ
الالف مضموما لما قبله بعدم النهاية فصار ما قبل الالف الذي هو متناه غير
متناه بزيادة واحد عليه وهو مبدأ الالف ومن المعلوم ان صيرورة المتناهي
غير متناه بزيادة واحد عليه باطل اذ مجموع المتناهيين وهما الواحد
المزيد الذي هو مبدأ الالف والعدد الذي قبل مبدأ الالف المزيد عليه متناه
قطعا فقول الشارح لانه يؤدي الى فراغ ما لا نهاية له هذا على تقدير
ان الاحكام ليس لها اول واما على تقدير ان لها اولا فاللازم له ان ما
يتناهى يصير لا يتناهى بزيادة واحد والحاصل ان تلك الاحكام اما ان
يكون لها اول اولا فان كان لها اول بحيث انتهت الاحكام الى واحد
لا يصح الحكم بعده لزم ان ما يتناهى لا يتناهى بزيادة واحد وان لم
يكن للاحكام اول لزم ان تكون الاحكام مسبوقة الجنس وهي ازلية
بحوادث يحكم بفراغها وهي ايضا ازلية الجنس والسابقية تنافي
الازلية فلزم ان ما لا يتناهى ينقضي فدل انقضاؤها على تناهيها وهو المطلوب
اه بحروفه وقوله (حتم) بمعنى تحتم بدل من لزم وحاصل برهان
القدم انه لو كان تعالى حادثا لا احتاج الى محدث والمحدث الى محدث
وهكذا فان انحصر العدد بان توقف الاخر على الاول فيلزم الدور وهو
محال لما تقدم وان استمر الى ما لا نهاية له فيلزم التسلسل وهو محال
ايضا لما تقدم فما ادى الى المحال وهو الحدوث محال فيثبت ضده وهو

القدم وفيما ذكرت من مسالة الدور والتسلسل كفاية فقد افردت بالتاليف ثم اشار الى برهان البقاء بقوله (لو امكن الفناء) اي طرو العدم (لا نتفى القدم) لكون وجوده تعلى يصير حينئذ جائزا لا واجبا فيكون حادثا لان كل ما جاز عليه العدم استحال عليه القدم كيف وقد تقدم قريبا ثبوت قدمه بالبرهان فما ادي الى خلافه وهو الفناء باطل فثبت نقيضه وهو البقاء وحاصل نظم هذا القياس ان تقول لو امكن فناؤه تعالى لكان حادثا لكن حدوثه محال ففناؤه محال فثبت البقاء دليل الملازمة ان كل ما جاز عليه العدم استحال عليه القدم ودليل الاستثنائية ما تقدم في برهان القدم ثم اشار الى برهان مخالفته تعالى للحوادث بقوله (لو ماثل) مولانا تبارك وتعالى (الخلق) اي مخلوقاته وجملة (حدوثه انحتم) جواب لو وان كانت اسمية على راي من يجوز ذلك وهذا قياس استثنائي مركب من مقدمتين شرطية متصلة وهي كبرى الدليل واستثنائية وهي صغراه فالكبرى فيه مقدمة على الصغرى بعكس الاقتراني وحذف النتيجة من البراهين الاستثنائية هنا وكذلك صغراها لما سيشير الى الصغرى اعني الاستثنائية بقوله والتالي في الست القضايا الخ فهذه الجملة في قوة الاستثناء والى النتيجة بقوله مقدم اذن مماثل وهذا ضابط كل برهان استثنائي مما تقدم وما ياتي وحاصل هذا البرهان ان تقول لو ماثل مولانا تبارك وتعالى الحوادث لكان حادثا مثلها لفرض المماثلة لكنه لم يكن حادثا لما يلزم على ذلك من الدور او التسلسل فهو مخالف لها ولك ان تقول لو ماثل الحوادث مع فرض الوهيته لادى الى التناقض للزوم القدم لالوهيته والحدوث للمماثلة لكن التناقض محال فما ادى اليه وهو المماثلة للحوادث محال فثبت

مخالفته تعالى للحوادث ومن القواعد المقررة ان تنافي اللوازم يدل على تنافي الملزومات ثم اشار الى برهان قيامه تعالى بنفسه بقوله (او لم يجب وصف) اي صفة (الغنى) المطلق المتقدم المعبر عنه بالقيام بالنفس والاضافة للبيان و (له) متعلق بيجب (افتقر) لكن افتقاره باطل فعدم وصفه بالغنى باطل فثبت نقيضه وهو وصفه بالغنى المطلق وهو المطلوب بيان ذلك ان المراد بالغنى عدم احتياجه الى ذات يقوم بها قيام الصفات لكونه ليس بصفة ولا الى مخصص يخصصه بالوجود لكونه واجب الوجود لذاته دليل الاول انه لو افتقر الى ذات لكان صفة اذ الذات لا تقوم بالذات وكونه صفة باطل لان مولانا تبارك وتعالى متصف بالصفات والصفة لا تتصف بالصفات فينتج من الشكل الثاني مولانا تبارك وتعالى ليس بصفة ودليل الثاني انه لو افتقر الى مخصص لكان حادثا لكون وجوده حينئذ يصير جائزا لكنه ليس بحادث للزوم الدور او التسلسل فلا يفتقر الى مخصص واعلم ان المراد بالحوادث العالم وهو ما سوى الله تعالى من الموجودات مما يعلم به مولانا تبارك وتعالى كعالم الاجسام وعالم الاعراض وعالم الحيوان وعالم النبات وغير ذلك وقولنا هو ما سوى الله تعالى اي وصفاته لان صفاته تعالى عين الذات على ما تقدم والعالم اعيان واعراض الاول ما قام بنفسه والثاني ما قام بغيره وما يقوم بنفسه اي بذاته اما مركب من جزءين فصاعدا وهو الجسم وقيل لا بد من ثلاثة اجزاء وقيل غير ذلك او غير مركب وهو الجوهر الفرد وهو الجزء لا يتجزأ والجوهر الفرد ثابت عند اهل السنة وان لم ير عادة إلا بانضمامه لغيره ونفاه الحكماء ومن العالم الزمان والمكان والزمان هو مقارنة متجدد موهوم بمتجدد

معلوم ازالة للابهام كما تقول آتيك طلوع الشمس فالاتيان متجدد موهوم قورن بمتجدد معلوم وهو طلوع الشمس والمكان هو السطح الباطن للحاوي المماس للسطح الظاهر من المحوي ومما تقدم تعلم ان الجوهر تارة يكون مفردا وتارة يكون مركبا والاول هو الجوهر الفرد والثاني الجسم فالجسم مركب من الجواهر الفردة وهذا هو مذهب المتكلمين قال العلامة العطار في حواشي جمع الجوامع والذي يعتد به من المذاهب في حقيقة الجسم ثلاثة الاول للمتكلمين انه من الجواهر الفردة المتناهية العدد الثاني للمشائين من الفلاسفة انه مركب من الهيولى والصورة الثالث للاشراقيين منهم انه في نفسه بسيط كما هو عند الحس ليس فيه تعدد اجزاء اصلا وانما يقبل الانقسام بذاته ولا ينتهي الى حد لا يبقى معه قبول انقسام قال في المواقف وشرحه ولا محيص لمن اعترف بتجانس الجواهر الافراد وتماثلها في الحقيقة كالاشاعرة قاطبة واكثر المعتزلة عن جعل الاعراض داخلة في حقيقة الجسم فيكون الجسم حينئذ جواهر مع جملة من الاعراض منضمة الى ذلك الجوهر اذ لو كانت مؤلفة من الجواهر المتجانسة وحدها لكانت الاجسام كلها متماثلة في الحقيقة وانه باطل بالضرورة واما النظام والنجاد فقالا ان الجواهر اذا تركبت من اعراض مختلفة فهي مختلفة واذا تركبت من اعراض متجانسة فمتجانسة قالا ولذلك اتصفت الاجسام المؤلفة تارة بالتخالف واخرى بالتماثل اه اقول النظام بتشديد الظاء اسمه ابراهيم بن سيار بتقديم السين على المثناة التحتية تلميذ الجاحظ وكلاهما من شيوخ المعتزلة واصحاب المقالات فان المعتزلة افترقوا عشرين فرقة وقد كان النظام في غاية الذكاء كما ان شيخه

الجاحظ في غاية البيان و الاقتدار عليه وفي غاية من قبح الوجه ايضا حتى قيل فيه

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ما كان إلا دون مسخ الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه وهو القذى في عين كل ملاحظ

وللجاحظ تاليفات اودع فيها من حسن البيان والفنون المتنوعة ما انفرد به عن غيره ومن نظر في تصانيفه علم صدق هذا المدعى لا سيما كتاب الحيوان و كتاب البيان والتبيين وقد رايتهما ولا يكادان يوجدان بديارنا وانما رايتهما بالقسطنطينية وله تاليف اخر ليست على اسلوب غيرها من المؤلفات واما النظام فلم نر له تاليفا وكل منهما له مذهب اعتزالي وطائفة تتبعه وقد نقل المتكلمون عنهما بعض مقالاتهم في تاليفهم وهذا النظام مع شدة ذكائه واطلاعه على كتب كثير من العلوم الحكمية صدرت عنه تلك المقالات التي لا تكاد تصدر عن عاقل منها ما نقلناه هنا ومنها الطفرة التي اشتهرت اظافتها اليه فقيل طفرة النظام ومنها قوله بعدم بقاء الاجسام وانها متجددة آنا فآنا كالاعراض وكم للمعتزلة من اقاويل كلها هذيان وتضليل فسبحن من تنزه عن شوائب النقص اهـ قلت حاصل مذهب النظام والنجاد في هاته المسالة ان مثل الاكوان والاعتقادات والالام واللذات وما اشبه ذلك اعراض لا مدخل لها في حقيقة الاجسام وفاقا واما الالوان والاضواء والطعوم والاصوات والروائح والكيفيات الملموسة من الحرارة والبرودة وغيرها فهي عندهما جواهر بل اجسام محققة ومن هنا جاء الخلاف وحاصل كلام النظام في الطفرة انه يقول ان الجسم مركب من اجزاء لا نهاية لها فاشتهر عنه هذا المذهب فالزم بانه لو كان كذلك

لتوقف قطع المسافة المحدودة على حركات غير متناهية في ازمنة غير متناهية اذ ان اجزاء المسافة غير متناهية كما هو موضوع الفرض وقطع المسافة موقوف على قطع اجزائها فاجاب عنها بالطفرة وهي قطع مسافة من غير حركة فيها وقطع لاجزائها ورد بانه من الشواهد الحسية لبطلانها انا نمد القلم فيحصل خط اسود من غير ان يبقى في خلاله اجزاء بيض وليس ذلك لفرط اختلاط الاجزاء البيض بالسود بحيث لا تمتاز عند الحس لان الاجزاء الممشوقة بالقلم اقل من المطفور عنها بكثير كيف وان هذه غير متناهية فينبغي ان يقع حينئذ الاحساس بالبيض وزعم بعضهم ان الباعث للنظام على القول بتجدد الجواهر هو الباعث للاشعري رضي الله تعالى عنه بتجدد الاعراض وهو قياس مع الفارق وحكي ان بعض تلامذة النظام لما راى مذهبه تشهد ببطاله الضرورة ضربه بكف مؤلم فالتفت اليه النظام جزعا وهم بضربه فقال له التلميذ قد عدم الضارب والمضروب وتجدد سواهما فلا انا ضارب ولا انت مضروب فبهت والقم حجرا بهذا الكف المولم قال شيخنا محمد بخيت في كتابه القول المفيد وعلى كل حال سواء قلنا ان الاجسام مركبة من اجزاء لا تتجزا كما هو الحق والواقع او من هيولى وصورة كما هو راي الفلاسفة الاقدمين المشائيين او من الصورة الجسمية والاعراض الشخصية كما هو راي الاشراقيين او من اجسام صغيرة صلبة كما هو راي ذي مقراطيس فكلها حادثة ولم يقل احد ممن يعتد به من العقلاء بقدمها بالمعنى الذي اشتهر عنهم وكفروهم به وابن سينا مع انتصاره للقدماء المشائيين صرح في الشفاء في مبحث العلة بما يقتضي حدوث العالم على الوجه الذي قلنا وعلى هذا فمعنى القدم الذي قالوه هو القدم بالزمان على الوجه الذي بيناه

الى ان قال فليس العلم بتركبها من اجزاء لا تتجزا عقيدة واجبة على المكلف ولا مما يتوقف عليه عقيدة الحدوث خلافا لمن زعم ذلك كما ان معنى قول الفلاسفة بقدم النوع ان آحاد الحوادث لا اول لها بمعنى انها لا تقف عند حد تنتهي اليه من جانب الماضي وهو ما يسمى بحوادث لا اول لها وان القول بذلك ليس كفرا ولا يستلزم كفرا لما قد علمته من ان كون الحوادث لا اول لها لا ينافي الحدوث الذي هو الوجود بعد العدم الذي هو العقيدة الواجبة على المكلف ولذلك لم يشتغل السلف الصالح بالبحث عن شيء من ذلك ولم يرد منه شيء في تعاليم اهل القرون الثلاثة المشهود لها بانها خير القرون اه وبهذا تعلم ما في بعض كتب اهل التوحيد من انه يلزم على تفسير الفلاسفة للجسم بما ذكر قدم العالم فانه ناشيء من عدم دقة النظر والتامل والهيولى كلمة يونانية معناها الاصل والمادة ثم انه قال الشهاب الخفاجي استعمال الجوهر لمقابل العرض مولد وليس في كلام العرب بهذا المعنى واما الجوهر المعروف فقيل معرب وقيل عربي وكتب ابو الحسن الصميري الى ابي بكر بن دريد سائلا له عن مسائل من جملتها وقد زعم قوم من اهل الجدل ان العرب سمت باسماء تادت اليها بصورها ولم يعرفوا معانيها وحقائقها فهل يجوز عندك ان توقع العرب اسماء على ما لا معنى تحته يعرفونه فاجاب بانه ليس في كلامهم من اسم هزل ولا جد إلا وتحته معنى ولكنهم لم يكونوا يذهبون بالعرض مذاهب المتفلسفة ولا طريق اهل الجدل وان كان مذهبهم فيه لمن تدبر مطابقا لغرض الفلاسفة والمتكلمين في حقيقته لانهم يذهبون بالعرض الى اسماء منها ان يضعوه موضع ما اعترض لاحدهم من حيث لم يحتسبه كما يقال علقت فلانة عرضا اي اعتراضا من حيث لم اقدره قال الاعشى

علقتها عرضا وعلقت رجلا غيري وعلق اخرى ذلك الرجل

وقد يضعونه موضع ما لا يثبت ولا يدوم وقد يضعونه لما يضعف ويقل فكان المتكلمين استنبطوا العرض من هذه المعاني والجوهر انما استعمله العرب في الشيء النفيس فنقله المتكلمون الى ما قابل الاعراض لانه اشرف منها وكذلك نحو كافر وفاسق ومنافق فهذه الاسماء مولدة باشتقاقها من معاني موجودة في كلام العرب والاشتقاق فيها ظاهر والضمير في قول الاعشى علقتها يعود على هريرة من قوله

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل

وما ذكرته من انقسام العالم الى اعيان واعراض هو مذهب جمهور المتكلمين وزاد الحكماء والغزالي قسما ثالثا وهو الجواهر المجردة كالنفس والعقل والملائكة فانها على مذهبهم ليست جسما ولا جسمانيا قال العلماء والنشاة الانسانية هي مظهر جميع الاسماء والصفات اذ قد اجتمع فيها جميع الحقائق من المجردات والماديات واللطائف والكثائف فهو انموذج لجميع العالم ولذلك يعبر عنه بالعالم الصغير وربما عبر عنه بالعالم الكبير قال الامام علي كرم الله وجهه

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصر

وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

وانت الكتاب المبين الذي باحرفه يظهر المضمر

اذا علمت ذلك تعلم ان مولانا تبارك وتعالى ابدع في هذه العوالم العجائب والغرائب فتبارك الله احسن الخالقين وما احسن قول بعضهم

وفي كل شيء له اية تدل على انه الواحد

وهو غني عن كل ما تحتاج اليه العوالم التي هي في غاية الصنع والاتقان

اذ ان صفات الحوادث وان كانت حسنة جدا بالنسبة اليها فانها نقص في حق مولانا تبارك وتعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد والعالم كله محتاج بعضه لبعض وبالخصوص نوع الانسانية لضرورة التعاون البشري اذ لو ارتفع الانسان مهما ارتفع لم يتجاوز مرتبة الملكية والسلطنة فيحتاج الى الرعية اذ لا يتقوم ملك بدون رعية فكيف لا يحتاج الى ملك الملوك الذي جل شانه وعز سلطانه واعلم اننا مامورون بالنظر في مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته وقد حثنا الشرع على ذلك لان ذلك طريق معرفة الصانع كما تقدم بيانه قال تعالى او لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموت والارض وما بينهما إلّا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون وقال تعالى وفي الارض ءايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وقال تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت وقال تعالى ان في خلق السموت والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون وروي انه ما انزل الله من كتاب إلّا وفيه اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك والى ذلك يشير امير المؤمنين كرم الله وجهه

كيفية النفس ليس المرء يعرفها فكيف كيفية الجبار في القدم
هو الذي انشا الاشياء مبتدأ فكيف يدركه مستحدث النسم

ثم اشار الى برهان الوحدانية ولها برهانان برهان تمانع وبرهان

توارد ويجمع البرهانين قوله (لو لم يكن) مولانا تبارك وتعالى (بواحد) والباء فيه زائدة كما قال ابن مالك

وبعد ما وليس جر البا الخبر   وبعد لا ونفي كان قد يجر

وذلك بان كان متعددا الخ وانما جمعهما لان مضمون قوله (لما قدر) وهو العجز لازم للامرين تقول في برهان التوارد لو كان الاله متعددا واتفق الكل على ايجاد ممكن ما فلا جائز ان ينفذ مرادهما معا للزوم تحصيل الحاصل ولا ان ينفذ مراد احدهما دون الاخر للزوم عجز من لم ينفذ مراده فالاخر مثله في العجز لفرض المماثلة ولا ان ينفذ مراد احدهما في جزء من الممكن ومراد الاخر في جزئه الاخر للزوم عجز كل واحد منهما عن جزء غيره والعاجز عن الجزء عاجز عن الكل وكل من العجز وتحصيل الحاصل محال فما ادى اليه وهو التعدد محال فثبت نقيضه وهو الوحدانية وفي برهان التمانع لو اختلفا في الايجاد والاعدام فلا جائز ان ينفذ مرادهما معا لاستحالة الجمع بين النقيضين ولا ان لا ينفذ مراد واحد منهما لاستحالة رفع النقيضين ولا جائز ان ينفذ مراد احدهما دون الاخر لما يلزم من عجز من لم ينفذ مراده فالاخر حينئذ مثله في العجز للمماثلة المفروضة وكل من جمع ورفع النقيضين والعجز محال فما ادى اليه وهو التعدد محال فثبت نقيضه اي الوحدانية وهو المطلوب ومن هنا تعلم بطلان مذهب القدرية من ان العبد يخلق افعال نفسه الاختيارية لانه لو كان للعبد قدرة حادثة مؤثرة مثل قدرته تعالى للزم على ذلك ما لزم في البرهانين المتقدمين بل العبد له قدرة حادثة يوجد الفعل عندها لا بها وليس مجبورا كالريشة المعلقة في الهواء كما هو مذهب الجبرية قال بعض الشعراء منهم معترضا على اهل السنة

ما حيلة العبد و الاقدار جارية　عليه في كل حال ايها الرائي
القاه في اليم مكتوفا وقال له　اياك اياك ان تبتل بالماء

فاجابه بعض الشعراء من اهل السنة بقوله

ان حفه اللطف لم يمسسه من بلل　ولم يبال بتكتيف والقاء
وان يكن قدر المولى بغرقته　فهو الغريق ولو القي بصحراء

ففي المسالة ثلاثة مذاهب خيرها اوسطها فقد خرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فالله تعالى هو المؤثر في الكائنات ولا تاثير لغيره تعلى في اثر ما فمن ادعى ان بيده مطرا او ارحاما او غير ذلك من الممكنات فقد ادعى الشركة معه تعلى ومن اعتقد ان النفع او الضر يقع من غيره تعلى فهو كالذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله إلا اله واحد وما ورد في الشرع مما يوهم ذلك فهو من باب المجاز العقلي فاسمع هذا ولا تغتر بكلام بعض مدعي التصوف في هذا الوقت وبعض المغفلين من متفقهة العصر في ان الولي له تصريف في الكون فان كان مرادهم التصريف الحقيقي فهذا كفر صراح وامر غير مباح لان محل صدور ذلك انما هو الفاعل المختار او المجازي فليس مختصا بهم لان الافعال الاختيارية ثابتة لكل العباد فالاولياء لم يصلوا الى مقام يشاركون فيه مولانا تبارك وتعلى عما يقوله الجاهلون والكرامات انما يجريها الله تعلى على ايديهم من غير دخل لهم في ايجادها وإلا لكانوا شركاء لا اولياء ولو حضر الامام الجنيد رضي الله عنه والامام الغزالي حجة الاسلام وامثالهما من المتقدمين من اهل التصوف لبعض من عاصرناه من اهل الدعاوي والبدع لقالوا انا برآء مما انتحلته هذه الذئاب المؤيدة لطريقتهم بالملاهي والالعاب قال الاديب ابن خلدون ثم ان هؤلاء

المتاخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم الى الحلول والوحدة كما اشرنا اليه وملؤوا الصحف منه مثل الهروي في كتب المقامات له وغيره وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائيلي في قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للاسماعيلية المتاخرين من الرافضة الدائنين ايضا بالحلول والهية الايمة مذهبا لم يعرف لاولهم فاشرب كل واحد من الفريقين مذهب الاخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه راس العارفين يزعمون انه لا يمكن ان يساويه احد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لاخر من اهل العرفان وقد اشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول التصوف منها فقال جل جناب الحق ان يكون شرعة لكل وارد او يطلع عليه إلّا الواحد بعد الواحد وهذا الكلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وانما هو من انواع الخطابة وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الابدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء حتى انهم لما اسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه اصلا لطريقتهم وتخليهم رفعوه الى علي رضي الله عنه وهو من هذا المعنى ايضا وإلّا فعلي رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة في لباس ولا حال بل كان ابو بكر وعمر رضي الله تعلى عنهما ازهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثرهم عبادة ولم يختص احد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص بل كان الصحابة كلهم اسوة في الدين والزهد والمجاهدة يشهد لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في امر الفاطمي

وما شحنوا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي او اثبات وانما هو ماخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي الى الحق هذا كلام الامام ابن خلدون في هذا المقام ونقل العلامة العطار في حواشي جمع الجوامع الرد والتشنيع على بعض المتصوفة في قولهم انا نعبد الله تعلى لا لخوف من ناره ولا لطمع في جنته بان هذا كلام لا يليق بالحضرة الالهية اذ ان ما عظمه الشارع يجب تعظيمه ومفهوم كلامهم انهم لا يعبؤون بذلك وفي الحقيقة هذه الكلمة شنيعة جدا لا ينبغي التفوه بها وقائلها حاول التجول في فنون الشكر فاستغرق في بحار النكر وقال شمس الفضلاء العلامة ابن خلدون في موضع آخر واما المتصوفة فلم يكن المتقدمون منهم يخوضون في شيء من هذا وانما كلامهم في المجاهدة بالاعمال وما يحصل عنها من نتائج المواجد والاحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله تعلى عنه والقول بامامته وادعاء الوصية له بذلك من النبي صلى الله عليه وسلم والتبري من الشيخين كما ذكرناه في مذاهبهم ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالامام المعصوم وكثرت التآليف في مذاهبهم وجاء الاسماعيلية منهم يدعون الوهية الامام بنوع من الحلول وآخرون يدعون رجعة من مات من الايمة بنوع التناسخ وآخرون ينتظرون مجيء من يقطع بموته منهم وآخرون منتظرون عود الامر في اهل البيت مستدلين على ذلك بما قدمناه من الاحاديث في المهدي وغيرها ثم حدث ايضا عند المتاخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول والوحدة فشاركوا فيها الامامية والرافضة لقولهم بالوهية الايمة وحلول الاله

فيهم وظهر منهم ايضا القول بالقطب والابدال وكانه يحاكي مذهب الرافضة في الامام والنقباء واشربوا اقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم حتى لقد جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقة ان عليا رضي الله عنه البسها الحسن البصري واخذ عليه العهد بالتزام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالجنيد من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه بل الصحابة كلهم اسوة في طرق الهدى وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع قوية يفهم منها ومن غيرها مما تقدم دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه وظهر منهم ايضا القول بالقطب وامتلات كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتاخرين من المتصوفة بمثل ذلك في الفاطمي المنتظر وكان بعضهم يمليه على بعض ويتلقنه بعضهم عن بعض وكانه مبني على اصول واهية من الفريقين وربما يستدل بعضهم بكلام المنجمين في القرانات وهو من نوع الكلام في الملاحم وياتي الكلام عليها في الباب الذي يلي هذا واكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة من المتاخرين في شان الفاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب عنقاء مغرب وابن قيسي في كتاب خلع النعلين وعبد الحق بن سبعين وابن ابي واطيل تلميذه في شرحه لكتاب خلع النعلين واكثر كلماتهم في شانه الغاز وامثال وربما يصرحون في الاقل او يصرح مفسر ثم اطال الكلام في مذاهبهم في امر الفاطمي وردها فانظره تزدد علما فتامل وتدبر ولا تكن من الذين يبادرون بالتشنيع والنكير من غير ان يلتمسوا دليلا ولا يزيدون على معارضة الادلة القطعية من ان يجعلوا في معارضتها قالا او قيلا فاؤليك قد حطت عليهم البلادة رحالها وعلقت الجهالة بهم آمالها وما احسن قول القائل

لنقل حجارة في يوم حــر ونقش بالاظافر في الحــديد
اخف علي من ايصــال معنى دقيق افهم ذي ذهن بليــد

ولما قدم براهين الصفة النفسية وصفات السلوب اتبعها ببراهين صفات المعاني والمعنوية وهي قسمان قسم يتوقف على الادلة العقلية لكونه يتوقف عليه الفعل الممكن عقلا وقسم يتوقف على الادلة النقلية لكونه يتوقف عليه الفعل الممكن شرعا والاول اربعة والثاني ثلاثة وبدأ بالاول لان الدليل العقلي يفيد اليقين بمجرد انتظام مقدماته لانه لا يتركب إلا من المقدمات اليقينية بخلاف النقلي فانه يتوقف في دلالته على اليقين على الجزم بصدق القائل والعلم بعدم المعارض هكذا فرقوا بين الدليل العقلي والدليل النقلي (او لم يكن) مولانا تبارك وتعالى (حيا) اي متصفا بالحياة ومعناها في القديم تقدم وفي الحادث صفة وجودية تقتضي الحس والحركة (مريدا) اي متصفا بالارادة وتقدم معناها في القديم وفي الحادث ميل القلب وتعلقه بالمقدور قال العلماء والذي يجري في النفس خمس مراتب مرتبة الهاجس وهو ما يلقى في النفس ثم الخاطر وهو ما يجول فيها بعد القائه ثم حديث النفس وهو ترددها بين فعل الخاطر المذكور وتركه ثم الهم اي قصد الفعل ثم العزم على الفعل جازما وهو مؤاخذ به دون الاربعة قبله ودليل ذلك حديث الصحيحين اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه ونظم بعضهم تلك المراتب فقال

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه هم وعــزم كلهــا رفعت سوى الاخير ففيه الاثم قد وقعا

(عالما) اي متصفا بالعلم و تقدم معناه في القديم وفي الحادث حكم الذهن الجازم المطابق للواقع عن دليل (وقادرا) اي متصفا بالقدرة و تقدم معناهـا في القديم وفي الحـادث استطاعة على الفعل تصلح للكسب لا للابداع وذهب اهل السنة الى ان القدرة الواحدة لا تتعلق بمقدورين فان ما نجده في نفوسنا عند صدور احد المقدورين غيرما نجده عند صدور الاخر واتفقت المعتزلة على ان القدرة الواحدة تتعلق بالمتماثلات لكن على مرور الاوقات اذ يمتنع وقوع مثلين في محـل واحد بقدرة واحدة في وقت واحد واختلفوا في تعلقها بالضدين فجوز اكثرهم تعلقها بهما على سبيل البدل اذ لو لم يكن القادر على المشي قادرا على ضده لكان مضطرا الى ذلك المقدور حيث لم يتمكن من تركه هو وتردد ابو هاشم فزعم تارة ان كلا من القدرة القائمة بالقلب والقدرة القائمة بالجوارح تتعلق بجميع افعال محالهـا دون الاخرى بمعنى ان القـائمة بالقلب تتعلق بالارادات والاعتقـادات مثلا دون الحركات والاعتمادات والقائمة بالجوارح بالعكس وتارة بان كلا منهما متعلق بالجميع إلّا انها لا تؤثر سوى في افعال محالها فالقائمة بالقلب على هذا تتعلق بافعـال القلوب والجوارح لكنه يمتنع اتحاد افعال الجوارح بها لفقد الشرائط والقائمة بالجوارح تتعلق بافعال القلب ذكر ذلك العلامة العطار نقلا عن شرح المقاصد وقد تقدم تحقيق مسالة الكسب فلا تغفل وجمع المصنف الصفات الاربع في برهان واحد استثنائي فقوله (لما رايت عالما) هو التالي للاربع مسائل اي لما رايت شيئا من الكائنات لكن عدم وجود شيءٍ من الكائنات باطل لضرورة المشاهدة فالمقدم مثله فيثبت نقيضه وهو ثبوت الصفات المذكورة ودليل الملازمة ان القدرة على وفق الارادة والارادة

على وفق العلم والثلاثة لا تتأتى إلّا ممن اتصف بالحياة فلو انتفت الحيـاة لانتفى الثلاثة بعدها ولو انتفى العلـم لانتفت الارادة ولو انتفت الارادة لانتفت القـدرة ولو انتفت القـدرة لانتفى جميـع الكائنات (والتالي) وهو جواب الشرط (في) كل قضية من (الست القضايا) المتقدمة من قوله او لم يك القدم الى قوله او لم يكن حيا الخ (باطل) فالمقدم وهو قوله لو لم يكن كذا مثله فقد تقرر عند اهل الميزان ان رفع التالي يستلزم رفع المقدم نحو لو كان هذا انسانا لكان حيوانا لكنه ليس بحيوان فهو ليس بانسان ووضع المقدم ينتج وضع التالي نحو لو كان هذا انسانا لكان حيوانا لكنه انسان فهو حيوان ولا ينتج رفع المقدم رفع التالي ولا وضع التالي وضع المقدم لجواز ان يكون اللازم اعم كما في المثال المذكور والى ذلك اشار الاخضري بقوله

فان يك الشرطي ذا اتصـال انتج وضع ذاك وضع التـالي
ورفـع تـال رفع اول ولا يلزم في عكسهما لمـا انجلى

وقوله (قطعا) مفعول مطلق و (مقدم) مبتدأ سوغ الابتداء به التخصيص بقوله (اذن) اي اذا ثبت بطلان التالي في الست القضايا المتقدمة فالمقدم (مماثل) له في البطلان واذن تارة تكتب بالالف وتارة تكتب بالنون على الخلاف فيها قال المحقق الاشموني في شرح الالفية واختلف في رسمها على ثلاثة مذاهب احدها انها تكتب بالالف قيل وهو الاكثر وكذلك رسمت في المصحف والثاني انها تكتب بالنون قيل واليه ذهب المبرد والاكثرون وصححه ابن عصفور وعن المبرد اشتهي ان اكوى يد من يكتب اذن بالالف لانها مثل ان ولن ولا يدخل التنوين في الحروف والثالث التفصيل فان الغيت كتبت بالالف لضعفها وان اعملت كتبت

بالنون لقوتها قاله الفراء وينبغي ان يكون هذا الخلاف مفرعا على قول
من يقف بالالف واما من يقف بالنون فلا وجه لكتابتها عنده بغير النون اه
والوقف عليها بالنون هو ما نقل عن المازني والمبرد واختاره ابن
عصفور والوقف عليها بالالف هو مذهب الجمهور وعليه اجماع القراء
السبعة قال ابن مالك

واشبهت اذن منونا نصب   فالفا في الوقف نونها قلب

واعلم انه ما احوج علماء الكلام الى التوغل في المنطق واثبات العقائد
الدينية به مع انه من علوم الفلاسفة إلا شدة الحاجة له عند ما حدثت البدع
والاهواء وكثر الاختلاف بين الامة وتباعد آرائها قال سعد الدين المحقق
التفتازاني في شرح العقائد النسفية وقد كان الاوائل من الصحابة والتابعين
رضي الله عنهم اجمعين لصفاء عقائدهم ببركة النبي عليه الصلاة والسلام وقرب
عهده منهم ولقلة الوقائع والاختلافات وتمكنهم من المراجعة الى الثقات
مستغنين عن تدوين العلمين وترتيبهما ابوابا وفصولا وتقرير مباحثهما
فروعا واصولا الى ان حدثت الفتن بين المسلمين وغلب البغي على ايمة
الدين وظهر اختلاف الاراء والميل الى البدع والاهواء وكثرت الفتاوي
والوقعات والرجوع الى العلماء في المهمات فاشتغلوا بالنظر والاستدلال
والاجتهاد والاستنباط وتمهيد القواعد والاصول وترتيب الابواب
والفصول وتكثير المسائل بادلتها وايراد الشبه باجوبتها وتعيين الاوضاع
والاصطلاحات وتبيين المذاهب والاختلافات وسموا ما يفيد معرفة
الاحكام العملية عن ادلتها التفصيلية بالفقه ومعرفة احوال الادلة اجمالا في
افادتها الاحكام باصول الفقه ومعرفة العقائد عن ادلتها بالكلام لان مسالة
الكلام كان اشهر مباحثه واكثرها نزاعا وجدالا حتى ان بعض

المتغلبة قتل كثيرا من اهل الحق لعدم قولهم بخلق القرآن و هذا هو
كلام القدماء ومعظم خلافياته مع الفرق الاسلامية خصوصا المعتزلة
لانهم اول فرقة اسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السنة وجرى
عليه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين في باب العقائد وذلك
ان رئيسهم واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري رحمه الله
يقرر ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت المنزلة بين المنزلتين
فقال الحسن قد اعتزل عنا فسموا المعتزلة وهم سموا انفسهم اصحاب
العدل والتوحيد ثم انهم توغلوا في التشبث باذيال الفلاسفة وشياع
مذهبهم بين الناس الى ان قال الشيخ ابو الحسن الاشعري لاستاذه ابي
علي الجبائي ما تقول في ثلاثة اخوة مات احدهم مطيعا و الاخر عاصيا
والثالث صغيرا فقال الاول يثاب بالجنة والثاني يعاقب بالنار والثالث
لا يثاب ولا يعاقب قال الاشعري فان قال الثالث يا رب لم لم تمتني
صغيرا وما ابقيتني الى ان اكبر فاطيعك فادخل الجنة ماذا يقول الرب
تعالى فقال يقول الرب اني كنت اعلم انك لو كبرت لعصيت فدخلت النار
فكان الاصلح لك ان تموت صغيرا قال الاشعري فان قال الثاني يا رب
لم لم تمتني صغيرا لئلا اعصي فلا ادخل النار فبهت الجبائي ويروى انه
قال للاشعري ابك جنون فقال الاشعري لا ولكن وقف حمار الشيخ في
العقبة فترك الاشعري مذهبه واشتغل هو وتابعوه بابطال شبه المعتزلة
واثبات ما وردت به السنة ومضى عليه الجماعة فسموا اهل السنة
والجماعة ثم لما نقلت الفلسفة الى الاسلام حاول المتكلمون الرد على اهلها
فخلطوا بالكلام كثيرا من الفلسفة ليتحققوا مقاصدها فيتمكنوا
من ابطالها الى ان ادرجوا فيه معظم الطبيعيات و الالهيات وخاضوا في

الرياضيات حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات وهذا هو كلام المتاخرين اه باختصار وبعض زيادة ثم ان بعضهم نقل عن السلف تحريم علم الكلام من اصله مثل قول الامام الشافعي رضي الله تعلى عنه لو يعلم الناس ما في علم الكلام من الاهواء لفروا منه فرارهم من الاسد وقال ابن الاعلى سمعت الشافعي يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لان يلقى الله تبارك وتعلى العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من ان يلقاه بشيء من علم الكلام وقال ايضا قد اطلعت لاهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولان يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر في الكلام وحكي عن الشافعي ايضا انه سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال يسئل عن هذا حفص الفرد واصحابه اخزاهم الله ولما مرض الامام الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد يعوده فقال له من انا فقال انت حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما انت فيه وقال رضي الله عنه اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد انه من اهل الكلام ولا دين له ونقل عنه ايضا انه قال حكمي في اهل الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ في الكلام ونقل عن الامام احمد رضي الله تعلى عنه انه قال لا يفلح صاحب الكلام ابدا ولا تكاد ترى احدا ينظر في الكلام إلا وفي قلبه مرض وبالغ في ذمه حتى انه هجر الحرث المحاسبي مع زهده وورعه لتصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة وقال له ويحك الست تحكي بدعتهم او لا ثم ترد عليهم الست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة كلام اهل البدعة والتفكر فيه فيدعوهم ذلك الى

الراي والبحث ونقل عنه رحمه الله تعلى انه قال علماء الكلام زنادقة
ونقل عن الامام مالك رضي الله تعلى عنه لا تجوز شهادة اهـل البدع
والاهواء وفسره بعض اصحابه انه اراد باهل الاهواء اهل الكلام
على اي مذهب كانوا وعن ابي يوسف صاحب ابي حنيفة رضي الله
تعلى عنهما من طلب العلم بالكلام تزندق والحق ان ذلك ليس على اطلاقه
فقد اجاب عنه المتاخرون من العلماء المحققين باجوبة كثيرة واحسن
ما رايت من الاجوبة جواب السعد التفتازاني قـال رضي الله تعلى
عنه في شرح العقائد النسفية وما نقل عن بعض السلف من الطعن فيه
والمنع عنه فانمـا هو للمتعصب في الدين والقاصر عن تحصيل اليقين
والقاصد افساد عقائد المسلمين والخائض فيما لا يفتقر اليه من غوامض
المتفلسفين وإلّا فكيف يتصور المنع عما هو اصل الواجبات واساس
المشروعات اه وقال المحقق العصام في هذا المقام وهذا تاويل قول ابي
يوسف رحمه الله تعـالى انه لا تجوز الصلاة خلف المتكلم وان تكلم
بحق لانه بدعة بانه يعني ان التكلم على وجه التعصب بدعة وقولهم
من طلب التوحيد بالكلام فقد تزندق معناه طلب التوحيد بمجرد الكلام
من غير فطنة وسلامة طبع وهداية من الملك العلام وما روي انه عليه
الصلاة والسلام قال عليكم بدين العجائز فقد دفعه صاحب المواقف اه
وما تقدم من ان السمع والبصر والكلام دليلها نقلي هو الراجح وقـد
يستدل عليها ايضا بالدليل العقلي واشار الناظم الى الدليلين بقوله (والسمع
والبصر والكلام) ثابتة بطريق السمع اي (بالنقل) من الشارع (مع)
الدليل العقلي وهو ما يقتضيه الذوق السليم من منافاة (كماله) تعـالى
لاضداد هذه الصفات اذ ان اضداد هذه الصفات نقص في الشاهد فكذلك

في الغائب بطريق التقريب ولانه لو لم يتصف مولانا تبارك وتعالى بهذه الصفات لازم مزية مخلوقاته عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقوله (ترام) اي تقصد تكملة للبيت والدليل النقلي غير صريح في كون الصفات معاني زائدة على الذات فلذلك ذهب المعتزلة الى ان نحو سميع وبصير من سائر الصفات الواردة في الكتاب والسنة ان هي إلا اسماء لا يفهم منها غير الذات فهي سميع بذاته بصير بذاته خالق الكلام في شجرة ونحو ذلك وبالغ بعضهم في التشنيع والنكير على اهل السنة في ادعاء زيادتها على الذات والزموهم بانهم يقولون بتعدد القدماء حتى قال بعضهم ان النصارى اهون اعتقادا في ادعائهم التثليث لان هؤلاء الطائفة يعنون اهل السنة ادعوا عشرين شريكا واهل السنة يقولون في الجواب لا مانع من تعدد القدماء في الصفات وانما التعدد محال في الذوات ولنا دليل في كون الصفات يستفاد منها معان زائدة على الذات وهو اطباق الكتاب والسنة والاجماع على هذه الصفات مع ضميمة اللغة من الاشتقاق اذ لا يعقل سميع بدون سمع وبصير بدون بصر وهكذا قال الجلال المحلي في شرح جمع الجوامع وازلية اسمائه الراجعة الى صفات الافعال كما تقدم في جملة الاسماء من حيث رجوعها الى القدرة لا الفعل فالخالق مثلا من شانه الخلق اي هو الذي بالصفة التي بها يصح الخلق وهي القدرة كما يقال في الماء في الكوز مرواي هو بالصفة التي بها يحصل الارواء عند مصادفة الباطن وفي السيف في الغمد قاطع اي هو بالصفة التي بها يحصل القطع عند ملاقاة المحل فان اريد بالخالق من صدر منه الخلق فليس صدوره ازليا ذكر ذلك الغزالي وبين رجوع الاسماء كلها الى الذات وصفاتها في المقصد الاسنى اه قلت مراده دفع

الاعتراض على حصر الصفات في العشرين مع ان اسماءه تعالى تسعة وتسعون وبيان ان الاسم يستفاد منه شيء زائد على الذات والاصح ان الاسم عين المسمى قال بعضهم ويؤيده قوله تعالى ذلكم الله ربي وقوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ولم يقل ادعوا بالله ولا بالرحمن وقيل غيره لقوله تعالى فله الاسماء الحسنى ولا بد من المغايرة بين الشيء وبين ما هو له ولتعدد الاسماء مع اتحاد المسمى وعلى المغايرة ظاهر قول صاحب الهمزية

لك ذات العلوم من عالم الغيـــــب ومنها لآدم الاسمـــاء

هذا والتحقيق انه ان اريد بالاسم اللفظ فهو غير مسماه قطعا وان اريد به ما يفهم منه فهو عينه لا فرق في ذلك بين جامد ومشتق وقال الكمال لم يظهر لي في هذه المسالة ما يصلح محلا لنزاع العلماء وفي شرح المقاصد ان الخلاف في ما صدقات الاسم ولفظ اسم منها فانه اسم من الاسماء ومما لا يضر جهله وتنفع معرفته كما صرح به ابن السبكي في جمع الجوامع ان وجود الشيء في الخارج واجبا كان وهو الله تعالى او ممكنا وهو الخلق عينه ليس زائدا عليه كما هو قول الاشعري واتباعه واستدل على ذلك بانه لو كان الوجود زائدا على الماهية عارضا لها لكانت الماهية من حيث هي غير موجودة اي موصوفة بالعدم فيلزم عليه اتصاف الموجود بالعدم وهو محال للجمع بين النقيضين ويعلم من هذا ان المعدوم ليس بشيء ولا ذات ولا ثابت اي لا حقيقة له في الخارج وذهبت طائفة من المعتزلة الى انه شيء اي موجود فهو حقيقة متقررة ودليل الفريقين مذكور في المطولات والاصح وهو ما عليه الاشعري واتباعه ان اسماءه تعالى توقيفية اي لا يطلق عليه اسم إلّا بتوقيف

من الشارع وذهب القاضي و المعتزلة الى ان كل لفظ دل على معنى ثابت لله جاز اطلاقه عليه من غير توقيف وقيدوا ذلك بان لا يكون اللفظ موهما لنقص كعارف وفقيه فان كلا منهما يقتضي سبق الجهل وان يكون مشعرا بالكمال والتعظيم وذهب الامام الغزالي الى التوقيف في الاسماء دون الصفات واعلم انه قد تزلزلت في تحقيق معنى الوجود اقدام وغرقت في لجج يمه اقوام واضطربت فيه الاذواق و الافكار ولا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء الواحد القهار

وان قميصا حيك من نسج تسعة   وعشرين حرفا عن معانيه قاصر

حتى ان بعضا من المتصوفة نحوا فيه نحو الحلول والتاويل وبعض من المتفلسفة نحوا فيه نحو التعليل ولولا ظن جامد الطبع ان التكلم في ذلك خروج عن سياق الكلام وبعيد عن منهج المرام لفرط قصوره واختلال عبوره وعدم وجودي كثرة المتصدرين من ابناء العصر لهذا الميدان وانتشار الطالبين لابراز المضمرات الى عالم العيان لاستجلبت منه ما قصر عن ادراكه بعض الاغيار وقلت اطفئوا المصباح فقد طلع النهار ولكنني رايتهم تقاعدوا بلباس اثواب الكسل واردية الجهل واشراب خبيث الامل وما تأسوا بمن مضى من علمائهم من الاوائل ودروا انحطاطهم الى الحضيض وتنازلهم غاية التنازل

وهكذا يذهب الزمان ويفنى العلم وينمحي الاثر

ومهدت لهم تمهيدات انيقة وقدمت لهم نكات دقيقة زيادة على ما اجادت به النفوس وتوجتهم به من الدروس ولا تظن ايها الحاذق ان العلم قد ولى شبابه واستحال ايابه فمن كد وجد نال وهكذا سنة الواحد المتعال

لا تقل قد ذهبت اربابه   كل من سار على الدرب وصل

ولا تحط نفسك باشرابها كاس الفتور ولا يهمك السعي في تثبيط الهمم من بعض ذوي الشرور ولقد احسن من قال واجاد في المقال

اذا اضمأتك اكف اللئام ... كفتك القناعة شبعا وريا

فكن رجلا رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا

فان اراقة ماء الحياة ... دون اراقة ماء المحيا

ومن يبتغي التحلي بالادب والمعارف والتنزه عن فنون اللهو والمعازف يجعل لنفسه من التنقل نصيبا فكم يرى الغريب ما لا يرى لو لم يكن غريبا قال ابن الوردي

حبك الاوطان عجز ظاهر ... فاغترب تلق عن الاهل بدل

وقال الطغرائي

ان العلا حدثتني وهي صادقة ... فيما تحدث ان العز في النقل

لو ان في شرف الماوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

وقال المتنبي

وكل امريء يولي الجميل محبب ... وكل مكان ينبت العز طيب

وقال البحتري

واذا الزمان كساك حلة معدم ... فالبس له حلل النوى وتغرب

وقال غيره

تنقل من مكان فيه ضيم ... وخل الدار تنعي من بناها

فانك واجد ارضا بارض ... ونفسك لم تجد نفسا سواها

وبالجملة فللشعراء في هذا المقام مقام وفي تنوعات فنونه رسوخ اقدام وقد قال عليه الصلاة والسلام ان من الشعر لحكمة وقال عليه الصلاة والسلام سافروا تصحوا واغزوا تستغنوا وقال عليه الصلاة

والسلام العباد عباد الله والبلاد بلاد الله فاينما وجدت الخير فاقم واتق الله وكان سلفنا من العلماء رضي الله عنهم يتجولون في كل آن ولا يشغلهم مكان عن مكان ولا يهمهم طول السبيل ولا ترك الولد والخليل روي ان القاضي عبد الوهاب المالكي نشأ ببغداد ولما خرج منها متوجها الى مصر شيعه من اكابرها وعلمائها جماعة كثيرة فقال لهم اوان الوداع لو وجدت بين ظهرانيكم كل غداة وعشية رغيفين ما فارقت بغداد وليس مراده بذلك بغض التنقل والاعراض عن التجول بل لكونها دار العلوم ومنشأ الاعلام ومع ذلك فقد كانت عاصمة الاسلام وتسمى دار السلام ومن شعره فيها رضي الله عنه قوله

بغداد دار لاهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق

اقمت فيها مضاعا بين ساكنها ... كانني مصحف في بيت زنديق

فهو قد خرج منها لطلب التعيش وهكذا كان شان العلماء اذا ضاق بهم المثوى وكابدوا من المشاق الغاية القصوى قال شرف الدين القيرواني

شرق وغرب تجد من غادر بدلا ... فالارض من تربة والناس من رجل

وقد وجهت كلماتي لصاحب المروءة والهمة من الذين بلغت همتهم الثريا وصانوها عن المذلة واراقة ماء المحيا وعملوا بمقتضى قول الطغرائي

غالى بنفسي عرفاني بقيمتها ... فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

وانتقش بافكارهم حظ وافر من قول زهير بن ابي سلمى

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ... ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

لا من اتكل على الاصل والجدود فاهان نفسه وعصى الواحد المعبود وتكبر على من هو احسن منه ادبا وفضلا واصدق منه قولا وفعلا

والى هذا الذي يفتخر بالغير ويتحلى بصفات الغير اشار القائل

لئن فخرت بآباء ذوي شرف   لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

اعوذ بالله من زمن الفتن والبدع والاحن الذي صار فيه المبتدع مشهورا والعالم الجليل مثبورا فاختفت فيه العلماء وفشت فيه الزعماء

فان تسأل الايام عن اسمي مادرت   واين مكاني ما عرفن مكانيـا

ثم اشار الناظم الى برهان القسم الجائز فقال (لو استحال ممكن) من الممكنات (او وجبا) الالف فيه للاطلاق و (قلب الحقائق) مفعول مقدم و (لزوما) مفعول مطلق الى (اوجبا) اي لادى المذكور من الاستحالة والوجوب الى قلب الحقائق لكن قلب الحقائق محال فكل من الاستحالة والوجوب محال فثبت انه لا يستحيل عليه تعالى فعل شيء من الممكنات وكذلك لا يجب عليه شيء كيف يجب عليه تعالى للمخلوقات شيء وهو الذي خلقها وصورها في احسن تقويم فلا يسئل عما يفعل وهم يسالون واما قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين ونحو ذلك فمما اقتضته رحمته وسعة كرمه انه على ما يشاء قدير قال السنوسي في شرح ام البراهين لو وجب عليه تعالى فعل الصلاح والاصلح لانقـذ القائلين بذلك من سوء التأدب معه تعالى عما يقوله الجاهلون اهـ وقال سعد الملة والدين المحقق التفتازاني عند قول النسفي وما هو الاصلح للعبد فليس بواجب على الله تعالى ما نصه والا لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا والاخرة ولما كان له منة على العباد واستحقاق شكر في الهداية وافاضة انواع الخيرات لكونها اداء للواجب ولما كان امتنان الله تعالى على نبيه عليه السلام فوق امتنانه على ابي جهل لعنه الله اذ فعل بكل منهما غاية مقدوره من الاصلح له ولما كان لسؤال العصمة والتوفيق

وكشف الضراء والبسط في الخصب والرخاء معنى لان ما لم يفعله في
حق كل واحد مفسدة له فيجب على الله تركها ولما بقي في استطاعته
تعلى بالنسبة الى مصالح العباد شيء ولعمري ان مفاسد هذا الاصل اعني
وجوب الصلاح والاصلح بل اكثر اصول المعتزلة اظهر من ان تخفى
واكثر من ان تحصى وذلك لقصور نظرهم في المعارف الالهية ورسوخ
قياس الغائب على الشاهد في طباعهم ثم ليت شعري ما معنى وجوب الشيء
على الله تعلى اذ ليس معناه استحقاق تاركه الذم والعقاب وهو ظاهر
وإلا لزم صدوره عنه بحيث لا يتمكن من الترك بناء على استلزامه محالا
من سفه او عبث او نحو ذلك لانه رفض لقاعدة الاختيار وميل الى
الفلسفة الظاهرة العوار اه باختصار والى هذا يشير اللقاني في جوهرته بقوله

وقولهم ان الصلاح واجب عليه زور ما عليه واجب
الم يروا ايلامه الاطفالا وشبهها فحاذر المحالا

والحقيقة والماهية والذات والهوية اسماء لمسمى واحد والتحقيق
ان الماهيات للممكنات مجعولة اي مخلوقة وقيل لا بل كل ماهية متقررة
بذاتها من غير جعل جاعل وثالثها ان كانت مركبة فهي مجعولة بخلاف
البسيطة وتقييدنا للماهية بالممكنات لاخراج ماهية المستحيلات كشريك
الباري فهي ليست مجعولة اجماعا ثم انه اورد على استحالة قلب الحقائق
المسخ فهو قلب حقيقة الى اخرى مع انه واقع واجيب بان المسخ
ليس قلب حقيقة لان قلب الحقائق انما يتصور في اقسام الحكم العقلي
وليس منه المسخ لانه نقل من حالة الى اخرى فهذا قصاراه او ان
المستحيل بقاء الحقيقة الاولى مع الثانية لادائه الى الجمع بين متنافيين
واختلف العلماء في الممسوخ هل يعقب ام لا فذهب الى الاول الزجاج

والقاضي ابو بكر بن العربي المالكي والثاني قول الجمهور واستدلوا بما
روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لم يعش ممسوخ قط اكثر
من ثلاثة ايام ولا ياكل ولا يشرب واحتج الاولون بما رواه مسلم
من طريق ابي هريرة رضي الله عنه من قوله عليه الصلاة والسلام فقدت
امة من بني اسرائيل لا ادري ما فعلت ولا اراها الا الفار الا ترونها
اذا وضع لها البان الابل لم تشربها واذا وضع لها البان غيرها شربتها
وبما رواه مسلم عن ابي سعيد وجابر ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي
بضب فابي ان ياكله وقال لا ادري لعله من القرون التي مسخت وعلى
هذا اعتقاد العرب قال قائلهم

قالت وكنت رجلا فطينا هذا لعمر الله اسرائينا

فالاشارة في البيت الى ضب واسرائين بالنون لغة في اسرائيل باللام
وهو يعقوب عليه السلام والراجح من القولين قول الجمهور لما رواه
مسلم في كتاب القدر عن ابن مسعود رضي الله تعلى عنه انه قال عليه
الصلاة والسلام ان الله لم يهلك قوما او يعذب قوما فيجعل لهم نسلا
وان القردة والخنازير كانوا قبل ذلك واما الحديثان قبله فقد اجيب
عنهما بوقوعهما قبل الوحي له بذلك عليه الصلاة والسلام واعلم ان
حقائق الاشياء ثابتة والعلم بها متحقق وواقع كما هو مذهب اهل السنة
وحقيقة الشيء ما به الشيء هو هو كالحيوان الناطق للانسان والحقيقة
والماهية والهوية الفاظ مترادفة كما تقدم وقد يفرق بينها بان ما به
الشيء هو هو باعتبار تحققه حقيقة وباعتبار تشخصه هوية وبقطع
النظر عن ذلك ماهية والشيء عند الاشعرية رضي الله عنهم هو الموجود
والوجود والثبوت والتحقق والكون مترادفة وافترق السوفسطائية

على فرق فمنهم من ينكر حقائق الاشياء ويقول انها محض اوهام وخيالات باطلة وهم العنادية ومنهم من ينكر ثبوتها ويجعلها تابعة للاعتقادات يقول ان اعتقدنا الشيء جوهرا فهو جوهر اوعرضا فهو عرض وهم العندية ومنهم من يتردد في ثبوت الشيء وعدمه فلا يقطع بواحد منهما فهو شاك وشاك في انه شاك وهكذا وهم اللادرية لانهم لا يعترفون بمعلوم قال المحقق التفتازاني والحق انه لا طريق الى المناظرة معهم خصوصا اللادرية لانهم لا يعترفون بمعلوم يثبت به مجهول بل الطريق تعذيبهم بالنار ليعترفوا او يحترقوا اه واسباب العلم الحادث وهي الطرق الموصلة اليه ثلاثة الحواس السليمة والخبر الصادق والعقل ووجه الحصر فيها ان السبب ان كان خارجيا فهو الخبر الصادق وإلا فان كان آلة غير المدرك فالحواس وإلا فالعقل ولا يرد ان طرق العلم لا تنحصر في ثلاثة كما ذكر بل هناك اشياء اخر كالوجدان والحدس والتجربة فقد اجيب بان ذلك من تدقيقات الفلاسفة ومع ذلك فهي ليست خارجة عن هذه الثلاثة كما لا يخفى والحواس خمس السمع والبصر وتقدم معناهما في مبحث الصفات والشم وهو قوة مودعة في الزائدتين الناشئتين من مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي يدرك بها الروائح بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية ذي الرائحة الى الخيشوم نحى نحو هذا التعريف السعد التفتازاني قال العلامة العصام ان قوله وهي قوة مودعة في الزائدتين الخ لا يصدق على الشم القائم باحدى الزائدتين فالاولى في الزائدة الناشئة وانما اوقعه فيه قصد التنبيه على ان الشم مخلوق في كل من الزائدتين والحلمة كالطلبة ثؤلول في وسط الثدي والخيشوم اقصى الانف اه والذوق وهو قوة منبثة في العصب المفروش على جرم اللسان يدرك بها

الطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية التي في الفم بالمطعوم ووصولها الى العصب والجرم بالكسر الجسد كما في القاموس والصحاح وجرمان بالكسر ايضا لغة فيه واللمس وهو قوة منبعثة في جميع البدن بها تدرك الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحو ذلك مع حصول التماس والمدرك عند البعد عن النار ليس هو حرارة النار بل حرارة الهواء الحار بمجاورة النار كما صرح بذلك المحقق العصام « والشيء بالشيء يذكر » فمن الامثال المشتهرة على السنة العوام في الحواس انهم يقولون لمن تحير في امره اضرب اخماسك في اسداسك والكثير منهم لا يعرف معنى ذلك ومعناه كما نص عليه بعض العلماء فتش بحواسك الخمس في جهاتك الست ومن الامثلة الحسنة التي شاهدنا الازهريين يتداولونها الان يمد الشافعي رجله هكذا واصله انه تقدم رجل امام الامام الشافعي رضي الله عنه في اثناء تقريره فساله عن غاية الصيام في اليوم فقال له الامام الغروب فقال الرجل فاذا لم يحصل غروب الى نصف الليل فمد الشافعي رجله وقال الان يمد الشافعي رجله هكذا وكان للامام بعض داء فى رجله لا يستريح إلا بمدها وكان ذلك الرجل ذا هيئة فظن الامام انه من العلماء الماهرين فلم يمد رجله اخذا بخاطره ولما ساله ذلك السؤال الدال على غباوته فعل الشافعي رضي الله عنه ذلك وعبارة العلامة العطار في حواشي جمع الجوامع في هذه المسالة مع زيادة تعليق حسن عليها يناسب هذا الزمان اقول واقوى شاهد على ذلك قصة الرجل الذي كان يحضر مجلس الامام الشافعي وكان يحترمه لحسن زيه فلا يمد رجله وقد كان الامام يستريح بمدها لالم بها فيتضرر احتشاما لذلك الرجل فقال يوما متى يفطر الصائم فقال الشافعي اذا غربت الشمس فقال اذا

لم تغرب فقال يمد الشافعي رجاه هكذا وسقط من عينه حينئذ وكذلك قصة الفارابي مع سيف الدولة حين دخل عليه بزي التتار لانه كان تركيا وجلس بجانبه فاحتقره واستعظم ذلك حتى ظهر فضله في ذلك المجلس في قصة (١) طويلة وهذا الوقت الذي نحن فيه جرى على هذا الاسلوب من اعتقاد الناس ما ليس في المعتقد اعتمادا على ضخامة جسمه وملابسه او لتصنعه حتى انتهى الحال الى انه متى اسند قول لذلك المعتقد قبل اعتمادا لنسبته لذلك القائل فنحن الان نعرف الحق بالرجال لا الرجال بالحق ولنعلم ما قال حجة الاسلام الغزالي في كتابه المسمى بالمنقذ من الضلال ان عادة ضعفاء العقلاء يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق فالعاقل يعرف الحق ثم ينظر في نفسه القول فان كان حقا قبله سواء كان قائله مبطلا او محقا بل ربما يحرص على انتزاع الحق من تضاعيف كلام اهل الضلال عالما بان معدن الذهب الرغام ولا باس على الصراف ان ادخل يده في الكيس وانتزع الابريز الخالص من الزيف مهما كان واثقا

---

(١) حاصل القصة انه لما دخل عند سيف الدولة امره الامير بالجلوس فقال له حيث انا ام حيث انت فقال له حيث انا فتخطى رقاب الناس الى مجلس الامير فزاحمه حتى اخرجه عنه فنطق الامير لمملوك على راسه بلسان قل من يعرفه يقول له اني سائله عن اشياء فان لم يجب فاحدقوا به فقال له الشيخ اصبر فان الامور بعواقبها فتعجب الامير وقال له اتحسن هذا اللسان فقال اني احسن اكثر من سبعين لسانا ثم طفق يتكلم مع اكابر العلماء في كل فن حتى سكتوا وصاروا يكتبون عنه ثم امر الامير باخراج العلماء وبقي مع الفارابي فقال له اتاكل فقال لا فقال الا تشرب فقال لا فقال اتسمع فقال نعم فاحضر القينات وانواع الملاهي فما تكلم واحد إلّا عابه فقال له الامير اتحسن شيئا من هذا فقال نعم فاخرج خريطة فيها آلة فركبها ولعب بها فضحك الحاضرون ثم حركها ثانيا فبكوا ثم حركها ثالثا فناموا فخرج وتركهم نياما والفارابي هذا هو المكنى بأبي نصر من بلد فاراب ارتحل منها الى بغداد توفي سنة تسعة وثلاثين وثلاثمائة وهو اول من دون المنطق في الاسلام

ببصيرته ويمنع من ساحل البحر الاخرق الاخرق دون السباح الحاذق ولقد اعترض على بعض الكلمات المثبوتة في تصانيفنا في اسرار علوم الدين من لم تستحكم في العلوم منابرهم ولم تنفتح الى اقصى غايات المذاهب بصائرهم وزعموا ان تلك الكلمات من الاوائل مع ان بعضها من مولدات الخواطر ولا يبعد ان يقع الحافر على الحافر وبعضها يوجد في الكتب الشرعية واكثرها موجود معناه في كتب الصوفية وهب انها لم توجد إلّا في كتبهم فاذا كان ذلك الكلام معقولا في نفسه مؤيدا بالبرهان ولم يكن مخالفا للكتاب والسنة فلا ينبغي ان يهجر وينكر لاننا لو فتحنا هذا الباب وتطرقنا الى ان نهجر كل حق سبق اليه خاطر مبطل للزمنا ان نهجر كثيرا من الحق ويتداعى ذلك الى ان يستخرج المبطلون الحق من ايدينا لايداعهم اياه في كتبهم واقل درجة العالم ان يتميز عن العامي فلا يعاف العسل وان وجده في محجمة الحجام ويتحقق ان الدم مستقذر لا لكونه في المحجمة بل لصفة في ذاته فاذا عدمت هذه الصفة في العسل فكونه في ظرفه لا يكسبه غالب الصفة فلا ينبغي ان ينسب اليه الاستقذار وهذا الوهم الباطل غلب على اكثر الخلق فمهما نسبت الكلام واسندته الى قائل حسن فيه اعتقادهم قبلوه وان كان باطلا وان اسندته الى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وان كان حقا فدائما يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق اهـ ومن الامثلة الحسنة ايضا لدى العوام المثل الذي يضربونه بفاطمة بنت الخرشب الانمارية حيث ولدت السبعة الكملة من بني عبس ومن ذلك انهم يضربون المثل بمقالة الحجاج بن يوسف اني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى ويضربون ايضا المثل بحاتم طيء في الجود والكرم ولقد

يعجبني ذلك فهذه بقية من بقايا العرب ونبذة من نبذ الادب ولهم غير ذلك من ضروب المثل وفنون التشبيه غير انهم حرفوها عن مواضعها فلا يدركها بعد سوى ذي فطنة وتنبيه على ان القوم لو بلغوا اليوم ما بلغوا لم يصلوا درجة اجلاف الاعراب فضلا عن ادبائهم الذين نزل بلغتهم الكتاب فلقد كانوا احسن منا خطابا واسرع منا جوابا وهذه قصائدهم ومقالاتهم ينطق لسان حالها اليوم ويقول

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

ومن لطائفهم ما رواه ابن الجوزي رحمه الله في كتاب الاذكياء قال قعد رجل على جسر بغداد فاقبلت امراة بارعة في الجمال من جهة الرصافة الى الجانب الغربي فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله علي بن الجهم فقالت له المراة رحم الله ابا العلاء المعري وما وقفا بل سار مشرقا وسارت مغربة قال الرجل فتبعت المراة وقلت لها والله ان لم تقولي لي ما اراد وما اردت لافضحنك فضحكت وقالت اراد الشاب بقوله رحم الله علي ابن الجهم قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

واردت انا بقولي رحم الله ابا العلاء المعري قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك اهوال

ومن ذلك ما ذكره صاحب الاغاني قال هوي محمد بن عيسى الجعبري جارية مغنية اسمها بصيص من مولدات المدينة وطال ذلك عليه فقال لصديق له لقد شغلني حب هذه عن ضيعتي وكل امري وقد وجدت من السلوة عنها فاذهب بنا حتى انظرها واستريح فاتياها فلما غنت لهما قال لها محمد بن عيسى اتغنين

وكنت احبكم فسلوت عنكم عليكم في دياركم السلام

فقالت لا ولكني اغني

تحمل اهلها عنها فبانوا على آثار من ذهب العفاء

قال فاستحيا وزاد بها كلفا بها واطرق ثم قال لها

واخضع بالعتبى اذا كنت مذنبا وان اذنبت كنت الذي اتنصل

قالت نعم واغني احسن منه

فان تقبلوا بالود نقبل بمثله وننزلكم منا باقرب منزل

قال فتقاطعا في بيتين وتواصلا في بيتين ولم يشعر بهما احد

وامثال ذلك لا تحصى فانظر الى هاته الفطانة التامة فلعمرك انهم من عجز هذه البيت والقوم من صدره وهي

والعبد يقرع بالعصى والحر تكفيه المقاله

ومن ذلك ما حكي عن ابي مسلم الخراساني قال يوما لسليمان بن كثير بلغني انك كنت في مجلس وقد ذكر فيه اسمي فقلت اللهم سود وجهه واقطع راسه واسقني من دمه فقال نعم قلت ذلك ونحن جلوس بكرم حصرم فاستحسن ابو مسلم ابهامه وعفا عنه وهذا من الذكاء المفرط مع سرعة الجواب حكى ذلك بعض شراح لامية العجم وذكر العلامة البناني في حاشيته على السعد التفتازاني في شرح التلخيص ان القبعثرى كان جالسا مع جماعة وكان الاوان اوان حصرم فذكر الحجاج فقال القبعثرى اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقني من دمه فاخبر الحجاج بذلك فارسل اليه وهدده على قوله المذكور فقال له انما اردت بقولي المذكور العنب الحصرم ثم قال له الحجاج لاحملنك على الادهم فقال له مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب فقال له الحجاج انما اردت الحديد فقال لان يكون حديدا خير من ان يكون بليدا فقال الحجاج لاعوانه احملوه

فلما حملوه قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال الحجاج
اطرحوه فلما طرحوه قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
تارة اخرى فاعجب منه وعفا عنه وقوله انما اردت العنب الحصرم
اي وبتسويد وجهه استواؤه وبقطع عنقه قطعه وبدمه الخمر المتخذ
منه وقوله لان يكون حديدا الخ فيه ايضا حمل الحديد في كلام
الحجاج على خلاف مراده لان مراده المعدن المعروف وحمله هو ضد
البليد من الحدة في الخيل والقبعثرى هذا رأس من رؤوس العرب وفصحائهم
وكان من الخوارج الذين خرجوا على سيدنا علي رضي الله تعالى عنه اه
قلت وانظر الخلاف بينهما ولعل الواقعة تكررت والى ذلك يشير ايضا
الاخضري في الجوهر المكنون بقوله

ومن خلاف المقتضى صرف المراد ذي نطق او سؤل لغير ما اراد
لكونه اولى به واجدرا كقصة الحجاج والقبعثرا

ومن سرعة الجواب لديهم ايضا ما روي ان غلاما جميلا كان بحضرة
احد الشعراء المشهورين فقال الشاعر للغلام لو تزوجت بامك لاتيت بك
شاعرا فقال له الغلام في الحال حتى لو تزوج بك ابي لاتيت بي شاعرا
فبهت الشاعر ومن اشعارهم الادبية الناشئة عن جميل الفكر وكامل الروية
قول الشهاب محمود في تورياته

رأتني وقد نال مني النحول وفاضت دموعي على الخد فيضا
فقالت بعيني هذا السقام فقلت صدقت وبالخصر ايضا

ومن غزلياتهم ورقيق تشبيهاتهم قول بعضهم

قالوا حبيبك ملسوع فقلت لهم من عقرب الصدغ ام من حية الشعر
قالوا بلى من افاعي الارض قلت لهم وكيف تسعى افاعي الارض للقمر

وقول نصر الدين بن احمد البصري

رايت الهلال ووجه الحبيب   فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر من حيرتي فيهما   هلال السما من هلال البشر
ولولا التورد في الوجنتين   وما لاح لي من خلال الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب   وكنت اظن الحبيب القمر

ومن اطلع على كتب الادباء ورسائل الظرفاء كالكامل للامام المبرد والاغاني لابي الفرج الاصفهاني وغيرهما من الكتب المشهورة يرى من محاضراتهم ومحاوراتهم اعجب العجائب ويسمع منها اغرب الغرائب قال العلامة العطار في حواشي تهذيب السعد التفتازاني الذي صنفه في الميزان ومن لم يتاثر برقيق الاشعار بلسان الاوتار على شطوط الانهار في ظلال الاشجار فذلك جلف الطبع حمار

من كل معنى لطيف احتسي قدحا   وكل ساجعة في الكون تطربني

ونحن نشاهد اهل الصناعات الشاقة تستعين عليها بالتغني والابل عند كلالها ينشطها صوت الحادي والتغني وشجعان العرب في الحروب تتمثل بالاشعار وتلقي نفسها عند ذلك في مهالك الاخطار فلا تبالي بمواقع السيوف ولا بوارق الحتوف وفي جميع ما ذكرناه حكايات ونوادر شحنت بها الكتب والدفاتر ومن اراد الاطلاع على غرائب هذا الباب ولطائفه فليطالع كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني وهو كتاب جليل يحتوي على عشرين مجلدة اه ومن موشحات العلامة العطار قوله

في الروض والنهر والسلافه   يديرها الشادن الرخيم
بين ندامى حووا لطافة   قد طاب والله لي النعيم
يا لائما لي على التصابي   واست اصبو الى ملام

اما ترى سندس الروابي كأنه لؤلؤ الغمام
والشمس وافتك في نقاب ضمخه عنبر الظلام
والكرم ابدى لنا قطافه كأنها لؤلؤ نظيم
والنهر قد احسن انعطافه مثل سوار بكف ريم

وهذه عارض بها موشحة لبعض الاندلسيين مطلعها

في رنة العود والسلافه والروض والنهر لي نديم
اطال من لامني خلافه فضل في نصحه مليم

قلت وابن الجوزي المتقدم ذكره صاحب كتاب الاذكياء هو الامام المشهور في كتب الاحاديث قال الزرقاني في شرح البيقونية وقد صنف ابن الجوزي في بيان الموضوعات كتابا نحو مجلدين لكنه خرج عن موضوعه بحيث اودع فيه كثيرا من الاحاديث الضعيفة التي لا دليل على وضعها بل ربما اودع فيه الحسن والصحيح وخطؤوه في ذلك وشنعوا عليه قال السيوطي في الفيته

وفي كتاب ولد الجوزي ما ليس من الموضوع حتى وهما
من الصحيح والضعيف والحسن ضمنته كتابي القول الحسن
ومن غريب ما تراه فاعلم فيه حديث من صحيح مسلم

ويروى عن ابن الجوزي انه حين فارق زوجته المسماة نسيم الصبا وكان له شغف بها فجاءت يوما مع امراتين لحضور مجلس وعظه وجعلت المراتين في مقابلة الشيخ وجلست خلفهما فلما شعر بها الشيخ انشد يقول

ايا جبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص الي نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت على نفس مهموم تجلى همومها
اجد بردها او تشفي مني حرارة على كبد لم يبق إلّا رسومها

وكنيته ابو الفرج كان حنبلي المذهب تفقه على الشيخ عبد القادر وكان واعظا ولوعظه تاثير شديد في القلوب حتى قيل انه لا بد من موت واحد في مجلس وعظه وكان يمنع زوجته نسيم الصبا ان تحضر في مجلس وعظه خشية ان تموت لشدة محبتها وتعلق قلبه بها فظهر لك ايها الحاذق الاديب الكامل الاريب ان العربان البوادي المتشتتة في الاودية والنوادي آدابها غزيرة ولطائفها كثيرة يشهد لهم بذلك التاريخ الغابر والزمان الدابر وليتنا نلج دورهم ونرد سورهم ونحوم حمى هؤلاء الابطال ونبذل في ذلك عزيز الانفس وطائل الاموال وما احسن قول ابي الطيب المتنبي في هذا المعنى

تريدين ادراك المعالي رخيصة ... ولا بد دون الشهد من ابر النحل

فقل لمن اعجب بنفسه ونوادر طرسه اذا كنت غاية المنى والاماني اناشدك الله ان تنشد لنا مثل قول بديع الزمان الهمذاني حيث يصف طول السرى وطرد النوم والكرى

لك الله من ليل اجوب جيوبه ... كاني في عين السرى ابدا كحل
كان السرى ساق كان الكرى طلا ... كانا له شرب كان المنى نقل
كانا جياع والمطي لنا فم ... كان الفلا زاد كان السرى اكل
كان ينابيع الثرى ثدي مرضع ... وفي حجرها مني ومن ناقتي طفل
كانا على ارجوحة من مسيرنا ... لغور بنا تهوي ونجد بنا تعلو

فانظر الى هذا الشاعر البارع والاديب الشارع كيف وقد شهد له الحريري اديب العراق بل اديب الدنيا على الاطلاق وقد عناه في مقاماته بقوله

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... اسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم

فان بديع الزمان هو الذي سبق الحريري الى نظم المقامات و تحرير المقالات و تهذيب المباني و ترقيق المعـاني فاخذ الحريري زبدا من مقالته و نسج منسوجات على منواله و ابدل عيسى بن هشام بالحرث بن همام وطرح الاسكندري بابي زيد السروجي ومن اطلع على كلام الادباء وقصائد الشعراء يعلم ان كلام الطبقة الاولى من الشعراء ابلغ من الطبقة الثانية ولكن كلام الطبقة الثانية هو الموافق لحالنا و المناسب لمجالنا فان لكل مقام مقال ولكل مجال رجال ولقد غلط بعض اقوام حيث جعلوا الطبقة الثانية ابلغ من الاولى وغفلوا عما اجراهم على ذلك من الوجدان فهم حيث وجدوا قوالب صياغة الطبقة الاولى بعيدة عن مثالهم ولم تكن من نوالهم ظنوا ذالك فشتان بين مشرق ومغرب فعليكم ايها الشبيبة الاسلامية باكتساب العلوم و الادب فذلك يغنيكم عن التنابز بالقلب والنسب ولقد صدق القائل

كن ابن من شئت واكتسب ادبا   يغنيك مضمونه عن النسب
ان الفتى من يقول هانذا   ليس الفتى من يقول كان ابي

واني لما رايت في هذا الاوان قيام بعض الرجال و تدرعهم بدروع الابطال ازددت على المقام سرورا وعلى البحار عبورا وتمثلت بقول البحتري

وازرق الصبح يبدو قبل ابيضه   واول القطر غيث ثم ينسكب

وليتنبه الشعراء لما قاله شارح سلم العلوم من انه لا بد في الشعر من ان يكون الكلام جاريا على قانون اللغة وان يكون ذا استعارات لطيفة او تشبيهات بديعة وان تكون قضايا بحيث تؤثر في النفس سواء كانت صادقة او كاذبة فلا يجوز استعمال الاوليات الغير المؤثرة ويجوز استعمال المخيلات ولو كاذبة مستحيلة نحو زيد قمر مزرر الغلالة عليه

وكل قمر كذلك فغلالته تنشق فزيد غلالته تنشق وربما يستنتج اجتماع النقيضين نحو انا مضمر الحوايج باللسان ومظهرها بجريان الدموع وكل مضمر الحوايج صامت وكل مظهر الحوايج متكلم فانا صامت ومتكلم اه ويقرب من هذا قول البها زهير

اشكو واشكر فعله فاعجب لشاك منه شاكر

ولما انهى الكلام على الالهيات شرع يتكلم في النبويات وهي منقسمة على اقسام الحكم العقلي الثلاثة فقال (يجب للرسل) جمع رسول اي في حقهم (الكرام) صفة لبيان الواقع والرسول هو انسان اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه والنبيء هو انسان اوحي اليه بشرع وان لم يومر بتبليغه فالرسول اخص فخرج بقولنا انسان غير الانسان من الحيوانات والجن والملائكة وقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا وقوله انه لقول رسول كريم فباعتبار اللغة والعرف غير شامل لذلك وقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم على حذف مضاف اي من مجموعكم او من احدكم وكفر من قال لكل امة رسول ويخرج ايضا الانثى لانه يقال فيها انسانة كما قال الشاعر

انسانة فتانة بدر الدجى منها خجل

قال صاحب بدء الامالي

وما كانت نبيا قط انثى ولا عبد وشخص ذو فعال

اي ذو افعال قبيحة وذهب قوم الى عدم تخصيص الرسالة بالذكور فقد قيل بنبوة ست من النسوة حواء وسارة وهاجر وآسيا وام موسى ومريم وهما اقواهن دليلا اما ام موسى فلقوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية واجيب بان الايحاء في الاية بمعنى الالهام

او انه في مسالة جزئية فليس ايحاء بشرع حتى يوجب الرسالة واما
مريم فلذكرها في سورة الانبياء معهم كما ذكروا واجيب بان تلك المزية
لا توجب الرسالة كما هو ظاهر واتى المصنف بصيغة الجمع في الرسل
دون حصرهم في عدد لان الحديث الوارد في الحصر غير صحيح فالاحق
عدم الحصر لاداء الحصر الى الاقرار بالرسالة لمن لا يستحقها او نفيها
عمن يستحقها قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك
والرسالة هي سفارة العبد بين الله تعالى وبين ذوي الالباب من خليقته
ليزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم من امور الدنيا والاخرة وفي
ارسالهم حكمة لا تخفى والحكمة هي المصلحة والعاقبة قال التفتازاني
وفي هذا اشارة الى ان الارسال واجب لا بمعنى الوجوب على الله تعالى
بل بمعنى ان قضية الحكمة تقتضيه لما فيه من الحكم والمصالح وليس
بممتنع كما زعمت السمنية والبراهمة ولا بممكن يستوي طرفاه كما
هو لبعض المتكلمين اه قال العلامة العطار ناقلا عن الامام الشعراني في
اليواقيت والجواهر ان الارسال اختيار وانما يكون ببعض البشر كما
قالوا أبشرا منا واحدا نتبعه قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وللبسنا عليهم ما يلبسون وايضا عامة الخلق لا يناسبهم الروحاني المحض
في الارشاد وقال في الجواهر واليواقيت نقلا عن ابن العربي يمتنع
رسالة نبيين معا في آن واحد الا ان يكونا ينطقان في رسالتهما بلسان
واحد كموسى وهرون عليهما السلام فلم يكن لكل منهما عبادة تخصه اه
وخص النبي صلى الله عليه وسلم من بين الرسل بكونه خاتم النبيئين
كما قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيئين فقد تكفلت هذه الشريعة
السمحاء ببيان المصالح الدنوية والاخروية على الوجه الاكمل كما

قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فلا يتصور احتياج الى ازيد من ذلك فشرعه صلى الله عليه وسلم لا ينسخ بل هو مستمر الى يوم الحشر ولا يتوسط بينه وبين الحشر شرع آخر غير انه لا يستمر العمل به الى الحشر فان المؤمنين يموتون قبله بريح طيبة كما ورد وتقوم الساعة على اشرار الناس ومن هنا اخذ اسمه عليه الصلاة والسلام الحاشر ولا يرد ان مجيئ عيسى عليه السلام ونزوله انما هو بشريعتنا كمجيئ انبياء بني اسرائيل بشرع موسى عليه الصلاة والسلام وقد عدوا انبياء مستقلين لقولهم انه لا يشترط في الرسول ان تكون شريعته ناسخة لشريعة من قبله لان نزول عيسى عليه السلام انما هو بالعمل بشريعة نبينا عليه الصلاة والسلام على وجه التبع وليست نبوته نبوة مبتداة حتى تكون مستقلة لانه سبق بابتدائها وبكونه مبعوثا للخلق اجمعين كما ورد في صحيح مسلم وارسلت الى الخلق كافة وفسره ارباب الحديث بالانس والجن كما فسر المفسرون من بلغ في قوله تعلى واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ بذلك واختلف في ارساله للملائكة فنقل السبكي وغيره عن جماعة من العلماء انه مرسل اليهم ونقل الامام الرازي والبرهان النسفي حكاية الاجماع على عدم ارساله اليهم ورسالته اليهم على مذهب من قال بها رسالة تشريف وبكونه افضل جميع العالمين من الانبياء والملائكة وغيرهم وقد خرق الزمخشري الاجماع حيث قال في تفسيره عند قوله تعلى انه لقول رسول كريم يؤخذ منه ان جبريل افضل وشنع عليه في ذلك ونقل بعضهم عن اليوسي في شرح الكبرى انه قال ينبغي لك ان تستحضر في معنى الافضلية بين الانبياء ما ذكره الولي الصالح ابو عبد الله محمد بن عباد في رسائله

الكبرى حيث قال انها بحكم الله تعلى لا من اجل علة موجبة لذلك وجدت في الفاضل وفقدت في المفضول وللسيد ان يفضل بعض عبيده على بعض وان كان كل منهم كاملا في نفسه من غير ان يحمله على ذلك شيء وذلك مما يجب له بحق سيادته والله تعلى منزه عن الاغراض وغير هذا تعسف لا يسلم من الوقوع في سوء الادب وما زلت استثقل قولهم ان فلانا من الانبياء حاله كذا وحال نبينا صلى الله عليه وسلم كذا وشتان ما بين الحالين لما يوهم من النقص والانحطاط اه واما قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني على يونس بن متى ونحو ذلك فقد حمل على التواضع او على التفضيل المؤدي للنقص وقال التفتازاني عند قول النسفي وافضل الانبياء عليهم السلام محمد صلى عليه وسلم لقوله تعلى كنتم خير امة الاية ولا شك ان خيرية الامة بحسب كمالهم في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه والاستدلال بقوله عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد آدم ولا فخر ضعيف لانه لا يدل على كونه افضل من آدم بل من اولاده اه قال المحقق العصام قوله ولا شك ان خيرية الامة بحسب كمالهم في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم فيه بحث لجواز كون الترجيح بحسب سهولة انقيادهم ووفور عقلهم وقوة ايمانهم وكثرة اعمالهم والادمي وبنو آدم اشهر في نوع الانسان بحيث يشمل آدم وحواء دون ولد آدم فمن لم يفرق بين بني آدم وولد آدم فجعل الحديث دليلا على كونه صلى الله عليه وسلم افضل من آدم فقد سها وقد يجعل دليلا بمعونة ان نوحا او ابراهيم او موسى او عيسى على اختلاف الاقوال افضل من آدم والافضل من الافضل افضل لكن هذا الحكم اختلافي لان بعضهم قال

آدم افضل منهم فبناء افضليته صلى الله عليه وسلم بجملتها خلافية على ان
الحديث خبر الواحد فلا يفيد اليقين والاستدلال بقوله صلى الله عليه وسلم
انا اكرم الاولين والاخرين عند الله ولا فخر اتم اهـ وعبارة الخيالي
قد يقال المراد باولاد آدم في العرف هو نوع الانسان وهو المتبادر ايضا
وفيه ما فيه وقد يوجه ايضا بان في اولاده من هو افضل كنوح
او ابراهيم او موسى او عيسى عليهم السلام على اختلاف الاقوال
وفيه ضعف ايضا اذ قد قيل بان آدم عليه السلام هو الافضل لكونه
ابا البشر والاولى ان يستدل بقوله عليه السلام انا اكرم الاولين
والاخرين على الله ولا فخر اهـ قلت وهي اخصر واوضح واعلم ان
النسخ واقع عند جميع المسلمين فشريعة نبينا عليه الصلاة والسلام
ناسخة لجميع الشرائع السالفة وخالفت اليهود في ذلك وهم غير العيسوية
بعضهم في منع الجواز وبعضهم في منع الوقوع واعترف بذلك العيسوية
منهم وهم اصحاب ابي عيسى الاصفهاني وهم معترفون ببعثة نبينا عليه
الصلاة والسلام لكن الى بني اسماعيل خاصة وهم العرب قال بعضهم
ناقلا عن ابي البقا في كلياته وهم في ذلك فرقتان منهم من انكره نقلا
تمسكا بانهم وجدوا في التوراة تمسكوا بالسبت ما دامت السموات
والارض وبانه ثبت بالتواتر عن موسى عليه السلام انه قال لا تنسخ
شريعتي ومنهم من انكر ذلك عقلا محتجا بان الامر بالشيء دليل حسنه
والنهي عنه دليل قبحه فالقول بجواز النسخ يؤدي الى البداء والجهل
بعواقب الامور وحجتنا في ذلك من حيث السمع ان احدا لا ينكر
استحلال الاخوات في شريعة آدم عليه السلام ثم حرم ذلك في شريعة
موسى عليه السلام وجواز الاستمتاع بمن هو بعض من المره فان حواء

خلقت من ضلع آدم عليه السلام وحلت له واليوم حرم نكاح الجزء كنكاح البنت فلا خلاف بيننا وبينهم في ذلك وجواز استرقاق الحر في عهد يوسف عليه السلام ثم نسخ بالاتفاق وكذلك اباحة العمل في السبت قبل زمان موسى عليه السلام والتحريم في شريعته فانهم موافقون في ان حرمة العمل في السبت من شريعة موسى عليه السلام وقد ثبت عندنا بالدليل القطعي تحريف التوراة وارسالت رسل من بعد موسى عليه السلام فاين تابيد شريعته ولم يبق من اليهود عدد التواتر في زمن بختنصر وروى احبارهم ان العزير كتب التوراة في آخر عمره عند الاحتضار ودفعها الى تلميذ له ليقرأها على بني اسرائيل فاخذوها على ذلك التلميذ وبقول الواحد لا تثبت التوراة وزعم بعضهم ان ذلك التلميذ قد زاد فيها شيئا وحذف منها شيئا فكيف يوثق بمن هذا سبيله والدليل عليه ان نسخ التوراة ثلاثة كلها مختلفة متفاوتة وفي النسخ التي في ايدي النصارى الوعد بخروج المسيح وبخروج العربي صاحب الجمل وارتفاع تحريم السبت عند خروجهما فما نقلوا من تابيد شريعة موسى عليه السلام وتابيد تحريم السبت افتراء على موسى عليه السلام واقرب قاطع في البرهان ان احدا من احبار اليهود لم يحتج بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع حرصهم على رد قوله ولو احتجوا لاشتهر عنهم كسائر امورهم اه وغرض اليهود في ذلك عدم نسخ التوراة بالانجيل والفرقان وقد الف اناس كثيرون من المتاخرين في بيان نسخ التوراة والانجيل بالفرقان واستخرجوا من كتبهم نصوصا صريحة دالة على بعث محمد عليه الصلاة والسلام والرد على اليهود والنصارى في زعمهم ان شريعته عليه الصلاة والسلام ليست بناسخة لشرائع الانبياء

قبله عليهم الصلاة والسلام مثل الفاصل بين الحق والباطل للشيخ رحمة
وعلم اليقين في الرد على المتنصر عماد الدين للشيخ احمد افندي الشريف
الحسني وغيرهما من الكتب التي لم تسبق بمثال وكانت سبائكها على
اتقن منوال ولم يشرع اليها الاوائل فهي جديرة بقول القائل

كم ترك الاول للاخر ولكن الفضل للمتقدم

وكان ينبغي في هذا العصر النسج عن منوالها والفحص عن امثالها فكل
آونة تطرأ فيها شبه جديدة وكلما انقرضت دهور تنشأ حادثات
عديدة ولقد رايت ان ايدي علماء مصر تطاولت في هذا الشان فجاءت
برماح من الحجج وسيوف من البرهان فعليك بالاطلاع عليها فانها مفيدة
وعلى ما يختلج باوهام الحساد بعيدة والنسخ واقع في الكتاب والسنة
اجتماعا وانفرادا كما هو مبين في محله في الاصول واختلف هل كان
المصطفى صلى الله عليه وسلم متعبدا بشرع قبل النبوة ام لا وعلى تعبده
بشرع فقيل بشرع نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى وقيل
بشرع غير معين والارجح الوقف قال العلامة الشربيني في تقريراته
مبنى هذا الاختلاف ان الرسل السابقة هل كانت شرائعهم لجميع
المكلفين الكائنين في زمانهم والكائنين بعده او كانت شريعة كل
لقومه او يحتمل ويحتمل وعلى الاول من المعلوم ان من لم يكن في
زمانهم لا يجب عليه التعبد بشرائعهم إلا اذا لم تندرس وتتغير بالتبديل
ومن هنا يخرج خلاف في زمن الفترة هل هو ما بعد تبدل تلك الشريعة
على الاول او زمن من لم يكن من قوم ذلك الرسول وان لم تتبدل
شريعته وقول الوقف مبني على جواز كل من الاحتمالين واما تعبده
صلى الله عليه وسلم الثابت بحديث كان يتحنث بغار حراء فقال الامدي

انه يحتمل ان يكون بطريق التبرك بفعل مثل ما فعله الانبياء المتقدمون واندرس تفصيله وفيه انها اعمال شرعية لا يصح ايقاعها من غير تعبد كذا قيل وفيه ان نفي الصحة انما يكون بشرع ولم يثبت يقال تحنث اذا فعل فعلا خرج به من الحنث اي الاثم وهو اي ذلك الفعل العبادة كما يقال تاثم وتحرج فعل ما يخرج به من الاثم والحرج ومنه حديث حكيم ابن حزام ارايت امورا كنت اتحنث بها في الجاهلية اي اتقرب بها الى الله تعلى قاله المصنف في شرح المختصر اه والمراد بالمصنف ابن السبكي واعلم ان الالهام هو ايقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر يخص به الله تعلى بعض اصفيائه وهو ليس بحجة اذ غير المعصوم لا يأمن من الدسائس الشيطانية على خواطره واستدل على ذلك ايضا بقوله تعلى فاعتبروا يا اولي الابصار وبقوله تعلى افلا ينظرون الى الابل وغير ذلك من الايات التي هي آمرة بالحث على الاستدلال ولم يقع امر بالرجوع الى القلب في الاحكام والعقائد خلافا لبعض الصوفية حيث قالوا انه حجة في حق صاحبه اي الملهم قال العلامة العطار ومال اليه التفتازاني في بعض مصنفاته والحق كما قال صاحب العقائد النسفية بعد ان ذكر اسباب العلم والالهام ليس من اسباب المعرفة فالمرجوع اليه في الاحكام هو الشرع وهو الصراط المستقيم قال شيخ الاسلام ويقرب من الالهام رؤيا المنام فمن راى النبيء صلى الله عليه وسلم في نومه يامره بشيء او ينهاه عن شيء لا يجوز اعتماده على ذلك مع ان من رآه فقد رآه حقا اه ومما يناسب ما تقدم من رد شبه الملحدين ما قاله العلامة العطار بحواشي جمع الجوامع في كتاب الاجماع واما اجماع الفلاسفة على قدم العالم فغير معتد به لاستناده لدليل عقلي وتعارض الشبه واشتباه الصحيح

والفاسد فيه كثير ومثله اجماع اليهود على انه لا نبي بعد موسى عليه الصلاة والسلام والنصارى على ان عيسى قد قتل لانه ناشيء عن اتباع الاحاد الاوائل وليسوا على ثبت من ذلك فالعادة قاضية بوجود خطئهم اما اليهود فلان بختنصر قد افناهم حتى لم يبق منهم إلا نزر قليل لا يعتد بنقلهم ولا اجماعهم ودفن التوراة بالقدس والموجودة الان من املاء العزير بعد انقضاء امد الفتنة واما النصارى فلانه بعد رفع سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام وقع بينهم اختلاف كثير حتى تفرق الانجيل الى اربعة وهي في نصوصها متناقضة ولم يزل الاختلاف بينهم في امر الديانات واقعا حتى الان كما يدل على ذلك كتب التواريخ قال العلامة ابن حزم الظاهري الاندلسي نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل واما مع الارسال والاعضال فيوجد في كثير من اليهود لكن لا يقربون فيه من موسى عليه السلام قربنا من محمد صلى الله عليه وسلم بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى اكثر من ثلاثين عصرا وانما يبلغون الى شمعون ونحوه واما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق فقط واما النقل بالطريق المشتملة على كذاب او مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنصارى واما اقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن اليهود ان يبلغوا الى صاحب نبي اصلا ولا الى تابع له ولا يمكن النصارى ان يصلوا الى اعلى من شمعون وبولص اه وبالجملة فنبينا عليه الصلاة والسلام هو افضل الخلق واشرف الرسل فهو خير الانبياء وامته خير الامم وملته اشرف الملل ناسخة لجميع الشرائع له معجزات لا تحصى وفضائل لا تستقصى صاحب العلم الكامل والعقل الحاد والشجاعة والحلم

الوافر وماذا وصفي بعد ان وصفه المولى تبارك وتعلى بقوله وانك لعلى خلق عظيم قال الشاعر

لم يخلق الرحمن مثل محمد   ابدا وعلمي انه لا يخلق

والواجب في حق الرسل ثلاثة امور الاول منها دليله عقلي وقيل وضعي وقيل عادي وان افاد القطع لان الدليل العادي قد يفيد اليقين وضربوا لذلك مثلا بما اذا قام رجل في مجلس ملك بمرأى منه ومسمع بحضور جماعة وادعى انه رسول هذا الملك اليهم فطالبوه بالحجة فقال هي ان يخالف الملك عادته ويقوم عن سريره ويقعد ثلاث مرات مثلا ففعل الملك ذلك فلا شك ان هذا الفعل من الملك على سبيل الاجابة تصديق له ومفيد للعلم الضروري بصدقه بلا تلعثم ومنزل منزلة قوله صدق هذا الانسان في كل ما يبلغه عني ولا فرق في ذلك بين من حضر ومن لم يحضر إلّا انه بلغه ذلك بطريق التواتر المفيد لليقين ودليل الاخيرين نقلي فالاول (الصدق) اي مطابقة خبرهم للواقع في احكام الشرع واما الاحكام العادية فمن جزئيات الامانة نحو اكلت او شربت او غير ذلك والثاني (امانة) اي حفظ ظواهرهم وبواطنهم من الوقوع في المحرمات والمكروهات صغائر او كبائر خسيسة كتطفيف كيل اولا كالنظر للاجنبية قبل النبوءة او بعدها عمدا او سهوا إلّا ان يترتب على السهو تشريع كتسليمه صلى الله عليه وسلم من ركعتين في الرباعية وقد ورد بذلك حديث ذي اليدين المشهور ولبعضهم فى ذلك بيتان وهما

يا سائلي عن رسول الله كيف سها   والسهو عن كل قلب غافل لاهى

قد غاب عن كل شيء سره فسها   عما سوى الله فالتعظيم في الله

قال المحقق التفتازاني على العقائد النسفية وفي هذا اشارة الى ان الانبياء

عليهم السلام معصومون عن الكذب خصوصا فيما يتعلق بامر الشرائع
وتبليغ الاحكام وارشاد الامة اما عمدا فبالاجماع واما سهوا فعند
الاكثرين وفي عصمتهم عن سائر الذنوب تفصيل وهو انهم معصومون
عن الكفر قبل الوحي وبعده بالاجماع وكذا عن تعمد الكبائر عند
الجمهور خلافا للحشوية وانما الخلاف في ان امتناعه بدليل السمع او
العقل واما سهوا فجوزه الاكثرون واما الصغائر فيجوز عمدا عند
الجمهور خلافا للجبائي واتباعه ويجوز سهوا بالاتفاق إلّا ما يدل على
الخسة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة لكن المحققين اشترطوا ان
ينبهوا عليه فينتهوا عنه هذا كله بعد الوحي واما قبل الوحي فلا
دليل على امتناع صدور الكبيرة وذهبت المعتزلة الى امتناعها لانها
توجب النفرة المانعة عن اتباعهم فتفوت مصلحة البعثة والحق منع
ما يوجب النفرة كعهر الامهات والفجور والصغائر الدالة على الخسة ومنع
الشيعة صدور الصغيرة والكبيرة قبل الوحي وبعده لكنهم جوزوا اظهار
الكفر تقية اذا تقرر هذا فما نقل عن الانبياء مما يشعر بكذب او
معصية فما كان منقولا بطريق الاحاد فمردود وما كان بطريق التواتر
فمصروف عن ظاهره ان امكن وإلّا فمحمول على ترك الاولى او كونه قبل
البعثة وتفصيل ذلك في الكتب المبسوطة اه والاشارة في صدر كلامه
الى وجوب الصدق وقوله اظهار الكفر تقية اي خوفا اذ اظهار الاسلام
حينئذ من القاء النفس في المهالك وقوله فما كان منقولا بطريق الاحاد
فمردود اي بالقدح في رواته فذلك اهون من نسبة الانبياء عليهم الصلاة
والسلام الى المعاصي ثم ان ما نقله من ان جواز صدور الصغيرة من
الانبياء عليهم الصلاة والسلام عمدا مذهب الجمهور ليس بالمرتضى قال

شيخنا العلامة محمد بخيت في القول المفيد وما في شرح المقاصد من انهم معصومون من الصغائر عمدا محمول على المذهب المختار عند محققي الاشاعرة واختاره السيد الشريف وما في شرح العقائد من جواز الصغائر عمدا عند الجمهور محمول على خلاف المختار اه والثالث (تبليغهم) لكل ما اوحي اليهم من الاحكام المأمور بتبليغها للخاص والعام من اممهم ومن ادعى كتمان شيء مما امروا به فهو كافر والعياذ بالله تعالى وما يدعيه بعض المنتسبين للتصوف ان النبي صلى الله عليه وسلم خص بعلم التصوف عليا وهو خص به بعض الناس فتسلسل من واحد الى واحد فهو لو كان فيه مصلحة لبلغه صلى الله عليه وسلم للخاص والعام كسائر الاحكام الشرعية وإلا لزم عليه صلى الله عليه وسلم الكتمان ولا شك في كفر من يقول بذلك وان لم يكن فيه مصلحة فلا فائدة فيه على ان نسبة ذلك غير يقينية كما تقدم عن ابن خلدون فالاسلام والواجب علينا الاقتداء بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل السلف الصالح واجماع الامة وقياس من يعتد به منها اذ استمداد الشريعة من الكتاب والسنة والاجماع والقياس فما كان من غير هذه الاربعة فليس من الشرع في شيء ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا فيا للعجب من قوم في هذا الزمان ادعوا ان الشريعة قاصرة عن الامور فجعلوا التكلم في الغيبيات مكملا لذلك وسموا انفسهم اهل التصوف كلا ان هولاء مبتدعة لا متصوفة وانهم وتابعيهم لفي ضلال مبين واعني بهم قوما اذا عورضوا بالشريعة السمحاء في فاسد

، عماهم قالوا هذا علم صدور وذلك علم سطور وشتان بين ذاك وذا فكان مرادهم بعلم السطور الذي كنوا به الشرع الشريف وانهم ارتقوا عنه الى درجة اقوى واتم منه وما الخروج عن الشرع إلّا كفر وضلال مبين وماذا بعد الحق إلّا الضلال وما التصوف إلّا صفا الباطن وسلامة الظاهر من المعاصي الظاهرية والباطنية وذلك لا يكون إلّا بالعمل بمقتضى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعمري ما يقولون في قوله تعلى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فهم لم يرضوا بما رضي به تعلى وهذه الطائفة الخارجة عن الحق لم يفهموا معنى التصوف ولم يقدروا رجاله المهتدين من السلف الصالح حق قدرهم واعنى بذلك نحو حجة الاسلام الغزالي والحسن البصري والامام الجنيد والامام ابن العربي والامام الشعراني والشيخ البكري ومن نحا نحوهم على ان بعض هؤلاء لم يسلم من الانتقاد كما تقدم عن ابن خلدون وحسبك تقرير الامام الشعراني في ميزانه ان ائمة المذاهب الاربعة هم قدوتنا وائمتنا في الظاهر والباطن وانهم كانوا يصححون عن النبي صلى الله عليه وسلم الاحكام يقظة ويرجعون له في سند الاحاديث كذلك كما نقل عنه الشيخ عليش في فتاويه فامثال هؤلاء لم يدعوا بهذه الدعاوي الباطلة فهم اهل التصوف ومن حذا حذوهم كذلك وايضا فما راينا اليوم ممن يدعي ذلك استيفاء الشروط التي اشترطها اهل التصوف فنسال الله تعالى ان يكشف لنا عن بعض اصفيائه في هذا العصر ان كانوا فقد تناولها اليوم وادعاها بعض الجهلة الذين لم يظفروا حتى بمعرفة كيفية اداء المفروض على الوجه الشرعي قال الامام الشعراني رضي الله تعلى عنه شرط الشيخ

ان يكون متبحرا في علوم الشريعة بحيث يقرر مذاهب الايمة الاربعة وغيرها ويعرف ادلتها ومنازع اقوالها ويقف على ام الكتاب التي يتفرع منها كل قول وقال في المنن الكبرى وقد صرحوا بان من شرط الشيخ ان يسمع نداء مريده ولو كان بينهما مسيرة الف عام وقال صاحب كتاب المدخل ثم العجب من ادعائهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادي امر دينهم فالشيخ لا بد ان تكون قلوب اصحابه كانها في كفه فان كان عاجزا عن هذه المرتبة فلا يدعي المشيخة وقال الشريشي في رائيته

وللشيخ آيات اذا لم تكن له ... فما هو إلّا في ليالي الهوى يسري
اذا لم يكن علم لديه بظاهر ... ولا باطن فاضرب به لجج البحر
وان كان إلّا انه غير جامع ... لوصفيهما كلا على اكمل الامر
فاقرب احوال العليل الى الردى ... اذا لم يكن منه الطبيب على خبر

الى ان قال

وآيته ان لا يميل الى هوى ... فدنياه في طي واخراه في نشر
وان كان ذا جمع لاكل طعامه ... مريد فلا تصحبه يوما من الدهر

وقال القطب الكبير سيدي احمد الدردير عند قوله في الخريدة واتبع سبيل الناسكين العلما ما نصه والعالم هو العارف بالاحكام الشرعية التي عليها مدار صحة الدين اعتقادية كانت او عملية والمراد بهم السلف الصالح ومن تبعهم باحسان وسبيلهم منحصر في اعتقاد وعلم وعمل على طبق العلم وافترق من جاء بعدهم من ائمة الامة الذين يجب اتباعهم على ثلاث فرق فرقة نصبت نفسها لبيان الاحكام الشرعية العملية وهم الايمة الاربعة وغيرهم من المجتهدين لكن لم يستقر من المذاهب المرضية سوى مذاهب الايمة الاربعة وفرقة نصبت نفسها للاشتغال ببيان العقائد

التي كان عليها السلف وهم الاشعري والماتريدي ومن تبعهما وفرقة نصبت نفسها الاشتغال بالعمل والمجاهدات على طبق ما ذهب الفرقتان المتقدمتان وهم الامام ابو القاسم الجنيد ومن تبعه فهؤلاء الفرق الثلاثة هم خواص الامة المحمدية ومن عداهم من جميع الفرق على ضلال وان كان البعض منهم يحكم له بالاسلام فالناجي من كان في عقيدته على طبق ما بينه اهل السنة وقلد في الاحكام العلمية اماما من الايمة الاربعة المرضية ثم تمام النعمة والنجاة في سلوك مسالك الجنيد واتباعه بعد ان احكم دينه على طبق ما بينه الفريقان المتقدمان اه ولما راى الشيخ ابو مدين رضي الله عنه ان هذا المقام صعب السلوك سوى على من تداركته الطاف مالك الملوك وكثرة الكاذبين على الله تعلى قال مصرحا

واعلم بان طريق القوم قد درست ... وحال من يدعيها اليوم كيف ترى

واختصت تلك الطوائف الزائغة عن منهج الحق ببدع عديدة لم نعلم لها اصلا في سالف الزمان سوغت لهم افكارهم العقيمة استعبادهم انفسهم للهوى والشيطان والى هذه الطائفة يشير ابو العلاء المعري بقوله

ارى حبل التصوف شر حبل ... فقل لهم واوهن بالحلول

اقال الله حين عبدتموه ... كلوا اكل البهائم وارقصوا لي

وبالجملة فقد تفاقمت الدعاوي في هذا الزمان حتى ان بعضهم يدعي ان له التصريف في الكائنات كلا ان لا تصريف إلا لله قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب وبعضهم يدعي علم الغيب الذي نزه الله تعلى عنه

انبياءه قال تعلى قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا
اقول لكم اني ملك ان اتبع إلّا ما يوحى الي وقال تعالى وعنده مفاتح
الغيب لا يعلمها إلّا هو الاية فالكهنة اهون اعتقادا من هؤلاء المبتدعة
ويبالغ فيهم تابعوهم الضالون حتى انهم يقولون ان الشيخ لا يموت وهذا
كفر صراح وامر غير مباح والحاد في الاية الكريمة انك ميت وانهم ميتون
وسياتي مزيد كلام في هذا المرام ولنرجع الى الموضوع فنقول وبالله
التوفيق (يحق) على كل مكلف اعتقاد هذه الصفات الثلاث في الرسل
وتحرير ادلتها واعتقاد انه (محال) في حقهم عليهم الصلاة والسلام
اضدادها فضد الصدق (الكذب) وضد الامانة الخيانة (و) هي
ارتكاب (المنهي) عنه من محرم ومكروه وخلاف الاولى في حقهم
معصية على حد حسنات الابرار سيئات المقربين (كعدم التبليغ) فانه
يستحيل في حقهم لانه ضد التبليغ وقوله (يا ذكي) بمعنى يافطن
تكملة للبيت وفي بعض كتب التوحيد زيادة صفة رابعة في حق الرسل
عليهم الصلاة والسلام قال شيخنا العلامة محمد بخيت في القول المفيد
الصفة الرابعة الفطانة بفتح الفاء وهي حدة العقل وذكاؤه فلا يجوز
ان يكون الرسول ابله او مغفلا او بليدا لانهم انما ارسلوا لاقامة
الحجج والبراهين وابطال شبه المعاندين وبيان الشرائع والاحكام
ولا يكون ذلك من ابله او مغفل او بليد ولانا مامورون بالاقتداء بهم
في الاقوال والافعال ولا يجوز ان يكون المقتدى به في جميع اقواله
وجميع افعاله ابله او مغفلا او بليدا ولان كلا من ذلك صفة نقص
تخل بمنصب الرسالة الشريف الذي هو منصب الوساطة بين الخالق وبين
المخلوقين ولذلك كان الرسل اشرف الناس رجالا ونساء لان شان دنيء

الاصل ان تانف نفس العقلاء وتستنكف عن اتباعه في اوامره ونواهيه والاقتداء به في اقواله وافعاله وكانوا منزهين عن كل ما يخل بالمروؤة وكل ما يؤدي الى نقص في مراتبهم عليهم الصلاة والسلام وان لم يكن معصية اصلا اه ثم اشار الى القسم الثالث وهو الجائز في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام (فقال يجوز في حقهم) اي الرسل عليهم الصلاة والسلام (كل عرض) اي صفة حادثة بشرية لا تنافي منصبهم السامي كالاكل والشرب والجماع فهذه لا تنافي الرسالة كما زعم الجاهلية فقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق أبشر يهدوننا ان انتم إلّا بشر مثلنا وقولنا لا تنافي منصبهم احتراز من الصفات المنافية للرسالة كاضداد الصفات الواجبة في حقهم والصمم والبكم والعمى وما روي ان سيدنا يعقوب عليه السلام عمي في آخر عمره فليس بصحيح وقوله تعلى وابيضت عيناه من الحزن بمعنى اصابته غشاوة ثم زالت وكنسبة الادرة لموسى عليه السلام فبرأه الله تعلى منها كما قال فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وعقدة سيدنا موسى التي في لسانه كانت قبل الرسالة وداء سيدنا ايوب عليه السلام ليس بجذام ولا برص وانما هو جدري وهو ليس بمنفر الطباع وكل ما اوهم في حقهم او في حق الملائكة عليهم السلام نقصا فمؤول والى ما ذكرنا اشار الناظم بقوله (ليس) العوض (مؤديا لنقص) راجع للرسالة او الخلق او الخالق كالمرض والفقر والنوم والاغماء والسهو للتشريع ومحل النوم منهم عليهم الصلاة والسلام العيون ولا يتجاوز الى قلوبهم لما انه يؤدي الى الغفلة عن جانب الحق تبارك وتعلى ولله در الابوصيري حيث يقول

لا تنكر الوحي من رؤياه ان له ** قلبا اذا نامت العينان لم ينم

وما جرى في حقه عليه الصلاة والسلام يجري في حق بقية الرسل عليهم الصلاة والسلام وخبر الرسول المؤيد بالمعجزة هو احد قسمي الخبر المفيد لليقين قالوا وخبر الرسول يوجب العلم الاستدلالي اي الحاصل بالنظر في الدليل والدليل هو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبري وهذا اصطلاح اهل الاصول وقيل هو قول مؤلف من قضايا متى سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر وهذا اصطلاح اهل المنطق على ان المناسب هنا حذف قيد متى سلمت لان الكلام في خصوص البرهان الذي هو يتالف من خصوص القضايا اليقينية المسلمة كما قال الاخضري

اجلها البرهان ما الف من ** مقدمات باليقين تقترن

من اوليات مشاهدات ** مجربات متواترات

وحدسيات ومحسوسات ** فتلك جملة اليقينيات

لا في القياس الذي هو شامل للبرهان وغيره كما هو مقرر في محله والقسم الثاني الخبر المتواتر وهو الخبر الثابت على السنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب وهو يوجب العلم الضروري كعلمنا بوجود عمر بن عبد العزيز وهرون الرشيد ومكة وبغداد فهذا ليس قاصرا على المستدل بل يتناول حتى الصبيان واما خبر النصارى بقتل عيسى عليه السلام وخبر اليهود بتابيد دين موسى عليه السلام فتواتره ممنوع بما تقدم ثم اشار الناظم الى البراهين المؤيدة للصفات الواجبة في حقهم عليهم الصلاة والسلام بقوله (لو لم يكونوا) عليهم الصلاة والسلام (صادقين) فيما بلغوه الينا مما اوحي اليهم من الامور الدينية وإلا فقد قال عليه الصلاة والسلام

انتم اعلم بامر دنياكم وهذا مقدم القضية والتالي قوله (للزم) على ذلك (ان يكذب الاله في تصديقهم) باظهاره المعجزة على ايديهم لانها منزلة منزلة التصريح بالقول عادة وان افادت اليقين لا عقلا كما زعم بعضهم ألا ترى انه لو طلع واحد على المنبر بحضرة السلطان فخطب على الناس الحاضرين قائلا ان الامير يامركم بكذا وينهاكم عن كذا وهو يستمع ويرى وعلامة صدقي ان يخالف الامير عادته بان يقوم ويقعد من على السرير ثلاث مرات مثلا ففعل الامير ذلك لكان مفيدا لليقين كما تقدم (اذ) تعليلية (معجزاتهم) الصادرة على ايديهم (كقوله) تعلى (و) الحال انه قد (بر) في قوله والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله وهو (صدق هذا العبد) المبلغ عني (في كل خبر) بلغه اليكم وهذه الجملة التعليلية دليل الملازمة والاستثنائية مطوية والتقدير لكن كذب الله تعلى محال ودليل الاستثنائية ان تصديقه لهم خبر وخبره تعلى على وفق علمه والخبر على وفق العلم ليس بكذب فتصديقه تعلى لهم ليس بكذب واذا علمت ان كذب الاله محال علمت ان عدم صدقهم محال فصدقهم واجب والمعجزة هي الامر الخارق للعادة المقارن لدعوى الرسالة المتحدى به قبل وقوعه المعجز لمن اراد معارضته فقولنا الامر الخارق للعادة جنس في التعريف دخل فيه السحر والكرامة وغير ذلك من الانواع الستة الآتية والمقارن لدعوى الرسالة فصل اخراج الكرامة والمعونة والمتحدى به قبل وقوعه فصل ثان اخرج الارهاص وهو التاسيس قبل النبوة كظهور نوره صلى الله عليه وسلم في آبائه وتظليله الملائكة حتى راتهم خديجة قبل ان يتزوجها والمعجز لمن اراد معارضته فصل ثالث اخرج الاستدراج والسحر فانه لا يعجز من اراد معارضته هكذا قرروا وان كان

بعض القيود يغني عن بعض وظن قوم موسى انه ساحر فعارضوه فلم يستطيعوا واكبر معجزة النبي عليه الصلاة والسلام القرآن ثم تليه معجزاته التي لا تحصى الدالة على وفور حلمه وكمال علمه وفضله الشامخ وقدمه الراسخ دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم قالوا وكل نبي كانت معجزته بجنس ما يتحدى به قومه فالكليم عليه الصلاة والسلام لما كان قومه يتحدون بالسحر والشعوذة كانت معجزته من خوارق العادات المناسبة لذلك والمسيح عليه الصلاة والسلام لما كان قومه يتحدون بالطب والحكمة جاء بابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى ونبينا عليه الصلاة والسلام لما جاء في وقت فصاحة العرب وبلاغتها وكان في قريش الذين هم بالخصوص افصح العرب كما قال عليه الصلاة والسلام انا افصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش كانت معجزته من جنس ذلك فهي المناسبة لما كانوا يتفاخرون به من الفصاحة والبلاغة في الاودية والنوادي فجاءهم بالعذب الفرات من محكم الايات التي قصرت عنها معجزات الانبياء قبله فمن عارضها بسهام ردت عليه سهامه ومن عارضها بنبله ردت عليه نبله روي انه ما عارضها احد من العرب إلّا واتى بكلام سامج تستقذره كل النفوس حتى صار اضحوكة بين العالم وممن عارضها مسيلمة الكذاب فقد قال في معارضة سورة الكوثر انا اعطيناك العقعق فصل لربك وازعق ان شانئك هو الابلق والذي سماه كذابا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روي انه بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم من بلده بطاقة يقول له فيها من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض بيني وبينك نصفين فاختر ايهما شئت فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد

رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده ولقد اجاد الشيخ الابوصيري دفين اسكندرية في وصف براعتها وحدة بلاغتها حيث يقول

آيات حق من الرحمن محدثة   قديمة صفة الموصوف في القدم
لم تقترن بزمان وهي تخبرنا   عن المعاد وعن عاد وعن ارم
دامت لدينا ففاقت كل معجزة   من النبيين اذ جاءت ولم تدم
محكمات فما تبقين من شبه   لذي شقاق وما تبغين من حكم
ما حوربت قط الا عاد من حرب   اعدى الاعادي اليها ملقي السلم
ردت بلاغتها دعوى معارضها   رد الغيور يد الجاني عن الحرم
لها معان كموج البحر في مدد   وفوق جوهره في الحسن والقيم

ويكفيه قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا واختلف في حد الاعجاز والاوجه انه باقصر سورة منه كسورة الكوثر وقال بعضهم الاية الطويلة مثلها ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام انشقاق القمر له بجبل ابي قبيس فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انشق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقال كفار قريش هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا اراوا مثل هذا ام لا فاخبر اهل الافاق بانهم راوه منشقا فقال كفار قريش هذا سحر مستمر فقد انشق نصفين وهو في السماء وان كان قد يتوهم انه نزل منها الى الجبل ومنها تسليم الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم فقد ثبت عن علي رضي الله عنه ومنها

تسبيح الحصى في كفه ثم في كف بعض الخلفاء فقد ثبت عن رواية
انس بن مالك ومنها حنين جذع النخلة وحديثه متواتر ومنها رد عين
قتادة بعد ان سالت على خده فصارت احسن منها سابقا ومنها شهادة الضب
له وتكلمه بلسان فصيح واما حديث الضبية وشكايتها له بمن اصطادها
وبفراق اولادها فموضوع لا اصل له ومنها انهمار الماء من بين اصابعه
الكريمة ومنها الاسراء به صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى وهو قطعي لوروده بنص القرآن ومنها المعراج
وحديثه مشهور وقد كان يقظة وبجسده الشريف الى السماء الى سدرة
المنتهى ثم الى ما شاء الله تعالى ورؤيته فيه للمولى تبارك وتعالى بعيني
رأسه كما هو الحق والاسراء متقدم على المعراج ركب على البراق
وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وقد وقع في المعراج اختلافات
كثيرة ومنازعات شهيرة قال المحقق التفتازاني وانكاره وادعاء استحالته
انما ينبني على اصول الفلاسفة وإلا فالخرق والالتئام على السموات جائز
والاجسام كلها متماثلة يصح على كل ما يصح على الاخر والله تعالى
قادر على الممكنات كلها فقوله في اليقظة اشارة الى الرد على من زعم
ان المعراج كان في المنام على ما روي عن معاوية انه سئل عن المعراج
فقال كانت رؤيا صالحة وروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما
فقد جسد محمد عليه السلام ليلة المعراج وقد قال تعالى وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك إلا فتنة للناس واجيب بان المراد الرؤيا بالعين والمعنى ما
فقد جسده عن الروح بل كان مع روحه وكان المعراج للروح والجسد
جميعا وقوله بشخصه اشارة الى الرد على من زعم انه كان للروح فقط
ولا يخفى ان المعراج في المنام او بالروح ليس مما ينكر كل الانكار

والكفرة انكروا امر المعراج غاية الانكار بل وكثير من المسلمين قد ارتدوا بسبب ذلك وقوله الى السماء اشارة الى الرد على من زعم ان المعراج في اليقظة لم يكن إلا الى بيت المقدس على ما نطق به الكتاب ثم الى ما شاء الله تعلى اشارة الى اختلاف اقوال السلف فقيل الى الجنة وقيل الى العرش وقيل الى فوق العرش وقيل الى طرف العالم فالاسراء وهو من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى قطعي ثبت بالكتاب والمعراج من الارض الى السماء مشهور ومن السماء الى الجنة او الى العرش او غيرذلك آحاد ثم الصحيح انه عليه السلام انما رأى ربه بفؤاده لا بعينه وهو نص ما قاله المحقق العصام في هذا المقام والمعراج على ما ذكر ارباب السير انه ظهر في بيت المقدس من الصخرة الى السماء معراج في غاية الحسن والجمال وهو المعراج الذي تعرج منه الملائكة الى السماء احدى عارضتيه من الياقوت الاحمر والاخرى من الزبرجد الاخضر واحدى درجاته من الفضة واخرى من الذهب مكللة بالدر والياقوت وهو الذي يظهر منه ملك الموت لقبض الروح ويراه المحتضر فلاجله ينظر جدا ويبالغ في النظر والجواب بان المراد الرؤيا بالعين مبني على ان الرؤيا جاء مصدر راى بالبصر كالرؤية إلا انه في راى في المنام اشهر وبعضهم حمل قول عائشة رضي الله عنها على معراج آخر وجمع بين كلام عائشة وغيره بتجويز تعدد المعراج واما ما قاله بعض متاخري اصحاب السير ان كلام عائشة مبني على انها كانت في زمن المعراج صغيرة ولم تحققه ومعاوية كان لم يسلم فلم يعرفه فليس بشيء ولا ينبغي ان يصغى اليه لان عائشة رضي الله تعلى عنها مع حرصها في معرفة احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعد كمال البعد ان

تقنع بمعرفة ايام صفرها ولا تحققها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك معاوية مع طول عهده في الاسلام ورؤيته صلى الله عليه وسلم لربه في هذه الليلة مما انكرته عائشة وجمع من الصحابة واثبات الرؤية منقول عن ابن عباس والحسن البصري وعروة والزبير وكعب الاحبار والزهري وابي الحسن الاشعري واكثر اتباعه لكن اختلفوا في انه هل هو بالقلب بان اعطي لقلبه حال البصر فرآه رؤية البصر او البصر والصحيح الاول لان ابن عباس صرح في بعض ما روى بالقلب وفي البعض اطلق وجعل بعض الايمة الاحوط فيه التوقف لان شيئا من ادلة الطرفين لا يفيد اليقين والمسلك يقيني اه والسيدة عائشة المذكورة في الرواية هي زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنة الصديق التي قال في حقها صلى الله عليه وسلم خذوا شطر دينكم عن هذه الحميرية وبرأها الله تعالى في الاية الكريمة مما نسبه لها المنافقون وحاصل ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد السفر اقرع بين نسائه ولما خرجت القرعة على عائشة رضي الله عنها في غزوة بني المصطلق خرجت معه وفي الرجوع من الغزوة ضاع عقدها وكان من خرز بلدة باليمن يقال لها اظفار فتخلفت في طلبه فحمل هودجها على راحلتها ظنا انها فيه لانها كانت خفيفة كما اخبرت هي بذلك رضي الله عنها ولما سار القوم رجعت الى منزلهم فلم تجدهم فمكثت مكانها فاخذها النوم الى ان مر بها صفوان بن المعطل وكان يعرفها قبل نزول آية الحجاب وكان يتخلف ليلتقط ما يسقط من متاع القوم او لانه كان ثقيل النوم فاناخ ناقته وولاها بظهره وصار يجهر بالاسترجاع حتى استيقظت فحملها على ناقته غاضا بصره عليها وقاد بها الناقة موليا

لها بظهره الى ان ادرك بها النبي عليه الصلاة والسلام فرماها به المنافقون وبعض ضعفاء المسلمين فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فشا بين المنافقين رجمها بذلك فجمع الصحابة وقال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني اذاه في اهل بيتي فوالله ما علمت على اهلي إلّا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلّا خيرا فقال سعد بن معاذ انا اعذرك منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا امرك فقال سعد بن عبادة سيد الخزرج كذبت لا قدرة لك على قتله وكان سعد بن معاذ رئيس الاوس وسيدهم فهم الاوس والخزرج بالقتال فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاعراض عن القتال فانزل الله تعلى ان الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم الى قوله تعلى اولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم وهي عشر آيات فقال الصديق لابنته عائشة رضي الله عنها قومي فاشكري لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا اشكر إلّا الله الذي برأني وكون القائل لذلك هو الصديق هو ما ذكره بعض اهل التوحيد في كتبهم والذي في الصحيحين ان القائل لذلك امها رضي الله عنهما وكان ممن تكلم بالافك مسطح وكان ينفق عليه الصديق رضي الله عنه فلما قال ذلك قطع عنه النفقة فانزل الله تعلى ولا ياتل اولو الفضل منكم والسعة ان يوتوا اولي القربى الاية فاعاد عليه النفقة امتثالا للاية الكريمة واعلم ان ما كان من معجزاته صلى الله عليه وسلم متواترا كالفرقان او ثابتا بنص الكتاب كالاسراء فلا شك في كفر منكره وما لم يكن منقولا بطريق ذلك كالمعراج ونبع الماء من بين اصابعه فيفسق منكره ولا يكفر ثم ان الامر الخارق للعادة ان كان بعد النبوة فمعجزة وقبلها

فارهاص ولولي فكرامة ولعامي فمعونة ولفاسق ان وافق مراده
فاستدراج اولم يوافق فاهانة كما روي عن مسيلمة الكذاب انه دعا
لاعور بان تصير عينه العوراء صحيحة فعمي ونظم بعضهم هذه الاقسام
الستة للامر الخارق للعادة فقال

اذا ما رايت الامر يخرق عادة فمعجزة ان من نبي لنا صدر
وان بان منه قبل وصف نبوة فالارهاص سمه تتبع القوم في الاثر
وان جاء يوما من ولي فانه الكرامة في التحقيق عند ذوي النظر
وان كان من بعض العوام صدوره فكنوه حقا بالمعونة واشتهر
ومن فاسق ان كان وفق مراده يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
وإلا فيدعى بالاهانة عندهم وقد تمت الاقسام عند الذي اعتبر

وزاد بعضهم السحر وقيل انه ليس من الخوارق لانه معتاد عند تعاطي
اسبابه وكرامات الاولياء حق خلافا للمعتزلة المانعين لذلك معللين بلزوم
الاشتباه بينها وبين المعجزة واجيب بالفرق بينهما بالتحدي اي
الاتيان بها في معرض المعارضة بخلاف الكرامة والولي هو العارف
بالله تعلى وصفاته حسب الامكان المواظب على الطاعات المجتنب عن
المخالفات المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات ودليل ثبوت
الكرامة ما تواتر عن كثير من الصحابة والسلف الصالح مما لا يمكن
انكاره وقد جاء الكتاب بظهورها من مريم عليها السلام بحملها من غير
ذكر وبالرزق من غير سبب ومن صاحب سليمان عليه السلام وهو
آصف بن برخيا باحضار سرير بلقيس من مسافة بعيدة قبل ارتداد
الطرف ومن اصحاب الكهف والرقيم ومن الخضر عليه السلام ومن
ذلك ما روي ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل يسوق بقرة

قد حمل عليها اذ التفتت البقرة اليه وقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تكلم فقال النبي عليه الصلاة والسلام آمنت بهذا ومن ذلك رؤية الفاروق رضي الله تعلى عنه جيشه بنهاوند وهو على المنبر بالمدينة حتى انه قال لامير الجيش يا سارية الجبل الجبل تحذير اله من وراء الجبل لمكر العدو وكمونه هناك فسمع سارية كلامه مع بعد المسافة بينهما ومن ذلك جريان النيل بكتاب الفاروق رضي الله تعلى عنه كما هو مشهور وامثال ذلك لا تحصى كثرة واعلم انه قد زلت كثير من الاقدام في هذا المقام حتى انهم سووا بين الكرامة والمعجزة فقالوا كل ما جاز ان يكون معجزة لنبيء جاز ان يكون كرامة لولي والصواب ان كل ما جاز ان يكون كرامة لولي جاز ان يكون معجزة لنبي وتنعكس هذه الكلية جزئية كما هي القاعدة المنطقية فتقول بعض ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي وهذا صحيح فاسمع فان بعض القوم اختلط عليهم الحابل بالنابل فاخلوا بمنصب الرسل عليهم الصلاة والسلام حتى انهم صرحوا بهذه المقالة الشنيعة والحادثة الفظيعة ونسبها بعضهم للجمهور وهذا من الجهل الفادح والغلط القاصح وكانه اوقعهم في ذلك عبارات بعض المؤلفين الموهمة لاتحاد الكرامة بالمعجزة مثل قول الابوصيري

والكرامات منهم معجزات ۞ نالها من نوالك الاولياء

ومثل قول النسفي في عقائده ويكون ذلك اي ظهور الخوارق للعادة على يد الولي معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من امته لانه يظهر بها انه ولي ولن يكون وليا إلا وان يكون محقا في ديانته وديانته الاقرار برسالة رسوله وكل ذلك محمول على التشبيه البليغ من كلامهما

وغيرهما او ان الكرامة تسمى معجزة بالنسبة لتلامذة الولي كما ان معجزة النبي تسمى معجزة بالنسبة الى قومه ومن الضروري ان درجة تلامذة الاولياء لا تبلغ درجة قوم الانبياء فشتان بين ذاك وذا وطالما كنت آمل نشر هذا التحقيق والفحص عن هذا التدقيق الى ان يسر الله لنا هذه الكتابة المنيفة والمقاصد الشريفة

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وممن نص على التشبيه البليغ في ذلك المحقق العصام في حواشي العقائد النسفية والمحقق الخيالي وغيرهما من فحول ايمة الكلام وقال شيخنا الشيخ محمد بخيت قاضي اسكندرية في القول المفيد فكل من الكرامة والسحر وان كانا من المظاهر الكونية الخارجة عما جرت به عادة الخالق من آثار الاجسام والجسمانيات لا يخرج عن متناول قوة البشر بخلاف المعجزة فانها خارجة عن قواهم لعدم امكان معارضتها بخلاف الاولين فليس واحد منهما يقارب المعجزة او يشابهها في شيء والفرق بين الكرامة والسحر ان الكرامة انما تجري على يد من جاهد في الله حق جهاده حتى هداه سبله وجعله على صراطه المستقيم ممتثلا لشرعه القويم والسحر انما يجري على يد من علم اسبابه الخفية بواسطة تعليمات شيطانية واعمال ظلمانية تكون مباشرتها معصية تارة وكفرا اخرى فتعلم علم السحر لا قبح فيه والعمل به قبيح فخذ هذا ولا تلتفت لما تعلقت به اوهام كثير في هذا المقام فان كل ما يخالف ما اوضحناه خبط عشواء اه وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح صحيح البخاري والاعدل ان كرامة الولي لا تصل الى درجة معجزة النبي كقلب الجماد بهيمة والخلق بلا ابوين اه وممن مال الى ذلك صاحب جمع

الجوامع وعبارته قال القشيري ولا ينتهون الى نحو ولد دون والد اه
قال الجلال المحلي قال المصنف وهذا حق يخصص قول غيره
ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي لا
فارق بينهما إلّا التحدي ومنع اكثر المعتزلة الخوارق من الاولياء
وكذلك الاستاذ ابو اسحق الاسفرائيني قال كل ما جاز تقديره معجزة
لنبي لا يجوز ظهور مثله كرامة لولي وانما مبالغ الكرامات اجابة
دعوة او موافاة ماء في بادية من غير توقع المياه او نحو ذلك مما ينحط
عن خرق العادات وممن مال الى ذلك ايضا شارح المقاصد حيث
قال كرامات الاولياء تكاد تلحق بمعجزات الانبياء وانكارها ليس بعجيب
من اهل البدع والاهواء اه فعبر بفعل المقاربة الذي يدل على المغايرة
وايضا فقد اعترف المجوزون لذلك بانه لم يكن فى قدرة احد من
الامة ان ياتي بمثل هذا القرآن فهذا ينقض قاعدتهم الكلية واما قولهم
ان كلامنا ليس في هذا لانه ثبت الاعجاز فيه بالنص الصريح فمحض
تعسف وتكلف واما قول بعضهم وقد انكروا ذلك على القشيري حتى
ولده ابو نصر فليس بحجة قطعية يعتمد عليها وبالجملة فتلك الكلية
لا يرتضيها العقل ولا النقل بل مذهب القشيري هو الذي توسط بين
المبالغة والاجحاف وخير الامور اوساطها

وليس كل خلاف جاء معتبرا　　إلّا خلاف له حظ من النظر

وممن مال الى مذهب الاستاذ ابي اسحق الاسفرائيني محيي الدين بن
العربي كما ذكره الامام الشعراني في بعض مصنفاته ومحيي الدين بن
العربي هذا ممن ذهب الى ان البسملة جزء من الفاتحة وهو مالكي المذهب
قال المحقق الامير في حواشي السمرقندية وقد جزم محيي الدين بانها

من الفاتحة على مناسبة كلامه وايده بمكاشفته كتابتها في اللوح
ومعلوم انه خلاف قول مالك قرر لنا شيخنا العدوي ان محيي الدين مالكي
ويؤيده انه اندلسي ولكن رايت في ديوانه ما يقتضي اجتهاده وهو

نسبوني الى ابن حزم واني   لست ممن يقول قال ابن حزم
لا ولا غيره فان مقالي   قال نص الكتاب ذلك علمي
او يقول الرسول او اجمع الخلق   على ما اقول ذلك حكمي

اهـ وكل الانبياء جاؤوا بمعجزات باهرة وآيات ظاهرة واولهم آدم
عليه السلام وآخرهم نبينا عليه الصلاة والسلام واعلم انه قد اخبرني
بعض افاضل العصر بانه اعترض عليه احد علماء النصارى بان شعراء
الاسلام تشعر ظواهر عباراتهم بالقدم للنبي صلى الله عليه وسلم الذى
لا يسعكم ان تقولوا به وإلا فيلزمكم القول بالقدم بالنوع الذي هو
راي الفلاسفة على ان هؤلاء الشعراء لهم دراية في العلوم مثل قول
الابوصيري في همزيته

انت مصباح كل فضل فما تصدر إلا عن ضوئك الاضواء

وغيره وانه اجابه بان هذا من مبالغات الشعراء ونحن ايضا لا نسلمها
فلا تتوجه علينا وكنت لم ارتض منه هذا الجواب حتى وقفت على
اصرح من قول الابوصيري في ذلك وهو قول ابن الخطيب الاندلسي

يا مصطفى من قبل نشأة آدم   والكون لم تفتح له اغلاق

فازددت حيرة الى ان وقفت على تحقيق نفيس للعلامة العطار في حواشي
جمع الجوامع يدفع ذلك الاعتراض من اصله نقلا عن حجة الاسلام
الغزالي في كتابه المظنون به عن غير اهله وهو فان قيل اذا كانت الارواح
حادثة مع الاجساد فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق

الارواح قبل الاجساد بالفي عام وقوله انا اول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا وكنت نبيا وآدم بين الماء والطين قلنا هذا لا يدل على قدم الروح بل يدل على حدوثه وكونه مخلوقا نعم يدل على تقدم وجوده على الجسد وامر الظواهر هين فان تاويلها ممكن والبرهان قاطع لا يدرأ بالظواهر بل يساط على تاويل الظاهر كما في ظواهر التشبيه في حق الله تعالى اما قوله صلى الله عليه وسلم خلق الله الارواح قبل الاجساد فالمراد بالارواح ارواح الملائكة وبالاجساد العالم من العرش والكرسي والسموات والكواكب والعناصر واما قوله صلى الله عليه وسلم انا اول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا فالخلق ههنا بمعنى التقدير دون الايجاد فانه قبل ولادته لم يكن موجودا مخلوقا ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود ومثله قوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فانه كان نبيا في التقدير قبل تمام خلقة آدم عليهما الصلاة والسلام هذا خلاصة ما ذكره ويرد عليه ان تقدير الاشياء كلها سابق على وجودها فلا خصوصية له صلى الله عليه وسلم في ذلك فالاحسن ما افاده والد المصنف ان قوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين اشارة الى الروح وهو وصف لموصوف موجود على ان الروح متقدمة على الجسد ثم قال واما حكم نبوته وكذلك حكم نبوة بقية الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فانها لا تنقطع بالموت ولا يلزم قيام صفة بغير موصوف اما اولا فلان الارواح لا تفنى واما ثانيا فلان الانبياء احياء في قبورهم وما نسب للامام الاشعري من انها في حكم الباقية اي وليست باقية حقيقة فمفترى عليه وقد تعرض للقصة المصنف في الطبقات بما ينبغي الوقوف عليه ووقعت مناظرة بين قسيس من النصارى وعالم من

علماء الاسلام في التفضيل بين نبينا وعيسى عليهما الصلاة والسلام فقال
ايهما افضل المتفق عليه ام المختلف فيه فقال المتفق عليه فقال اذا
عيسى افضل فقال الشيخ من عيسى الذي تعنيه ان كان هو الذي جاء
بشيرا باحمد عليه الصلاة والسلام فاين منزلة البشير من المبشر به وان
كان غيره فلا نعرفه ولا نقول بوجوده فضلا عن نبوته فبهت الذي
كفر اه ونقل قبل ذلك عن فرائد ابن كمال باشا ما نصه ان روح
محمد صلى الله عليه وسلم اول باكورة اثمرها الله تعلى بايجاده من
شجرة الوجود واول شيء تتعلق به القدرة شرفه بتشريف اضافته
الى نفسه تعلى ثم حين اراد ان يخلق آدم عليه السلام سواه ونفخ
فيه من روحه وهو روح النبي صلى الله عليه وسلم فهو ابو الارواح
كما ان آدم عليه السلام ابو الاشخاص وهذا احد اسرار قوله
عليه السلام آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة اه وبهذا التقرير
اندفع الاشكال وانفسح المجال والحمد لله على كل حال وجمع المصنف
الامانة والتبليغ في برهان واحد فقال (لو انتفى التبليغ) بان كتموا
شيئا مما امروا بتبليغه (او خانوا) الله تعلى بفعل محرم او مكروه وجميع
افعالهم دائرة بين الواجب والمندوب واقل ما يقصدون بالمباح التشريع
للامة فيكون مندوبا وجواب لو (حتم) اي لزم (ان يقلب المنهي) عنه
(طاعة لهم) وامتثالا كيف وقد قال تعلى يا ايها الرسول بلغ ما
انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقال قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وقال تعلى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن
كان يرجوا الله واليوم الاخر فلو كتموا لكتموا الايات المعاتبة لهم

مثل عبس و تولى ان جاءه الاعمى الاية ومثل قوله تعلى و تخفي في نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس و الله احق ان تخشاه و مثل قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم الاية فالله تعلى امرنا باتباعهم في اقوالهم و افعالهم إلا فيما ثبت اختصاصهم به ولو علم وقوع الكتمان منهم لم يامرنا بذلك ومع ذلك فالصحابة رضي الله تعلى عنهم كانوا حريصين اشد الحرص على اتباع اقواله و افعاله صلى الله عليه وسلم و تتبع آثاره كما نقل الينا ذلك بطريق التواتر

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرجال فلاح

فلو وقع منهم خيانة او كتمان لكننا مامورين بارتكابهما فينقلب المنهي عنه او المكروه طاعة وهذا الانقلاب محال للتناقض فما ادى اليه من الكتمان و الخيانة محال فالتبليغ و الامانة واجبان في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام قال السنوسي رضي الله عنه في شرح ام البراهين وقد علم من دين الصحابة ضرورة اتباعه عليه السلام من غير توقف على نظر اصلا في جميع اقواله و افعاله إلا ما قام به دليل على اختصاصه به فقد خلعوا نعالهم لما خلع نعله عليه الصلاة والسلام و كان ذلك في الصلاة ولما فرغ من الصلاة قال لهم لم خلعتم نعالكم فقالوا له لما رايناك خلعتهما خلعناهما فقال عليه الصلاة والسلام اتاني جبريل فقال لي اخلع نعليك فان فيهما نجاسة قيل انه كان دم قراد واحتج بهذا الحديث من قال ان العلم بالنجاسة في الصلاة لا يبطلها بل ينزعها فقط و المراد بقوله من غير توقف اصلا يعني غالبا وما لم تبهتهم ضرورة الحال و إلا فقد امرهم في عمرة الحديبية بالحلق والنحر ثلاث مرات فوالله ما قام منهم احد فدخل على ام سلمة رضي الله عنها فذكر لها ما لقي من الناس فقالت

ان احببت ذلك فاخرج ولا تكلم احدا وانحر واحلق فخرج فنحر بيده ودعا الحالق فلما راوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق لبعض اه من البخاري وكذا في غزوة الفتح امرهم بالفطر في رمضان فلما استمروا على الامتناع تناول القدح فشرب فشربوا وسبب تاخيرهم حملهم الامر على الندب او انه بهتهم ضرورة الحال فاستغرقوا في الفكرة ونزعوا خواتمهم لما نزع عليه السلام خاتمه وفي البخاري كان له صلى الله عليه وسلم خاتم من ذهب فنبذه وقال لا البسه ابدا فنبذ الناس خواتمهم فلبس الذهب كان اولا غير حرام على الذكور ثم حرم وفيه ايضا عن انس انه كان من ورق وعليه ينظر هل هو نسخ للاباحة او انما هو قضية وقتية وحسر ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما عن ركبتيهما في قصة جلوسهم على البير كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وكاد يقتل بعضهم بعضا من شدة الازدحام على الحلاق عند ما راوه صلى الله عليه وسلم يحلق راسه وحل من عمرته في قصة الحديبية وقد تقدمت وكانوا يبحثون البحث العظيم عن هيئة جلوسه ونومه وكيفية اكله وغير ذلك ليقتدوا به وقال لهم عليه الصلاة والسلام لما ارادوا التبتل والانقطاع للعبادة ليلا ونهارا اما انا نا كل وانام واتزوج النساء او كلاما يقرب من هذا فمن رغب عن سنتي فليس مني وقوله او كلاما يقرب من هذا انما قال الشارح ذلك لعدم جزمه بما قاله عليه الصلاة والسلام لهم والذي في البخاري عن انس جاء ثلاثة رجال الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسالون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما اخبروا كانهم تقالوها فقالوا اين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فقال احدهم

اما انا فاصلي الليل وقال آخر وانا اصوم الدهر ولا افطر وقال آخر وانا اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انتم الذين قلتم كذا وكذا اما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له لكن اصوم وافطر واصلي وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فانظر كيف ردهم بفعله الذي لا معدل عن الاقتداء به عما قصدوه مع انه يظهر قبل التامل ان ما قصدوه هو من اكبر الطاعات وجهاد النفس وقد ثبت ان ابن عمر رضي الله عنهما لما ساله السائل عن صبغه بالصفرة ولبسه النعال السبتية وكونه لا يحرم اذا اهل هلال الحجة وانما يحرم في يوم التروية وكونه انما يلمس الركنين اليمانيين فاجابه بانه استند في ذلك كله لفعله صلى الله عليه وسلم وقد ادار رضي الله تعلى عنه راحلته في موضع واعتل لذلك بانه كذلك راى النبي صلى الله عليه وسلم فعل والسائل له هو ابن جريج قال له رايتك تصنع اربعا لم اجد احدا من اصحابك يصنعها قال ما هي يا ابن جريج قال رايتك لا تلمس من الاركان إلّا اليمانيين ورايتك تلبس النعال السبتية ورايتك تصبغ بالصفرة ورايتك اذا كنت بمكة اهل الناس اذا راوا هلال الحجة ولم تهل انت حتى اذا كان يوم التروية اهللت فقال ابن عمر اما الاركان فاني لم ار رسول الله صلى الله عليه وسلم يلمس إلّا اليمانيين واما النعال السبتية فاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي لا شعر فيها فاحببت ان البسها واما الصفرة فاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها فانا احب ان اصبغ بها واما الاهلال فاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يهل حتى تنبعث به راحلته اه واطلاق اليمانيين

تغليب والمراد ركن الحجر الاسود والركن اليماني الذي قبله والمراد بالصبغ صبغ الثوب كما في السكتاني وقال الشيخ يس يحتمل صبغ ثوبه ويحتمل صبغ لحيته قاله المنجور ونحوه لبعض شراح الحديث وفي شرح البردة لابن مرزوق وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم صبغ لحيته الكريمة بالحناء والكتم والنعال السبتية بكسر السين التي لا شعر فيها سميت بذلك لسبت الشعر عنهـا اي حلقه فسبتية بمعنى مسبوتة والمراد بالاهلال التلبية عند الاحرام ويوم التروية هو ثامن الحجة لتروي ابراهيم في ذبح ولده يومها ثم عمل بمقتضى امر ربه يوم النحر وقيل انما سمي اليوم الثامن بيوم التروية لانهم كانوا في الجاهلية يحملون فيه الماء لمنى لعدم الماء فيها اذ ذاك والمراد بالموضع الذي ادار راحلته فيه هو المحل الذي يذهب منه لقبور الشهداء فقد روى ابن عبد البر باسناده الى نافع رايت ابن عمر اذا ذهب الى قبور الشهداء وهو على ناقته ردها هكذا وهكذا فقيل له في ذلك فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع على ناقته فعل كذا وهذا غاية التاسي والاقتداء وانظر قول عمر رضي الله عنه للحجر الاسود لقـد علمت انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك وانظر كيف يصح هـذا القول من عمر مع ما ورد في صحيح ابن خزيمة عن ابن عباس مرفوعا ان لهذا الحجر لسانا وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة إلّا ان يقال ان هذا الحديث لم يبلغ عمر او بلغه والمعنى لا تضر ولا تنفع بذاتك بل باذن الله لانه هو الضـار النافع حقيقة وانما قال عمر ذلك لان الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الاصنام فخشي عمر ان يظن الجهلة منهم ان استلام الحجر من بـاب

تعظيم بعض الاحجار كما كانت العرب تفعله في الجاهلية فقال عمر ذلك ليعلم
الناس ان استلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لان الحجر
يضر وينفع بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الاوثان وقد ثبت عن
بعض السلف واظنه الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه انه كان لا ياكل
البطيخ فقيل له في ذلك فقال منعني من اكله انه لم يثبت عندي كيف اكله النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر ابن النجار الحنبلي في منتهى الارادات ان
من امتنع من اكل الطيبات بلا سبب فهو مبتدع وما نقل عن الامام احمد
انه امتنع من اكل البطيخ لعدم علمه بكيفية اكل النبيء صلى الله عليه
وسلم له فكذب اه نعم في المواهب كان محمد بن اسلم لا ياكل البطيخ
لعدم علمه كيفية اكل النبيء صلى الله عليه وسلم له اي انه لم يثبت
انه اكله بقشره او بغير قشره وهل تناوله قطعا او نحتا بالاسنان
ولكن ذكر بعضهم كما في الشيخ يس انه ثبت انه صلى الله عليه وسلم
كان يشقق البطيخ بقشره وياخذ الشقة ياكل منها من ناحية اليمين حتى
يصل لنصفها فيديرها بان يجعل ما كان منها من جهة اليسار جهة اليمين
وياكل منها الى ان يصل للموضع الذي وصل اليه ويرمي القشر ولا
ياكله وبالجملة فالاتباع له صلى الله عليه وسلم في جميع افعاله واقواله
إلّا ما اختص به ورؤية الكمال فيها جملة وتفصيلا بلا تردد ولا توقف
اصلا مما علم من دين السلف ضرورة ولا شك ان هـذا دليل قطعي
اجماعي على عصمته صلى الله عليه وسلم وفي معناه عصمة سائر الرسل
عليهم الصلاة والسلام من جميع المعاصي والمكروهات اه منه ومن
الدسوقي في حاشيته عليه مع بعض تصرف واعلم ان الاولياء غير معصومين
إلّا انهم محفوظون بمعنى انها تجوز في حقهم المخالفات لكنها لا تقع

منهم كذا قالوا ويجب اعتقاد ان لله اولياء اكرمهم باظهار خوارق العادات على ايديهم على طريق الاجمال واما اعتقاد ان فلانا بعينه ولي وان الله اظهر الكرامة على يده فلم يقل احد من العلماء بوجوبه على احد فيجوز لكل مسلم باجماع الامة ان ينكر صدور اي كرامة كانت من اي شخص كان على التعيين ولا يكون بانكاره هذا مخالفا لشيء من اصول الدين ولا مائلا عن سنة صحيحة ولا منحرفا عن الطريق القويم فانه لم يجيء في الشرع إلّا اشهد ان لا اله إلّا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل احد بانه جاء في الشرع زيادة على ذلك وان فلانا بعينه ولي الله ثم ان اعتقاد الولاية والكرامة في معنى يرجع الى ما يعلمه شخص من آخر ويعتقده فيه ولكن ليس لهذا الشخص المعتقد في شخص آخر بانه ولي بناء على حسن ظنه فيه ان يحمل غيره على هذا الاعتقاد قال فريد الزمان شيخنا سيدي محمد بخيت في هذا المقام وهذا هو الحق الصريح الذي لا مرية فيه فلا تشغل بالك بقوم يتعصبون عصبية الجاهلية الى مشائخهم فيوجبون اعتقاد ولايتهم على كل انسان وان انكر عليهم منكر شنعوا عليه ورموه بانه ينكر كرامات الاولياء نعوذ بالله من قوم لا يفقهون اه انظر القول المفيد فقد جمع فيه الطارف والتليد مما يدل لصاحبه على طول الباع وغزارة الاطلاع وهكذا كل زمان جديد ياتي بمحقق فريد

حلف الزمان ليأتين بمثله ان الزمان بمثله لبخيل

هكذا ينبغي ان يقرر هذا المقام ثم ان السنوسي رحمه الله تعالى ختم هذا المقام بنصيحة حسنة وهي قوله ولتكن ايها المؤمن على حذر عظيم ووجل شديد على ايمانك ان يسلب منك بان تصغي باذنك او عقلك

الى خرافات ينقلها كذبة المؤرخين وتبعهم في بعضها بعض جهلة المفسرين فقد سمعت الحق الذي لا غبار عليه في حقهم عليهم الصلاة والسلام فشد يدك عليه وانبذ كل ما سواه والله المستعان اه قال المحقق الدسوقي قوله الى خرافات الخ جمع خرافة وذلك كالذي ينقلونه من عصيان آدم وما وقع لداود من انه حسد اوريا وزيره على زوجته ومن ذلك ما نقله في الشفاء عن الكلبي قال وليس ثقة ان النبيء صلى الله عليه وسلم تمنى ان ينزل عليه ما يقارب بينه وبين قومه فانزل الله عليه افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والمشركون لما سمعوه اثنى على آلهتهم والجن والانس إلا رجلا اخذ كفا من تراب وجعله على جبهته وقال هذا يكفيني وهذا كذب وكذا قيل انه لما قرأ في الحرم بحضرة المسلمين والمشركين افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترجى وانما قلنا انه كذب لرده بالبرهان القطعي على العصمة ولا يعارض القطعي بالظني لو سلم ثقة الناقل كيف وصاحب الشفاء مع تبحره لم يثبت منه شيئا ولقد صدق المصنف في انه يخاف على من صدق هذه المقالة سلب الايمان لانه لا مندوحة لمن صدق هذه المقالة عن تسليم وقوع الانبياء في المعاصي خصوصا سيدنا محمدا فان تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح الالهة غير الله كفر والقاء الشيطان ذلك على لسانه ممتنع لعصمته اه ثم اشار المصنف الى برهان القسم الثالث فقال (جواز الاعراض) البشرية (عليهم) اي في حقهم عليهم الصلاة والسلام (حجته) اي برهانه مشاهدة (وقوعها بهم) لمن في زمانهم

ونقل ذلك الينا بالتواتر أو المراد بالاعراض ما لا يؤدي الى نقص في حقهم عليهم الصلاة والسلام كما تقدم وذلك بالفقر والمرض وحدة منهم البدن ولا يحصل للقلب منه شيء وحكمة وقوعها بهم (تسل) الناس اي تصبرهم بها كيف وقد وقعت بالرسل عليهم الصلاة والسلام فضلا عن غيرهم هذه (حكمته) وايضا التنبيه على خسة الدنيا وانحطاط قدرها حتى ان الله تعلى لم يرض بها دار نعيم لاوليائه وايضا تحقق بشريتهم للضعفاء لئلا يضلوا واذا نظرت الى احوال الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الدنيا علمت ان لا قدر لها عند الله تعلى اذ لو كان لها قدر لما منع منها انبياءه عليهم الصلاة والسلام وبسطها على الكفار قال عليه الصلاة والسلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء وقال لابن عمر والمراد ما يعمه وغيره كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وقوله كانك غريب اي كمسافر قدم بلدا لا مسكن له فيها ولا اهل فقاسى انواع الذل والمسكنة في غربته وتعلق قلبه بالرجوع الى وطنه واهله ولما كان الغريب قد يقيم ببلد الغربة ويحصل له الاستقرار بها اضرب عنه بقوله او عابر سبيل اي بل كن مثل المار في الطريق لاجل ان يصل الى وطنه وبينه وبينه مفاوز مهلكة فاو في الحديث للاضراب بمعنى بل وهو احد معانيها كما اشار الى ذلك ابن مالك في الخلاصة بقوله

خير ابح قسم باو وابهم واشكك واضراب بها ايضا نمي

وللترمذي في هذا الحديث زيادة وعد نفسك من اهل القبور وبلغ رسول الله صلى عليه وسلم ان اسامة بن زيد اشترى جارية الى شهر فصار يقول ألا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر والله ان اسامة لطويل

الامل ثم قال صلى الله عليه وسلم والله ما رفعت قدمي فظننت ان اضعها حتى اقبض ولا فتحت عيني وظننت اني اغمضها حتى اقبض ولا لقمت لقمة وظننت اني اسيغها حتى اقبض والذي نفسي بيده ان ما توعدون لات وما انتم بمعجزين واخرج ابو نعيم عن ابي هريرة قال جاء رجل للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لي لا احب الموت قال الك مال قال نعم قال قدمه فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحق به وان اخره احب ان يتاخر عنه وهذا كله في ذم الدنيا التي تصرف همة المرء عن حب الاخرة وإلا فقد قال صلى الله عليه وسلم نعمت الدنيا مطية المؤمن بها يصل الى الخير وبها ينجو من الشر وحمل قوله عليه الصلاة والسلام الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعلى وما والاه اي من التسبيح والتحميد وعالما او متعلما على الدنيا التي تصرف الهمة عن حب الله تعلى قال الحريري في ذمها

يا خاطب الدنيا الدنيئة انها ... شرك الردى وقرارة الاكدار

دار متى ما اضحكت في يومها ... ابكت غدا تبا لها من دار

وقال صاحب الكشاف

صفت الدنيا لاولاد الزنا ... ولمن يحسن ضربا او غنا

وهي للحر مخاض كدر ... غبن الحر لعمري غبنا

وفي الحديث اشدكم بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وقال تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون قال ابو بكر القشيري ليس كل واحد اهلا للبلاء اذ البلاء للاولياء فاما

الاجانب فيتجاوز عنهم ويخلي سبيلهم لا لكرامتهم ولكن لحقارة قدرهم اه وروي انه صلى الله عليه وسلم اراد ان يتزوج بامرأة جميلة فقيل انها لم تمرض فاعرض عنها وتزوج عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه بامرأة فلم تمرض فطلقها وما احسن قول شمس الادباء الحريري في هذا المقام

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى ... اذا سكن المثري الثرى وثوى به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا ... بما تقتني من اجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فانه ... بمخلبه الاشغى يغول ونابه
ولا تامن الدهر الخؤون ومكره ... فكم خامل اخنى عليه ونابه
وعاصي هوى النفس الذي ما اطاعه ... اخو ضلة إلا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الاله وخوفه ... لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه ... بدمع يضاهي المزن حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه ... وروعة ملقاه ومطعم صابه
وان قصارى منزل الحي حفرة ... سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله ... وابدى التلافي قبل اغلاق بابه

والمغاني في كلامه جمع مغنى وهو المنزل والمثري اسم فاعل كثير المال وثوى به بمعنى نزل به والمراد به في قافية البيت الثاني ضد العقاب والاشغى الزائد الشاغية وهي الزائدة من الاسنان ويغول يهلك ونابه المراد به في الاولى الناب المعروف وفي الثانية ضد الخامل من النباهة والضلة الضلال وعقابه في الاولى جمع عقبة وفي الثانية ضد الثواب والصاب هو الحنضل وواها كلمة تقال عند التعجب وما احسن ايضا ما انشده المحقق السنوسي من قوله

دببت للمجد والساعون قد بلغوا جد النفوس والقوا دونه الازرا
وكابدوا المجد حتى مل اكثرهم وعانق المجد من وافى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمرا انت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

(مسالة) يتاكد على كل عاقل معرفة نسبه صلى الله عليه وسلم فهو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن لياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وليس ينقل فيما وراء ذلك الى آدم طريق صحيح واما من جهة امه عليه الصلاة والسلام فهو سيدنا محمد بن آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب فتجتمع معه عليه الصلاة والسلام في جده كلاب وازواجه عليه الصلاة والسلام وهن ثلاث عشرة سيدة اعني اللاتي عقد عليهن منهن تسع توفي عنهن عليه الصلاة والسلام وهن المشار اليهن بقول بعضهم

توفي رسول الله عن تسع نسوة اليهن تعزا المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ثلاث وست نظمهن مهذب

فعائشة رضي الله عنها هي بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه وميمونة هي بنت الحرث من بني هلال وصفية هي بنت علي بن اخطب من بني اسرائيل وحفصة هي بنت الفاروق رضي الله عنه وهند هي المكناة بام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة من بني مخزوم وزينب هي بنت جحش من بني اسد بن خزيمة وهي التى كانت تحت زيد بن حارثة وجويرية هي بنت الحرث سيد بني المصطلق من خزاعة ورملة هي المكناة بام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب من بني امية وسودة هي بنت زمعة بن

الاسود من بني عامر بن لؤي من قريش فهؤلاء التسع اللاتي توفى عنهن
رضي الله عن الجميع وهناك اثنتان توفيتا في حياته عليه الصلاة والسلام
وهما خديجة بنت خويلد الاسدية من قريش وهي اول زوجة له ولم
يتزوج عليها غيرها حتى ماتت وزينب بنت خزيمة من بني هلال
ابن عامر وكانت تدعى ام المساكين لشدة رأفتها وشفقتها عليهم
قال اهل السير وهناك اثنتان لم يبن بهن وتسرى عليه الصلاة
والسلام بمارية القبطية التي اهداها له المقوقس وازواجه عليه
الصلاة والسلام كن يدعون بامهات المؤمنين وقد سماهن الكتاب
بذلك قال تعالى وازواجه امهاتهم واولاده عليه الصلاة والسلام
وهم سبعة على الصحيح ثلاثة ذكور وهم القاسم وعبد الله الملقب
بالطيب والطاهر وابراهيم ولم يعش منهم احد بل توفوا بمكة واربع
اناث زينب ورقية وفاطمة وام كلثوم اما زينب فقد تزوجها قبل
الهجرة ابن خالتها ابو العاص بن الربيع وهو على دينه ثم هاجرت الى
المدينة ولما لحق زوجها بالمدينة فاسلم ردها له صلى الله عليه وسلم
واما رقية وام كلثوم فقد تزوجهما عثمان بن عفان رضي الله تعالى
عنه الواحدة بعد الواحدة ولذلك كان يلقب بذي النورين واما فاطمة
فقد تزوجها علي بن ابي طالب رضي الله عن الجميع وكلهم من السيدة
خديجة إلا سيدنا ابراهيم فانه من مارية القبطية ارسل عليه الصلاة
والسلام على راس الاربعين سنة ثم اقام بعد ذلك بمكة ثلاث عشرة
سنة تقريبا واقام بالمدينة بعد الهجرة عشرا من السنين كذلك فعمره
عليه الصلاة والسلام ثلاث وستون سنة ولما توفى عليه الصلاة والسلام
دفن بحجرة عائشة رضى الله تعالى عنها وهى في الجهة الشرقية الشمالية

من المسجد واما خلقه واخلاقه عليه الصلاة والسلام فكانت على احسن ما ينبغي راجع كتب الشمائل ولو بسطنا الكلام كل البسط في ذلك لم نف بمقدار قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وبقوله عليه الصلاة والسلام ادبني ربي فاحسن تاديبي

فبالغ واكثر لن تحيط بوصفه فاين الثريا من يد المتناول

ولما ذكر الصفات الواجبة والجائزة والمستحيلة في حقه تعلى وكذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وكان ذلك على وجه التفصيل اراد ان لاتفوته فضيلة الاجمال فنبه على ان جميع الصفات المذكورة تندرج في كلمة الاخلاص بطريق اللزوم فقال (وقول لا اله) اي لا معبود بحق (إلّا الله) تعلى (محمد ارسله الاله) كافة للناس بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا والرواية محمد رسول الله ولا بد من ضبط هذه الكلمة المشرفة بمد اللام الاولى مدا طبيعيا وتحقيق الهمزة بعدها ومد اللام الثانية كذلك وتحقيق الهمزة الثانية من اداة الاستثناء وتشديد لامها وتفخيم لفظ الجلالة وتشديد لامه ومده مدا طبيعيا وقد نقل عن بعض علماء المذهب ان الهيللة الملحونة لا تسمى ذكرا ولا يثاب عليها فاعلها حتى قال بعضهم ان اليمين بالله مع عدم مد لامه لا تنعقد ولا بد من تشديد الميم الثانية من جملة الرسالة وتنوين الدال وادغامه في الراء مع تفخيمه وتفخيم لفظ الجلالة ومد لامه مدا طبيعيا وانما نبهت على هذه المواضع لكثرة اللحن من الناس فيها وليحذر من التصرف فيها بل يقتصر على الوارد شرعا قال الشيخ محمد بن يوسف الشهير بالكافي في الحصن والجنة على عقيدة اهل السنة للامام الغزالي ولا يتصرف في شيء من حروفها بزيادة او نقصان بل يقتصر

على الوارد شرعا ما دام له شعور بذلك فاذا غاب عنه الحال وزال عنه الشعور رفع عنه التكليف في ذلك الوقت فكل ما يصدر عنه لا يؤاخذ به بل يثاب عنه ولا يجوز تقليده في شيء من ذلك لان حكمه حكم المجنون من حيث رفع التكليف وان كان محترما من حيث ان غيابه في الله اذا تحقق هذا تعلم ان ما خالف هذه الكيفية لا يعد ذكرا شرعيا كاملا الى ان قال هذا وقد شاع وذاع الفساد وعم سائر الاقطار والبلاد حتى اعمى البصائر ودنس السرائر فلا ناهي ولا منتهي واجتمع الكلام على الخبائث اذا وجد ناه عيب قوله واستصغر عقله ورأوا انه اتى بمنكر تنهد منه الجبال وذلك ان مما عليه غالب الناس اليوم تحريف الذكر بالكلمة المشرفة ولا سند لهم في ذلك إلّا نسبة التحريف الى مشائخهم وهذا جواب غالبهم ولو بينت له الذكر الشرعي وبعضهم يستند في تحريفه الى ما روي من انآه بمد الهمزة وسكون الهاء اسم من اسماء الله تعلى ولا يصح هذا الاستناد من وجهين الوجه الاول انه لم يعد من اسمائه الحسنى التي بينها المصطفى صلى الله عليه وسلم والثاني ان من قيلت في حقه لا يستطيع غيرها لكونه كان مريضا فهو في حالة تشبه من غاب عقله وقد تقدم انه لا يجوز تقليده ثم زادوا في السفه وقلة الحياء من الله تعلى ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عباد الله الصالحين حيث جعلوا اسمه العظيم واسم نبيه الكريم ينشد بهما المغنون بآلات اللهو والطرب المحرم استعمالها واستماعها شرعا وقد يستعملون ذلك في بيوت الله التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ويسمون ذلك باسم لم يوافق المسمى بل ضده بذلك اولى وهو سماع الجد وذلك ان السماع الجائز الذي نص عليه الفقهاء والصوفية ان

يكون المسموع لا يثير شهوة وان لا يكون قولا قبيحا وان لا يكون مع الالات المحرمة فاذا توفرت شروطه جاز بل اذا رفع الى حالة حسنة ندب وزاد بعض الصوفية في الشروط ان لا يكون المتكلم امرد وان لا يكون في المجلس امرد ايضا وجميع الشروط مختلة اليوم في سماعهم بل اذا لم يكن المنشد يضاهي الشادن ملحظا لا يطيبون به واذا قيل لهم ان هذا منكر لا يجوز استعماله ولا الحضور فيه قالوا نحن نستعمله منذ سنين ويحضر معنا العلماء والفقهاء ولم ينكر علينا احد منهم بل اذا عمل احد العلماء والفقهاء وليمة يستدعي ارباب الملاهي ويفعل ما نفعله نحن بل ربما مدح ارباب الملاهي بقصائد ونحوها وفيما ذكر دليل على جواز استعمال ذلك وإلّا لما حضر وفعل هؤلاء الفقهاء آلات الطرب ويرد عليهم من حيث ان سندهم في ذلك هو حضور العلماء الخ بان هذا فعل والعلماء لا يقلدون في افعالهم كيف كانت لانهم ليسوا بمعصومين وانما المعتبر في هذا ونحوه نصوص الايمة الاعلام العدول المقتدى بهم وقد نص الايمة رضي الله تعلى عنهم بان الحضور في مجالس الالات المطربة ولو كانت مصاحبة لاذكار او مدائح او وعظ حرام يفسق من حضرها ويجرح في شهادته بسببه ولا تجوز امامته وكتب الفقهاء مشحونة بذلك وعليه فيقال ان العلماء والفقهاء الذين يحضرون تلك المجالس لا يخلو حالهم من امرين اما انهم يجهلون حكم الله في ذلك واما انهم تعدوا ذلك غير مبالين بحرمة الله تعلى وعلى كل لا يجوز تقليدهم في ذلك لثبوت فسقهم شرعا هذا ولا تغتر بما في حاشية الصاوي على اقرب المسالك تبعا لما في حاشية الشيخ الامير على سيدي عبد الباقي تبعا للرسالة المنسوبة للتونسي لان تلك الرسالة مردودة

بما فيها مما يدل على جواز استعمال آلات اللهو والطرب بنقول عن الايمة المقتدي بهم وكثيرا ما يتروج بعض الطلبة بما في حاشية الامير او بما نسب الى التونسي ظنا منه ان الامير والتونسي لا يحصل لهما سهو وهذا منه سهو بل جهل لعدم اطلاعه على نصوص الفحول في هذا الموضوع نعوذ بالله من الجهل اه وقال المحقق ابو عبد الله محمد ابن حمدون من اسمج العوائد ما يفعله اصحاب الملاهي في العود ونحوه من ابتدائهم الموازين او بعضها بثناء على الله تعالى او امداح نبوية او صلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم او ختمهم بادعية فانهم ان ارادوا بذاك استحلال ما حرم من تلك الالات فقريب من الكفر والعياذ بالله وان ارادوا تكفير ما هم فيه من الوزر فجهل عظيم بل هو الى الاستهزاء اقرب فيزداد الاثم من جهة استعمال ما وضع للتعظيم في غير محل التعظيم اه وقال المحقق الجمل عند تفسير قوله تعالى فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا في سورة طه وفي القرطبي وسئل الامام ابو بكر الطرطوشي ما يقول سيدنا الفقيه في جماعة يجتمعون ويكثرون من ذكر الله تعالى وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم يضربون بالقضيب على شيء من الطبل ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه ويحضرون شيئا ياكلونه فهل الحضور معهم جائز ام لا افتونا يرحمكم الله الجواب يرحمك الله مذهب هؤلاء الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واما الرقص والتواجد فاول من احدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل واما الطبل فاول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله

تعالى وانما كان مجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه كانما على رؤوسهم الطير من الوقار فينبغي للسلطان ونوابه ان يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الاخر ان يحضر معهم او يعينهم على باطلهم وهذا مذهب مالك وابي حنيفة والشافعي وابن حنبل وغيرهم من ائمة المسلمين اه وقد كثر في هذا الزمان محدثات شتى في الاذكار مما لم يرد به حديث صحيح او نص صريح فبعضهم ذهب فيها الى الرقص والتصفيق والتواجد وذلك ضلال كما تقدم آنفا عن الامام ابي بكر الطرطوشي والى هاته الطائفة اشار العارف الاخضري بقوله

وان رايت رجلا يطير   وفوق ماء البحر قد يسير
ولم يقف على حدود الشرع   فانه مستدرج وبدعي

الى ان قال

فبعض القوم الحدوا في الدين   واشتغلوا بطاعة اللعين
وقال ـ واتخذوا مشائخا جهالا   لم يعرفوا الحرام والحلالا

وانشد ابو عبد الله ابن الحاج العبدري في المدخل

يا عصبة ما ضر امة احمد   وسعى على افسادها إلا هي
طار ومزمار ونغمة شادن   ارايت قط عبادة بملاهي

وان اردت زيادة في هذا الموضوع فعليك بالمدخل للامام المذكور فلقد اجاد فيه وافاد وهو حري فيما احتوى عليه من الفوائد الجليلة والمسائل الجزيلة بالمطالعة والتذكار فعض عليه بالنواجذ واجعله انيسك آناء الليل واطراف النهار فبه تطلع على مراتب الرجال ومزية الاقوال ووظائف الاعمال فلعلما يكون لك عونا عن اتباع الشرع القويم

والصراط المستقيم كي تنجو مما شاع وذاع من البدع والعوائد القبيحة المصادمة للمعقول والمنقول وتتجنب من اصحاب البدع الذين اصبحوا اليوم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون ولقد كان مالك رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل بقوله

فخير امور الدين ما كان سنة وشر الامور المحدثات البدائع

وبعضهم لم يكتفوا بذلك بل نصبوا انفسهم الى الطريقة الناجية مع ارتكابهم المحدثات التي لا يرتضي بها صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام اذ انه قال واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار والى هاته الطائفة المضالة اشار القطب الدردير في شرح الخريدة بقوله ومن الناس من لم يرض بتقليد امام من الايمة الاربعة ولا باعتقاد اهل السنة وهم اضل ممن قبلهم ومن الناس من يزعم انه سالك طريق اهل الله تعلى فيتزيا بزيهم ويتكلم بما يوهم الناس انه منهم والحال انه بطال يملا بطنه من الطعام سواء كان حلالا او حراما وليله من المنام ويثب على الدنيا وثوب الاسد على الفريسة وربما جعل نفسه شيخا وله اتباع يصطادون له بشرك مشيخته قاذورات الحطام الفاني ويزعمون انهم على شيء اولئك هم الكاذبون وقد اشار لهم العارف بالله تعلى سيدي عمر بن الفارض رضي الله تعلى عنه بقوله

رضوا بالاماني وابتلوا بحظوظهم
وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا
فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم
وما ظعنوا في السير عنه وقد كلوا

بل تاخروا ورجعوا القهقرى لانهم تبعوا هوى انفسهم والشيطان يقودهم الى كل ما يحبه منهم كما قال

وعن مذهبي لما استحبوا العمى على الـهدى حسدا من عند انفسهم ضلوا حتى صار من اخلاقهم ان من تصدق عليهم بصدقة او اكرمهم بكرامة اتخذوا ذلك عادة وطلبوا بها من فعل معهم الاحسان حتى يضيقوا عليهم المسالك ويقولون اعطنا عادتنا وإلا تشوف عليك فيوهمون الناس انهم ارباب احوال وان الله تعلى يصدقهم في المقال كلا ما هذه الطريقة طريقة الفقراء اهل الله وانما طريقتهم التواضع والانكسار وحب الخمول والعفة والزهد والورع والايثار والتوكل واما هؤلاء فهم اشرار الناس ياكلون اموال الناس بالباطل ويدعون المراتب العلية وهم في الدركات السفلية وقد كثروا في هذا الزمان حتى ملؤا طباق الارض في كل قطر ومكان نعوذ بالله منهم قال استاذنا السيد البكري في الفية التصوف

وقد نما في ذا الزمان شرهم   حتى سما في الناس جدا ضرهم

ولم يكن لهم هنا من يردع   من اجل ذا الدين الحنيف ودعوا

اهـ والضمير في قول العارف ابن الفارض رضي الله تعلى عنه رضوا يرجع للقوم في البيت قبله وهي

تعرض قوم للغرام واعرضوا   بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا

والمراد بالاماني ما تمنوه لانفسهم ووقفوا عنده وهو التعرض للمشيخة من اجل تحصيل الدنيا قال ذلك المحقق الصاوي وهذا الذي قاله العلامة الدردير على حسب ما رآه في القرن الثاني عشر فما بالك في القرن الرابع عشر اقول ان ما ذكره من اتخاذهم الصدقة عليهم مرة عادة يطالبون

بها ذلك متحقق عندنا اليوم بل زادوا على ذلك ان من تصدق على آبائهم واجدادهم مرة فاكثر يطالبه بها اولاده ويرثونها منهم سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم واشنع من ذلك انهم اذا ارتكبوا المعاصي والفسوق ونقد عليهم في ذلك علماء الشريعة الغراء وبلغهم ذلك من طريق اخوانهم قالوا ولو وقع منا ذلك فالواجب عليكم ان تخدمونا وتزورونا وتشاورونا في المسائل المهمة مرعاة لخاطر اجدادنا المشهورين عندكم بالعمل والصلاح فقد كفونا مؤونة تكاليف الشريعة ومشاقها فنحن اذن مثلهم ولو قصرنا في العمل يعنون بذلك ان يضعوهم في وظيفة آبائهم فانظر الى هذا الجهل العظيم الذي طمس بصائرهم ودنس سرائرهم قال بعض العارفين

لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

وكفانا نظرا وبرهانا ما ورد في التنزيل مما جرى لسيدنا نوح عليه الصلاة والسلام مع ابنه ولم يغن عنه من الله شيئا حيث عصى المولى تبارك وتعلى فلم يقبل شفاعة ابيه فيه ورد عليه معاتبا بقوله يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسالني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاذا كان هذا في حق الرسول المذكور عليه الصلاة والسلام فما بالك بغيره من الاولياء بل من الادعياء انا لله وانا اليه راجعون على اقوام اتكلوا على الاصل والجدود وعصوا الواحد المعبود ولقد اجاد القائل

مات اهل الفضل لم يبق سوى مقرف او من على الاصل اتكل

وكثير ممن ينتسب الى العلماء ويحشر نفسه في زمرة الصلحاء يرخص لهم في اغراضهم وعوائدهم بانها موافقة للشرع الشريف ويصيدون لهم في ذلك بعض الرخص الواهية التي هي لا تعد من المذهب في شيء وحملتهم

على ذلك تسويلات انفسهم الشيطانية واعمالهم الظلمانية طمعا في نوالهم ورجاء لبخس عطائهم فيؤولون ما يصدر عنهم من المخالفات ويسترون ما بدا عليهم من العورات فهم كما قال على لسانهم القائل

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وبالجملة فالخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع كما قال بعض الصالحين لن ياتي آخر هذه الامة باهدى مما كان عليه اولها واتباع المنهج القويم صعب جدا دونه مفاوز ومهالك فرب زينات تعتريه في الطريق ورب خديعة تنشأ له من الرفيق والصديق ولهذا بالغ الكاملون من الصوفية في هذا المقام وقاسوا فيه المشاق والمتاعب والملام والى ذلك يشير بعض العارفين بقوله

كيف الوصول الى سعاد ودونها قنن الجبال ودونهن حتوف

والرجل حافية ومالي مركب والكف صفر والطريق مخوف

وقال في ابتهاج القلوب من تعرض للشيخوخة من غير اذن مفتون ومغرور ومغبون يخشى عليه من سوء الخاتمة قالوا وذلك لما فيه من الجرأة على الله وادعاء الواسطة بين الله وبين العباد والخلافة عن رسوله في الهداية والارشاد ومما ينبغي له التفطن في هذا المقام انه لا تصح صحبة المجذوب واتخاذه شيخا اذ انه ساقط التكليف فلا يجوز للمكلف الاعتماد عليه في شيء كما نص عليه بعض اهل التصوف وقال سيدي زروق في قواعده والانابة لا تكون إلّا بعلم واضح وعمل صحيح وحال ثابت لا ينقضه كتاب ولا سنة وقال الجنيد رحمه الله تعلى من لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء وياخذ ادبه عن المتادبين افسد من اتبعه وقال سيدي زروق في قواعده (قاعدة) والاقتداء لا يصح إلّا بذي علم كامل

ودين ولو قيل بالتفضيل للزم تفضيل ابليس على عوام المؤمنين ولا بد من عبادة ومعرفة وزهادة لكل عارف وقال بعد كلام فلا تصوف إلّا بفقه اذ لا تعرف احكام الله الظاهرة إلّا منه ولا فقه إلّا بتصوف اذ لا عمل إلّا بصدق وتوجه ولا هم إلّا بايمان اذ لا يصح واحد منهما دونه فلزم الجميع لتلازمهما في الحكم كتلازم الارواح للاجساد ولا وجود لها إلّا فيها كما لا حياة إلّا بها فافهم ثم قال لما كان الفقه في عمله لا يصح التصوف بدونه كان التزامه مع قصد القصد به محصلا له فمن ثم كان الفقيه الصوفي تام الحال بخلاف الذي لا فقه له ومن ثم حفلت الايمة عن القيام بالظاهر لما سئلوا عن علم الباطن اه وقال ابن الحاج العبدري في المدخل ثم العجب ممن يدعي المشيخة منهم والهداية لطريق القوم كيف يعطي الاجازات للفقراء من تحت يده بالمشيخة ولو سألته عن فرائض الوضوء او سننه او فضائله وكذلك في الغسل وفي التيمم وفي الصلاة لجهل ذلك غالبا وقد قال بعض العلماء اذا صلى المكلف وهو لا يعرف المفروض من المسنون فلا تصح صلاته وكذلك لو سألته عن مفسدات الصلاة لما علمها وكذلك لو سألته عن حكم السهو اذا طرأ عليه في صلاته لما علمه فاذا كان هذا حاله في امر وضوءه وصلاته الذين بهما قوام دينه وصلاحه فما بالك به في غيرهما وقد تقدم ان من لم يأتمنه الله عز وجل على ادب من آداب الشريعة فبعيد ان يؤتمن على سر من اسرار الله تعلى فاذا كان هذا حال الشيخ في جهله بمبادي امر دينه فكيف بمن يصحبه ام كيف بمن يخيره اذ الغالب ممن ينتمي الى مثل هذا انه لا يباشر العلماء اذ لو باشرهم لانكروا عليه ما هو فيه فكيف يصحبهم او يتبعهم ثم العجب من ادعائهم المشيخة

وهم لا يعرفون مبادي امر دينهم كما تقدم فكيف بالانتماء الى المشيخة وقد قال اهل التحقيق من اهل الطريق ان الفقير لا يكون فقيرا حتى يكون قلبه كانه في كفه يعني من قوة معاينته له و نظره اليه فيعرف الزيادة فيه من النقص بديهة هذا حال الفقير المنفرد بنفسه دون ان يصل الى اقتداء الغير به و اما الشيخ فلا بد له من زيادة على ذلك وهي ان تكون قلوب اصحابه كانها في كفه و كذلك احوالهم في تصرفاتهم وخواطرهم فيعلم ما يزيد فيها وما ينقص منهم وقال بعد كلام فان كان الشيخ عاجزا عن هذه الرتبة اعني انه لا يعرف ما زاد في حال اصحابه وما نقص في غيبته فلا يدعي المشيخة ولا الهداية ثم ان مع هذا كله لم يكتفوا بهذه المفاسد حتى ضموا اليها مفسدة اخرى وهي اخذ بعضهم العهد على من يريد الدخول في الطريق من رجل او امراة او شاب ليكونوا من خواصه واتباعه ومن هذا الباب ايضا ما يفعله بعضهم من تعليق السبحة في عنقه وقد تقدم قول عمر رضي الله عنه لتميم الداري رضي الله عنه انت تريد ان تقول انا تميم الداري فاعرفوني وما كان مراده إلا ان يذكر الناس بالاحكام الشرعية المامور باظهارها واشاعتها واظهار السبحة والتدين بها لا مدخل لهما في ذلك بل للشهرة فذلك بدعة لغير ضرورة شرعية وقريب من هذا ما يفعله بعض من ينسب الى العلم فيتخذ السبحة في يده كاتخاذ المراة السوار في يدها ويلازمها وهو مع ذلك يتحدث مع الناس في مسائل العلم وغيرها ويرفع يده ويحركها في ذراعه وبعضهم يمسكها في يده ظاهرة للناس ويجري آحادها واحدة واحدة كانه يذكر وهو مع ذلك يخوض في القيل والقال ومعلوم انه لم يكن له سوى لسان واحد وقلب واحد قال تعلى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فلم

يبق إلّا ان المراد بذلك قصد الشهرة والرياء والابتداع اه بتصرف
واما الاجازة التي يجيزون بها بعضهم بعضا فقد انكرها ابن الحاج في
المدخل قائلا ان ذلك بدعة ليس من عمل السلف الصالح ومع ذلك فهي
وظيفته تعلى قال عز وجل انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من
يشاء وهذا يؤيد ما تقدم عن ابن خلدون فلا تغفل ولكثرة هاته البدع
وفشو الدعاوي الباطلة والجهل اصبح الولي اليوم كالكبريت الاحمر ولو
اطلعت على الشروط التي اشترطها اهل التحقيق من الصوفية لكدت تجزم
بعدم وجوده في هذا الزمان لان غالب من رايناه يدعي ذلك ضرب عليه
الجهل خيمه وارخى عليه سدوله وان كان الاستقراء الناقص لا يفيد اليقين
ولما نظر الولي الصالح الشيخ ابو مدين دفين تلمسان هاته النظرة قال
واعلم بان طريق القوم قد درست   وحال من يدعيها اليوم كيف ترى
وجملة (يجمع) خبر عن المبتدا (كل هذه المعاني) اي العقائد الست
والستين (كانت) هذه الكلمة المشرفة لما انطوت عليه من العقائد
الدينية مع اختصار لفظها وقلة حروفها وهذا هو معنى التعليل في قوله
(لذا) اي فلذلك كانت عنوانا على ما في الضمير و (علامة) على
(الايمان) اي الاذعان والتصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
مما علم من الدين بالضرورة وبيان اندراج العقائد فيها ان معنى لا اله
إلّا الله لا معبود بحق إلّا الله تعلى اذ معنى الاله هو المعبود بحق ويلزم
من كونه معبودا بحق انه مستغن عن كل ما سواه ومفتقر اليه كل
ما عداه فيلزم من كونه غنيا عن كل ما سواه وجوب الوجود له تعلى
والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والسمع والبصر

والكلام وكونه سميعا وبصيرا ومتكلما (١) وعدم الغرض في فعل من الافعال او حكم من الاحكام وعدم التاثير بالقوة المودعة وعدم وجوب فعل عليه تعالى فهذه اربع عشرة صفة من الصفات ماخوذة من قولنا المستغني عن كل ما سواه وكذلك يؤخذ منه اضداد الصفات الاربع عشرة المذكورة فالجملة ثمان وعشرون عقيدة بين واجب ومستحيل ويلزم من كونه مفتقرا اليه كل ما عداه وجوب الوحدانية له تعالى في الذات والصفات والافعال كما تقدم والحياة والعلم والارادة والقدرة وكونه حيا وعالما ومريدا وقادرا وحدوث العالم وعدم التاثير بالعلة او الطبع فهذه احدى عشر عقيدة تؤخذ من قولنا المفتقر اليه كل ما عداه وكذلك يؤخذ منه استحالة اضداد الصفات الاحدى عشر المذكورة فالجملة اثنتان وعشرون عقيدة تضم للثمانية والعشرين المتقدمة فيكون المجموع خمسين عقيدة وهي الماخوذة من جملة الهيللة ومعنى محمد رسول الله ثبوت الرسالة له صلى الله عليه وسلم ويندرج تحته وجوب التبليغ والامانة والصدق واتصافه بما لا نقص فيه واجبا كان كالفطانة او جائزا كالمرض الخفيف والجوع والنوم والايمان بجميع الانبياء والملائكة والكتب واليوم الاخر فهذه ثمانية واضدادها ثمانية فالجملة ست عشرة عقيدة وهي الماخوذة من جملة الرسالة تضم للخمسين المتقدمة يكون المجموع ستا وستين عقيدة وهي التي عليها مدار التوحيد (وهي افضل وجوه) اي انواع (الذكر) لقوله عليه

---

(١) عدم الغرض وعدم التاثير بالقوة وعدم وجوب فعل عليه تعالى وحدوث العالم وعدم التاثير بالعلة او الطبع هذه الخمس واجبة الاعتقاد وضدها مستحيل لما يلزم عليه من الفساد وعد بعضهم لها من الجائزات خطأ صراح إلا ان مثال الرابع الجواز

الصلاة والسلام افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله إلا الله وحده لا شريك له وقوله عليه الصلاة والسلام لقنوا موتاكم لا اله إلا الله فانها تهدم الذنوب هدما قالوا يا رسول الله فان قالها في حياته قال هي اهدم واهدم وروي ان من قالها سبعين الف مرة كانت له فداء من النار وغير ذلك من الاحاديث والايات كثير وشهير فكفانا ذلك عن الاطناب في التعبير والتسطير وما احسن قول بعضهم

الذكر افضل باب انت داخله ... لله فاجعل له الانفاس حراسا
والقلب افضل بيت فيه تذكره ... فكن له في جنان القلب غراسا

اذا علمت فضل هذه الكلمة المشرفة التي هي من جوامع الكلم (فاشغل بها العمر) فهي احسن ما شغلت به العمر (تفز) فعل مضارع مجزوم لوقوعه في جواب الامر (بالذخر) بالذال المعجمة من الاذخار لا بالمهملة فهو من الصغار والاحتقار قال الشاعر

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ... ذخرا يكون كصالح الاعمال

وهذا البيت مناسبة للموضوع لفظا ومعنى اما لفظا فلكونها محل الشاهد واما معنى فلكون الموضوع الترغيب في العمل الصالح ومما ينبغي التفطن له في هذا المقام النظر في كيفية الذكر الوارد شرعا اقول ان الشارع شرع شرائع وحد حدودا فليس لاحد الزيادة على ذلك ولا النقص بل انما وظيفتنا الاتباع وطرح شعار الابتداع والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل السلف الصالح ومما شاع وذاع في اقطار البلاد من البدع المنكرة التي لا يرتضيها الشرع الشريف والدين الحنيف قراءة الاوراد والقصائد كالبردة واليمانية امام الجنائز او خلفها بالاصوات المرتفعة بكيفية منتظمة وكل ذلك لم يرد به نص

صريح ولا حديث صحيح بل ان جمهور العلماء منعوا حتى التهليل في ذلك المقام فما بالك بغيره قال في الاجوبة الناصرية المختار فيه السكوت والتفكر في نفسه كيف يكون حاله اذا كان على تلك الحالة وتقرب من ذلك عبارة صاحب المعيار وذهب الى ذلك علامة زمانه وفريد عصره واوانه الشيخ خليل في التوضيح وكذلك ابو عبد الله محمد ابن الحاج العبدري في كتاب المدخل وشذ قوم فخالفوا وابتدعوا شيئا لم يعمله السلف الصالح فشرعوا استعمال الاوراد والقصائد جهرا بلسان واحد عند السير بجنائزهم كالبيجرمي والمدابغي وابي السعود على ان هذا خلاف خارج المذهب اذ البيجرمي ومن تبعه ينتمون لغير مذهب مالك واما المحققون من المالكية رضي الله تعلى عنهم فمن شذ منهم انما شذ الى القول بجواز التهليل في هذا المقام على الوجه المذكور ومع ذلك فدلائل المخالفين واهية مع مخالفتها لعمل السلف الصالح وهم انفسهم مقرون بذلك كما لا يخفى على من اطلع على مذهب الفريقين ومن ذلك ايضا الذكر او قراءة القرآن جماعة بلسان واحد بالاصوات المرتفعة في المساجد وغيرها قال ابن حمدون في حاشيته على ميارة الجهر بالذكر والاجتماع له جائز ففي الحديث لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وكره مالك ذلك كما في شرح الفاكهاني على الاربعين قال إلا ان يكون كل واحدا يذكر لنفسه على انفراده وحمل عليه الحديث واعترض الشيخ زروق في القواعد هذا الحمل بما حاصله ان كان الذكر سرا فعدم جوازه غير ظاهر وان كان جهرا وكل على ذكره فلا يخفى ما فيه من اساءة الادب بالتخليط وغيره مما لا يسوغ في حديث الناس

فضلا عن ذكر الله فلزم جوازه بل ندبه بشرط واما قول ابن مسعود رضي الله عنه لقوم يذكرون الله لقد جئتم ببدعة ظلما او لقد فقتم اصحاب محمد علما فالجواب عنه انه لم يبلغه حديث الترغيب فيه او انه انكر الهيأة ونحوها وإلا فلا يصح انكاره لهذا الوجه بعد صحة الحديث وقال سيدي ابراهيم التازي رضي الله عنه

رويدكم فما سمعي يقابل لغا لاغ ولا يصغى لعاذل
وما لي وبحكم عن ذا انفصال ولو اني انصل بالمناصل
هجيرا ابغي ذكر الله جهرا وسرا بالغدو والاصائل
بجمع صالحين ذوي اهتداء بقادات وسادات اكامل

فصرح بجواز الوجهين الذكر والاجتماع وظاهر الحديث كما في شرح عدة الحصن الحصين ان الفضيلة تحصل لمن جلس مع الذاكرين لان السماع قائم مقام الذكر وهم القوم لا يشقى جليسهم وفي الجامع من المعيار جواب طويل في هذه المسألة وبه ختم المازري كتابه الدرر المكنونة وقد الف السيوطي تاليفا سماه نتيجة الفكر في الجهر بالذكر وانظر شرح العمليات عند قوله

والذكر مع قراءة الاحزاب جماعة شاع مدى احقاب

هذه عبارته رحمه الله تعالى ولكن لا يخفاك ضعف مداركها وقد اطنب ابن الحاج العبدري رحمه الله تعالى في المدخل في رد ذلك قال رضي الله تعلى عنه قال علماؤنا رحمة الله عليهم الذكر والمجالس المذكورات في هذه الاحاديث مجالس العلم وهي مجالس الحلال والحرام هل يجوز او لا يجوز وكيف يتوضأ وما يجب فيه وما يسن وما يستحب وما يكره وما يمتنع وكيف يبيع ويشتري وما يجب فيه ويسن ويستحب

ويكره ويمتنع وكيف يحكى كذلك الى غير ذلك ولهذا الاشارة بل
التصريح من الصحابي وهو ابو هريرة رضي الله عنه حين خرج الى
الناس بسوق المدينة فنادى فيهم ما بالكم ميراث رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقسم في المسجد بين امته وانتم مشتغلون في الاسواق
فتركوا السوق واتوا الى المسجد فوجدوا الناس حلقا حلقا لتعليم العلم
فقالوا اين ما ذكرت يا ابا هريرة قال هذا ميراث نبيكم صلى الله عليه
وسلم وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم
وها هو ذا او كما قال فقد بين الصحابي رضي الله عنه المراد وقد قال
عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الذي قال عليه الصلاة والسلام في حقه
ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وقالت الصحابة في حقه ما كنا نرى
إلا ان ملكا على لسانه ينطق وان ملكا معه يسدده يا ايها الناس عليكم
بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل
بردائه فان اذنب استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك وان
تطاول به ذلك الذنب حتى يموت فعلى هذا الكلام ذكر الله عند امره
ونهيه افضل من ذكره باللسان ثم قال بعد كلام طويل ولهذا قال الله
تعلى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال علماؤنا رحمة الله
عليهم اهل الذكر في الاية هم العلماء الى ان قال وعن ابن وهب قال قلت
لمالك رضي الله عنه ارايت القوم يجتمعون فيقرؤون جميعا سورة
واحدة حتى يختموها فانكر ذلك وعابه وقال ليس هكذا كان
يصنع الناس انما كان يقرأ الرجل على الاخر يعرضه فقد نقل رحمه الله
ما كان عليه السلف وبينه الى ان قال وفي الحديث الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه من شغله القرآن عن ذكري

ومسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين اذا شغل عبدي ثناؤه علي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وروي عن انس رضي الله عنه انه قال لان اجلس مع قوم يذكرون الله سبحانه من غدوة الى طلوع الشمس احب الي مما طلعت عليه الشمس وقال هم قوم يتحلقون الحلق ويتعلمون القرآن والفقه هذا تفسير خادم الشريعة صلى الله عليه وسلم فكيف يقابله تفسير متاخري هذا الزمان وروي عن ابراهيم النخعي رحمه الله انه قال لا يزال الفقيه يصلي قيل وكيف ذلك قال لا تلقاه إلا وذكر الله على لسانه يحل حلالا ويحرم حراما قال الطرطوشي رحمه الله وقد ظفرت بهذا المعنى في كتاب الله المهيمن قال الله تعلى لهرون وموسى لما بعثهما الى فرعون ولا تنيا في ذكري فسمى تبليغ الرسالة ذكرا فبهذا يتحقق ان حلق العلم وما يتحاورون فيه في العلم ويتراجعون من سؤال وجواب هي حلق الذكر وهذا قوله سبحانه فاسئلوا اهل الذكر يعني اهل العلم والفقه نقل ذلك الطرطوشي رحمه الله في كتاب الذكر له اه انظر المدخل لابي عبد الله محمد ابن الحاج العبدري رحمه الله تعلى فقد ذكر في هذه المسالة نحو اربع عشرة صحيفة جاب فيها النصوص الصريحة والاحاديث الصحيحة في فصل ذكر العالم وادبه وقد الف في هذا الموضوع كثير من المتاخرين من علماء مصر كشيخنا الشيخ محمد بخيت وشيخنا الشيخ محمود خطاب والشيخ حسن البحيري واضرابهم من العلماء الاعلام ولقد تكفلت تآليفهم بهذا الموضوع واعطته حقه ولكنني لما رايت ان كثيرا من البدع قد حدثت في قطرنا الجزائري لم تكن بمصر ولا غيرها غالبا كان في املي ان اضع رسالة تتكفل بذلك والله يساعفنا في الاقوال والاعمال

على المرء ان يسعى لما فيه نفعه   وليس عليه ان يساعده الدهر
وقد كنت قبل ذلك آمل ان ابرزها في قالب هذا الشرح الشريف ولكني
رايت ان ذلك يستدعي اطنابا فسيحا يؤدي الى الخروج عن الموضوع
ولكنني مع ذلك اقدم لكم مقدمة وتمهيدا تكون كالانموذج لما يصاغ
بعد فاسمعوا وعوا كل لبيب عاقل يتصور كل التصور بانه لامحالة ان
العوائد جبلة ثانية بعد الطبيعة وان الخروج منها صعب جدا على ضعفاء
العقول وهذه سنة الله في خلقه من لدن العهد القديم ويؤيد ذلك ما ورد
عن الحكيم ورقة بن نوفل في صحيح البخاري من قوله للنبي عليه الصلاة
والسلام حين اتته به خديجة وهو صبي ما جاء احد بمثل ما جئت به
إلّا وعودي ومن اطلع على تواريخ الامم السالفة وسيرهم لا يغيب عنه
طرفة عين شيء من ذلك الخطب فعباراتهم واجوبتهم مشعرة بذلك
وسوق مطايا محاوراتهم ظاهر هنالك وقد قالوا حين طالع فيهم طالع
النجاح وازدهر بذلك افق الفلاح وبدا فيهم فجر الرسل عليهم الصلاة
والسلام انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون (١) فاجابهم
تعلى في اسلوبه الحكيم وصراطه القويم قال لقد كنتم انتم وآباؤكم
في ضلال مبين وهكذا سنة الجاهلية الاولى بقيت تتوارث حتى العهد
الحاضر بيد ان الجاهلية كانوا اسرع من هؤلاء جوابا واحسن منهم
خطابا فقد كان العربي بقوة فصاحته وكمال رويته يكاد يعجزك عن الحق
ويثبطك عن مآثر الصدق وكان الانسان اكثر شيئا جدلا وقد كانوا
يتحاشون عن التكلم بما لا طائل تحته من الكلام ويختشون من فشو
ثر ثارات غلطاتهم بين الانام ولا تقل ان هؤلاء ارشح منهم عقل وارسخ

---

(١) اي على لسان ابراهيم عليه الصلاة والسلام

منهم نقلا لمناقتهم للاسلام في الجملة فان الذي سهل لهم ذلك مثاقفتهم لبلاد الاسلام وممازجتهم اهم في ضروب الكلام ولو كانوا متوطدين كما كان اولئك على الوثنية المحضة لكانوا انأى منهم ايابا واكلام منهم عتابا ومن طرح شعار الانفة والتكبر وثياب التهور والتجبر راى انهم لا زالوا في خوضهم يلعبون ولو لم يكن له مكانة تامة ورزانة عامة فيما يقاسيه ويكابده منهم في مسعاة القال فذرهم في سكرتهم يعمهون ومن هنا تشتتت الطوائف واهمات سدى الطرائف واللطائف وبعض منتحلي الكلام يعبثون بافكار سامجة في اودية الجهل والضلال ويتطفلون في خبيث مسعاهم على موائد الخبال والوبال معتقدين ان ذلك من العمل الصالح والتجر الرابح ولبئس ما صنعوا فقد سودوا وجوه صحائفهم بالثبور والويل واجهدوا انفسهم على افتضاع عنيف القال والقيل ويفترون على ائمة المذاهب الذين اندرست آثارهم وانسلخت اعمارهم حتى تطاولوا في التطويل الممل ظنا منهم وان بعض الظن اثم ان التطويل بلا طائل يجدي نفعا او ان غبار اباطيلهم واراجيفهم ولو بلغ عنان الخضراء يؤثر فينا نطعا فما كان صدى مقالهم إلّا كصرخة في واد او نفخة في رماد واولئك هم الكاذبون ولا يسع اللبيب العاقل إلّا ان يقول اذا لم تستحي فاصنع ما شئت ولا يهمنا تفوه اهل الضلالة والجهالة بالترهات والخزعبلات في اشكال وقوالب مصادمة للمعقول والمنقول يتطورون في صور عديدة ومواد جديدة كي يخفون معالم الحق ويطفؤون بافواههم الكاذبة نور الصدق يثقفون بالسنتهم المعوجة ما انتجته افكارهم العقيمة وينوهون مقدارهم بامثلة انشأتها مقاصدهم الذميمة ولم يدروا ان امامهم المعترض والناقد والمصدق

والجاحد نصبوا انفسهم للترجمة عن السنة العوام فاخذ ضعيف مصابيحهم
ما وجلوه من شهب الظلام وصدر عن احقاد ضغائنهم وشرور عنائهم
ما لا ينبغي ان يقال ويبرز الى المجال وكل من سبر ذلك امامهم لم
يجده بالنافع بل كلما حام حماه اتسع الخرق على الراقع منه عن ذلك ايها
الباحث عن حتفه بظلفه فانك لا تجد دينا غير دين الله ولا تتبع اهواء
الذين كرهوا ما انزل الله الم ينتقش ويرتسم بصخر افكاركم انكم
اذا حببتم للناس اقتفاء عوائدها القبيحة وعقائدها الفضيحة فقد حببتم
لها اعتناق الوثنية وجمود القريحة الم تعلموا ان هذا من الجهل الفادح
والغلط القاصح فلو امعنت نظرك ايها المغرور غاية الامعان واستفرغت
جهدك في فكرك حسب الامكان لما كنت من الدعاة للفساد وانت تزعم
انك تراب ما فيه الصلاح والسداد ولو ضربت اخماسك في اسداسك
لاستقذرت ما كنت عليه من تلك الرعونات وتيقنت انك هائم في
غيابات الخدائع والتمويهات فتبا لك ايها الساري في ظلمات جهله
الملتبس عليه وعر الثرى بسهله فانت في سامج اقتراحاتك ترود
مقاصد اسهل منها الصعود الى السماء فاين الثريا من يد المتناول فما
انت في تلك المقاصد الذميمة إلا كمن يرقم على صفحات الماء تتلون
في القابك كما تتلون في اثوابها الغول وتركب على متن العماء بزعمك
انه يفضي بك الى المامول اعوذ بالله من قوم يتطورون بتطورات
موشاة بالسمج والعوج يتقلبون تارة ذات اليمين وتارة ذات الشمال
يخادعون بالاتيان من جانب الطاعة والنصيحة وهم لا يرومون سوى
الاخداج في الدين والفضيحة وما يخادعون إلا انفسهم وما يشعرون
فما بالكم اذا كنتم على ما تزعمون تتسابقون الى الطمع والتملق كما

يتسابق الى الحلواء الذباب و تترا كضون من كل فج بمد الاشداق والاعناق كما يتراكض القوم العطاش الى السراب دع عنك ايها القارىء الذين في سكرتهم يعمهون واعتصم بدينك القويم وصراطك المستقيم ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وعليك بالدوران مع الحق حيثما دار فالله تعالى قد جعل الشمس دليلا على النهار وكن من الذين يعرفون الرجال بالحق لا الحق بالرجال كما قد قال حجة الاسلام الغزالي والله الموفق لمدارج الكمال (فصل) تعرض فيه للسمعيات وذكر فيه خمسة امور الاسلام وقواعده والايمان والاحسان والدين فاشار الى تعريف الاول بقوله (وطاعة) اي امتثال وانقياد (الجوارح) السبع التي يكتسب بها الخير والشر وهي السمع والبصر واللسان واليدان والرجلان والبطن والفرج (الجميع) اي جميعها احترازا من الامتثال ببعضها فانه اسلام ناقص ان وجد النطق بالشهادتين وحده او مع غيره او كفران فقد النطق (قولا) فيما يجب عليه ان يقوله كالنطق بالشهادتين (وفعلا) فيما يجب عليه فعله او تركه وذكر الضمير من (هو) مراعاة للخبر وهو (الاسلام) و (الرفيع) الكامل وهذا معناه في الاصطلاح ومعناه في اللغة هو مطلق الانقياد والامتثال فاللغوي اعم كما هو شان التعاريف وقولا وفعلا في كلام الناظم تمييزان خلافا للشيخ ميارة في جعلهما على اسقاط الخافض لشذوذه فتحصل ان الاسلام في اللغة مطلق الانقياد والامتثال وفي الاصطلاح هو الانقياد والامتثال لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مما علم من الدين بالضرورة بالجوارح الظاهرية فان وافق الاعتقاد كان منجيا عند الله تعالى وعند الناس وان لم يوافقه كان منجيا عند الناس فقط بان تجري عليه الاحكام

الدنيوية من ميراث وزكاة ودفن في مقابر المسلمين وغير ذلك والحاصل ان من صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه منه فهو اذا كان كافرا باق على كفره فيما بيننا ولا ينكح ولا يورث واما فيما بينه وبين الله تعلى اذا لم يكن كبرا ولا تعنتا ولا حذار سبة فقد وقع فيه خلاف فذهب الجمهور والماتريدي الى انه مؤمن بناء على ان النطق شرط لاجراء الاحكام الظاهرة فقط واليه ذهب الامام الغزالي ودرج عليه ابن رشد ونقله ابن عرفة في المدونة وقال الشافعي وابو حنيفة وكثير من السلف لا يكون مؤمنا عند الله تعلى بناء على ان النطق شطر اي ركن من ماهية الايمان او شرط صحة في الايمان القلبي واما غير المتمكن من النطق لخرس او مفاجاة موت فيسقط وجوب النطق عنه ويقبل عذره وفاقا وهذا التفصيل في غير من ولد في بلاد الاسلام وإلا فهو انما يجب عليه النطق وجوب الفروع فقط اجماعا فموضوع الخلاف الكافر الاصلي الذي يريد الدخول في الاسلام ولا بد في النطق بالشهادتين من اللفظ الوارد فلا يكفي ابدالها او ابدال جزء منها بمرادف واليه ذهب ابن عرفة من المالكية وخالفه تلميذه الابي فقال يكفي كل ما يدل على الايمان فلو قال الله واحد ومحمد رسول لكفى وعلى الاول فيلزم الاتيان بلفظ اشهد وتكريره ثم اشار الى بيان الامر الثاني بقوله (قواعد الاسلام) اي اصوله التي بني عليها من بناء المجمل على المفصل فلا يتوهم اتحاد المبني والمبني عليه (خمس) خبر عن قواعد و (واجبات) صفة لخمس ووجه الحصر فيها انها اما قولية (وهي الشهادتان) وهي (شرط) القواعد الاربع (الباقيات) في حق الكافر فلا يصح منه صوم ولا صلاة ولا غيرهما إلا بعد قولها ان لم

يمنعه مانع كخرس او مفاجاة موت كما تقدم واما المسلم فهي واجبة عليه مرة في العمر مع عدم المانع ايضا فان مات ولم يقلها ولم يمنعه مانع مات عاصيا وظاهر المصنف ان النطق شرط صحة وهو احد ثلاثة اقوال كما تقدمت الاشارة الى ذلك الاول انه شطر الثاني انه شرط صحة الثالث انه شرط كمال وعلى كونه شرط صحة او شطرا فينبغي ان يزاد على تعريف الايمان الاتي مع النطق بالشهادتين لكن هذا القيد باعتبار الشطرية يكون فصلا وعلى اعتبار الشرطية يكون خاصة اذ ان الفصل من الذاتيات واما الخاصة فهي من العرضيات كما لا يخفى على من له ادنى المام بفن الميزان (ثم) ان لم تكن قولية بان كانت فعلية فان كانت بدنية محضة فهي (الصلاة و) إلا فان كانت مالية فقط فهي (الزكاة) الواجبة (في القطاع) بكسر القاف معناه لغة الدرهم والمراد به هنا العين والحرث والماشية (و) ان لم تكن فعلية بان كانت تركية فهي (الصوم و) ان كانت مركبة من المالية والبدنية فهي (الحج) وهو واجب (على) كل (من استطاع) اليه سبيلا اي طريقا من زاد وراحلة وغير ذلك وهل هو واجب على الفور او التراخي خلاف كما قال خليل وفي فوريته وتراخيه لخوف الفوات خلاف وحاصل الحصر ان القاعدة اما قولية وهي الشهادتان اولا فان كانت تركية فهي الصوم او فعلية فان كانت بدنية محضة فهي الصلاة او غيرها فان كانت مالية فقط فالزكاة او مركبة منهما فالحج والصلاة لغة الدعاء مطلقا وقيل بخير وشرعا اقوال وافعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة وهي اما ماخوذة من الوصل لانها صلة بين العبد وربه او من صليت العود بالنار

اذا قومته لانها تقوم العبد على طاعة الله تعلى و تنهاه عن المعاصي قال
تعلى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقد ورد في الخبر ان فتى
من الانصار كان يصلي الصلوات الخمس مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا يدع شيئا من الفواحش إلّا ارتكبه فوصف لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه يوما ما فلم يلبث ان تاب
وحسنت توبته فقال صلى الله عليه وسلم الم اقل لكم ان صلاته
ستنهاه يوما ما وفرضت الصلاة ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة والراجح
انه لم يفرض قبلها صلاة وقيل كان الواجب قبلها ركعتين بالغداة
وركعتين بالعشي والصوم لغة الامساك مطلقا وشرعا عرفه ابن عرفة
بقوله هو الامساك عن شهوتي البطن والفرج وما يقوم مقامهما مخالفة
للهوى في طاعة المولى تبارك وتعلى في جميع اجزاء النهار بنية قبل الفجر
او معه ان امكن فيما عدا زمن الحيض والنفاس وايام الاعياد وهو
قد فرض في السنة الثانية من الهجرة وهل كان صوم واجب قبل تشريعه
ثم نسخ اولا قولان والنبي عليه الصلاة والسلام صام تسع رمضانات
ولم يكمل له إلّا سنة واحدة وقيل اثنان وقيل خمسة والزكاة لغة
التطهير والنمو والمدح وشرعا اخراج جزء من مال مخصوص على وجه
مخصوص وهي فرضت في السنة الثانية من الهجرة بعد زكاة الفطر وقيل
في الرابعة وقيل قبل الهجرة والحج لغة القصد مطلقا وشرعا قصد البيت
الحرام للنسك المشتمل على الوقوف بعرفة واختلف في تشريعه فقيل
قبل الهجرة وقيل بعدها فقيل في الخامسة وقيل في السادسة وقيل في
السابعة وقيل في الثامنة وقيل في التاسعة واليه ذهب ابن الكمال
قال الناظم رحمه الله تعلى (الايمان جزم) وهذا اشارة الى الامر الثالث

والايمان لغة هو التصديق مع اذعان وقبول واصطلاحا التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مما علم من الدين بالضرورة فالمراد بالتصديق هنا ما يقابل التصور في تقسيم اهل الميزان كما اشار الى ذلك الاخضري بقوله

ادراك مفرد تصورا علم ودرك نسبة بتصديق وسم

ويؤيد ذلك قوله تعلى قالوا انومن لك واتبعك الارذلون والحاصل ان الامام الغزالي رضي الله تعلى عنه عرف التصديق في الكلام بانه اذعان وقبول نسبة الصدق الى الخبر وهذا عينه هو تعريف اهل الميزان درج على فهم ذلك المحقق التفتازاني حتى قال وبالجملة هو المعنى الذي يعبر عنه بالفارسية بكرويدون وهو معنى التصديق المقابل للتصور حيث يقال في اوائل علم الميزان العلم اما تصور واما تصديق صرح بذلك رئيسهم ابن سينا إلّا انه بحث فيه المحقق الخيالي بما نصه بقي ههنا بحث وهو ان المعنى المعبر عنه بكرويدون امر قطعي وقد نص عليه في شرح المقاصد ولذا يكفي في باب الايمان الذي هو التصديق البالغ حد الجزم والاذعان مع ان التصديق المنطقي يعم الظني بالاتفاق فانهم يقسمون العلم بالمعنى الاعم تقسيما حاصرا توسلا به الى بيان الحاجة الى المنطق بجميع اجزائه اه والمراد من الايمان والتصديق هنا واحد قال تعلى وما انت بمومن لنا اي بمصدق لنا ولما كان الايمان هو التصديق القلبي الذي بلغ حد الجزم والاذعان كان لا يتصور فيه زيادة ولا نقص اذ من حصل له التصديق المذكور يسمى مومنا سواء اتى بالطاعات او ارتكب المعاصي وذهب بعض المحققين الى عدم تسليم ان حقيقة الايمان لا تقبل الزيادة والنقصان بل تتفاوت الا

ترى الى الفرق بين تصديق آحاد الامة وبين تصديق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويؤيد ذلك قول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي والحاصل ان جمهور الاشاعرة ذهبوا الى التشكيك في حقيقة الايمان وذهب ابو حنيفة وجماعة الى انه متواطيء في افراده لا يقبل التشكيك واليه ذهب شيخنا في القول المفيد قالوا وانما تزيد الطاعات والاعمال وقد علمت ان القول الاول هو الذي نسب لاهل التحقيق لا سيما وعليه جمهور الاشاعرة وعليه درج اللقاني في جوهرته فقال

ورجحت زيادة الايمان   بما تزيد طاعة الانسان
ونقصه بنقصها وقيل لا   وقيل لا خلف كذا قد نقلا

والباء في كلامه سببية وما مصدرية واستثنوا من ذلك ايمان الانبياء فانه يزيد ولا ينقص وايمان الملائكة فانه فيهم جبلي لا يزيد ولا ينقص وقيل انه كايمان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقال الفخر الرازي وامام الحرمين وجماعة ان الخلاف في هذه المسالة لفظي فقول من قال ان الايمان يزيد وينقص محمول على الايمان الكامل الذي هو مركب من التصديق والاعمال وقول المخالف نظر الى التصديق القلبي فقط واعترض بان موضوع الخلاف التصديق القلبي لا غير قال العلامة الدردير في شرح خريدة التوحيد فالايمان الشرعي هو حديث النفس التابع للمعرفة اي الادراك الجازم بناء على الصحيح من ان ايمان المقلد صحيح فالاذعان والقبول والتصديق والتسليم عبارات عن شيء واحد وهو حديث النفس المذكور فيكون الايمان فعلا من افعال النفس وليس من قبيل العلوم والمعارف والاصح في الادراك انه كيف لا فعل ولا انفعال للنفس ويكون التكليف به باعتبار اسبابه من الفكر الموصل

اليه وكون الايمان ليس من قبيل العلوم والمعارف يظهر من كلام بعضهم انه الراجح وذهب المحقق التفتازاني وكثير من المحققين الى ان التصديق الشرعي المعبر عنه بالايمان والاذعان والتسليم هو نفس الادراك فيكون من قبيل العلوم والمعارف اه وذهب جماعة من المحققين منهم النسفي فى عقائده حيث قال والايمان والاسلام واحد الى ان الايمان والاسلام مترادفان شرعا قالوا لان الاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الاحكام والاذعان وهذا حقيقة التصديق كما تقدم ويؤيده قوله تعلى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فلا يحكم على احد بانه مومن غير مسلم ولا بالعكس ووجه التاييد في الاية ظاهر فان الاستثناء فيها متصل كما لا يخفى فان قيل ان الاسلام قد ينفرد عن الايمان في المنافق كما قال تعلى قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا اجيب بان المراد بالاسلام هنا هو الاسلام الكامل المعتبر شرعا وهو المنجي عند الله تعلى من الخلود في النار واما الوارد في الاية فالمراد به الانقياد الظاهري فقط وليس كلامنا فيه فان قيل ان النبي عليه الصلاة والسلام قد فسر الاسلام بنفس العمل حيث قال الاسلام ان تشهد ان لا اله إلّا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا اجيب بان المراد بالاسلام في الحديث علاماته الدالة عليه كما قال عليه الصلاة والسلام لوفد قدموا عليه اتدرون ما الايمان بالله وحده فقالوا الله ورسوله اعلم فقال شهادة ان لا اله إلّا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس فقد فسر الايمان بعلاماته

الدالة عليه وقد تقدم ان حقيقة الايمان هي التصديق و الاذعان و اذا
تحققت هذه الحقيقة في العبد صح له ان يحكم على نفسه بانه مومن حقا
ولا ينبغي له ان يقول انا مومن ان شاء الله تعلى لانه ان كان ذلك
للشك فهو كفر قطعا وان كان للتبرك او للتبري من تزكية نفسه
فالاولى تركه لايهام الشك في ذلك ونقل عن بعض الاشاعرة جواز
اطلاق ذلك بناء على مذهب الاشعرية ان السعادة والشقاوة باعتبار
الخاتمة ولو كان طول عمره على عكسها بناء على قوله عليه الصلاة
والسلام السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه فعلى
ذلك يجوز تغير صفة العبد التي هو عليها من الايمان والسعادة باعتبار
الظاهر في حال حياته ولا يلزم تبدل الصفة التكوينية الازلية وفي
الحقيقة الخلاف لفظي فمن اراد مجرد حصول معنى السعادة والشقاوة
باعتبار حالة العبد الظاهرية جوز اطلاق ذلك ومن اراد الاشقاء والاسعاد
الذين هما صفتان من صفات التكوين التي لا تتبدل منع ذلك للزوم
المحذور فاذا علمت ذلك تعلم ان منشا الخلاف المذكور هو الخلاف
بين الاشعري والماتريدي في معنى الشقاوة والسعادة فقيد ذلك الاول
بحال الخاتمة واطلق الثاني ومن الاطلاق امكن التوفيق بين القولين
فاذا علمت حقيقة الايمان المتقدم ذكرها تعلم ان الايمان هو ان
تجزم (بالاله) اي بثبوت صفاته السنية كما تقدم في المعرفة اذ هي
لا تتعلق بالذات لان كنه ذاته تعلى لا يمكن معرفته شرعا وعقلا
كما نقل عن الامام الغزالي وهو الاصح وقيل يجوز عقلا فان الحادث
مهما ارتفعت رتبته لا يبلغ هذا المقام قال الشريف المقدسي في
مفاتيح الكنوز

ظننت جهلا بان الله تدركه ثواقب الفكر او تدريه ايقانا
او العقول احاطته بديهتها او هل اقامت به لولاه برهانا
الله اعظم قدرا ان يحيط به علم وعقل وراي جل سلطانا
هذا اعتقادي فان قصرت في عملي فاسأل الله توفيقا وغفرانا

وفي الحديث ان الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الابصار وان الملا الاعلى يطلبونه كما تطلبونه وروي من طريق ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق لانه لا تحيط به الفكرة وسئل الصديق رضي الله تعلى عنه بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي فقيل له هل يتاتى لبشر ان يدركه فقال العجز عن الادراك ادراك وسئل المرتضى كرم الله وجهه بم عرفت ربك فقال عرفته بما عرفني به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس ولا يشبه بالناس قريب في بعده بعيد في قربه فوق كل شيء ولا يقال تحته شيء وامام كل شيء ولا يقال امامه شيء وهو في كل شيء لا كشيء في شيء فسبحان من هو كذا ولا هكذا احد سواه وفي الحديث ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور هدى ومن اخطاه ذلك النور ضل اي فمعرفة العبد ربه نور يقذفه الله في قلب من يشاء فيدرك بذلك اسرار ملكه ويشاهد غيب ملكوته ويلاحظ صفاته والى هذا المعنى يشير الابوصيري في همزيته بقوله

رب ان الهدى هداك وآياتك نور تهدي بها من تشاء

قال العلماء وهذا معنى قوله تعلى الله نور السموات والارض اي منورهما ومنور قلوب المؤمنين فيهما وسمى الحق ذاته نورا لان النور هو الضياء

المظهر للاشياء فاذا سمي ما يظهر غيره بالاضافة الى الادراك نورا
فلان يسمى من يظهر الاشياء من العدم الى الوجود بالايجاد اولى بل هو
نور النور لانه مظهر لكل نور مثل نوره اي نور الله تعلى في قلب المؤمن
كمشكاة المشكاة كوة غير نافذة فشبه صدره بالمشكاة وشبه قلبه في
صدره بالقنديل في المشكاة وشبه معرفته بالمصباح في القنديل وشبه
القنديل الذي هو قلبه بالكوكب الدري المضيء وشبه امداده بالمعرفة
بالزيت الصافي الذي يمد السراج في الاشتعال اه ومن اللطائف ما نقل
ان ابا تمام لما انشد قصيدته التي يقول فيها

اقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم احنف مع ذكا ايـاس

قال بعض اعدائه بالمحضر ما في هذا كبير مدح قد شبهت الملك باجلاف
البوادي فاجاب في الحال

لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلا يقرب في الندا والبـاس
فالله قد ضرب الاقل لنـوره ... مثلا من المشكاة والنبراس

وسئل بعض العلماء عن الله تعلى فقال ان سالت عن اسمائه فقد قـال
ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وان سالت عن صفاته فقد قال قل هو
الله احد الى آخر السورة وان سالت عن اقواله فقد قـال انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وان سالت عن افعاله فقد قال
كل يوم هو في شان وان سالت عن نعته فقد قال هو الاول والاخر
والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وان سالت عن ذاته فـقد قال
ليس كمثله شيء (والكتب) المنزلة على انبيائه في الواح كالتوراة
او على لسان الملك كالفرقان والمراد التصديق بانها كلام ازلي منزه
عن الحروف والاصـوات وسـائر التغييرات تفصيلا فيما ورد على

سبيل التفصيل واجمالا في غير ذلك وهي كما قيل مائة كتاب واربعة
كتب خمسون منها على شيت وثلاثون على ادريس وعشرة على آدم
وعشرة على ابراهيم والتوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور
على داوود والفرقان على نبينا عليه وعليهم افضل الصلاة وازكى السلام
والاولى عدم الاقتصار فيها على حد كما تقدم في الرسل وقد ورد عن
ابي ذر انه قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان للمسجد تحية فقلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما
قلت يا رسول الله هل انزل الله عليك شيئا مما كان في صحف ابراهيم
وموسى قال يا اباذر قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون
الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف
ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا
كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن ايقن بالنار كيف يضحك
عجبت لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها عجبت لمن ايقن
بالقدر ثم يغضب عجبت لمن ايقن بالحساب ثم لا يعمل اخرج هذا
الحديث رزين في كتابه وذكره ابن الاثير في كتابه جامع الاصول
وفي القرطبي وروى الاجري من حديث ابي ذر قال قلت يا رسول الله
فما كانت صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها ايها الملك المسلط
المبتلي المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد
عني دعوة المظلوم فاني لا اردها ولو كانت من فم كافر وكان فيها امثال
وعلى العاقل ان يكون له ساعة يناجي فيها ربه وساعة يفكر فيها في
صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب وعلى
العاقل ان لا يكون طامعا إلا في ثلاث تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة

في غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا لسانه ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلّا فيما يعنيه قال قلت فما كانت صحف موسى الخ راجع الحديث المتقدم (والرسل) والمراد ما يعم الانبياء اي التصديق بصفاتهم المتقدمة على اقسامها وتجب معرفتهم اجمالا في غير من ورد في الشرع مفصلا وتفصيلا فيمن ورد فيه على التعيين وقد نظم بعضهم اسماء الانبياء الذين تجب معرفتهم على التفصيل فقال

حتم على كل ذي التكليف معرفة ... بانبياء على التفصيل قد علموا
في تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو
ادريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

وافضل الانبياء نبينا عليه الصلاة والسلام ثم يليه في الفضل بقية اولي العزم من الرسل ونظم بعضهم اولي العزم على الترتيب في بيت واحد فقال

محمد ابراهيم موسى كليمه ... فعيسى فنوح هم اولو العزم فاعلم

وليس من ذوي العزم آدم على قول بعضهم لقوله تعلى ولم نجد له عزما ولا يونس لقوله تعلى لرسول الله صلى عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت ثم يلي اولي العزم في الفضل بقية الرسل ثم الانبياء ثم رؤساء الملائكة ثم عامتهم وهذه طريقة الاشاعرة وهي مرجوحة وطريقة الماتريدية هي الراجحة وهي ان الافضل نبينا عليه الصلاة والسلام ثم بقية اولي العزم من الرسل ثم بقية الرسل ثم الانبياء غير الرسل ثم رؤساء الملائكة ثم عوام البشر ثم عوام الملائكة فالخلاف في تقديم عوام البشر على عوام الملائكة وعكسه وذهب القاضي وابو عبد الله الحليمي وجماعة والمعتزلة الى ان الملائكة افضل من الانبياء إلّا نبينا صلى الله عليه وسلم لما تقرر انه عندهم مستثنى من محل الخلاف واستدلوا

بان الملائكة مجردون عن الشهوات ورد بان وجودها مع مدافعتها اتم ففي الحديث احب الاعمال الى الله احمزها اي اشقها والمتجه في هذا المقام ما قاله السعد التفتازاني وابن السبكي من انه لا قاطع في هذه المقامات وليس تفضيل البشر على الملائكة مما يجب اعتقاده ويضر الجهل به والسلامة في السكوت عن هذه المسالة والدخول في التفضيل بين هذين الصنفين الكريمين على الله تعلى من غير دليل قاطع دخول في خطر عظيم (والاملاك) جمع ملك اي التصديق بانهم عباد الله تعلى لا كما زعم المشركون من تالههم مكرمون لا كما زعم اليهود من تنقيصهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وبانهم واسطة بين عباد الله تعلى وخلقه صادقون في كل ما اخبروا به عن الله عز وجل بالغون في الكثرة الى حد لا يحصى وما يعلم جنود ربك إلا هو وهم اجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل باشكال مختلفة في اشكال حسنة شانها الطاعة ومسكنها السموات غالبا ومنهم من يسكن الارض يسبحون الليل والنهار لا يفترون لا يوصفون بذكورة ولا بانوثة فمن وصفهم بالذكورة فسق ومن وصفهم بالانوثة كفر لمعارضته لقوله تعلى وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن اناثا الاية واولى بالكفر من قال انهم خناثى لمزيد النقص في ذلك لا ياكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتناسلون ولا ينامون ولا تكتب اعمالهم ولا يحاسبون ولا توزن اعمالهم ولا يحشرون مع الانس والجن ويشفعون في المذنبين من بني آدم ويراهم المؤمنون في الجنة ويدخلونها ويتنعمون فيها ويموتون لكن لا يموت احد منهم قبل النفخة الاولى بل بها إلا حملة العرش والرؤساء الاربعة فانهم يموتون بعدها ويحيون قبل النفخة الثانية وآخر من

يموت هو ملك الموت وهم معصومون لا تقع منهم معصية ولهم اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء روى ابن ماجة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح ينتثر من راسه الدر والياقوت وروي انه سال جبريل ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك فقال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر الف جناح جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير واما ابليس فالصحيح انه من الجن كما ورد في الاية وما ينقل عن هاروت وماروت من معصيتهما ومسخهما فمن الحكايات الاسرائيلية المختلقة التي تضر بالاعتقاد كقصة عوج ابن عنق التي يتناقلها القصاصون ونص عليها بعض المفسرين ممن لا يقفون على حدود التحقيق والتحقيق انه لا عوج ولا عنق واما هاروت وماروت فقيل انهما ملكان انزلهما الله تعلى ليعلما للناس كيفية السحر ويحذراهم منه ويفرقا لهم بينه وبين المعجزة لكثرة السحرة في ذلك الوقت حتى ادعوا النبوة وكاد الناس تلتبس عليهم المعجزة بالسحر فهذه حكمة نزولهما وقيل كانا رجلين صالحين من بابل وسميا ملكين لشبههما للملائكة في العبادة ولقدرتهم على التشكلات الجميلة هكذا ذكروا (مع) الايمان بثبوت (بعث) وهو عبارة عن احياء الموتى واخراجهم

من قبورهم بعد جمع الاجزاء الاصلية التي من شانها البقاء من اول العمر الى آخره ولو قطعت قبل موته بخلاف غير الاصلية كالظفر والشعر والمراد بالبعث ما يعم الحشر والنشر والنشر هو احياء هذه الابدان بعينها من قبورها والحشر هو سوقها الى ارض المحشر اي الموقف وهو الموضع الذي يقف فيه الناس من ارض القدس المبدلة التي لم يعص الله تعلى عليها قط وعبارة القرطبي في تفسيره في هذا المقام واختلفوا في كيفية تبديل الارض فقال كثير من الناس ان تبديل الارض عبارة عن تغيير صفاتها وتسوية آكامها ونسف جبالها ومد ارضها رواه ابن مسعود رضي الله عنه خرجه ابن ماجة وذكره ابن المبارك من حديث شهر بن حوشب قال حدثني ابن عباس قال اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وزيد في سعتها كذا وكذا وذكر الحديث وروي مرفوعا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض يبسطها ويمدها مد الاديم لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم يزجر الله الخلق زجرة فاذاهم في الثانية في مثل مواضعهم من الاولى ظهرها وبطنها ذكره القونوي وتبديل السموات تكوير شمسها وقمرها وتناثر نجومها قاله ابن عباس وقيل اختلاف احوالها فمرة كالمهل ومرة كالدهان حكاه ابن الانباري وقد ذكرنا هذا الباب مبينا في التذكرة وذكرنا ما للعلماء في ذلك وان الصحيح ازالة عين هذه الارض حسبما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد جاءه حبر من احبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد وذكر الحديث وفيه فقال اليهودي اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الظلمة دون المحشر وذكر الحديث وخرج عن

عائشة رضي الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاين يكون
الناس يومئذ قال على الصراط خرجه ابن ماجة باسناد مسلم هذا وخرجه
الترمذي عن عائشة وانها هي السائلة قال هذا حديث حسن صحيح
فهذه الاحاديث تنص على ان السموات والارض تبدل وتزال ويخلق
الله ارضا اخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وفي صحيح
مسلم عن سهل بن سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر
الناس يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم
لاحد وقال حاتم سالت ابا جعفر محمد بن علي عن قول الله عز وجل
يوم تبدل الارض غير الارض قال تبدل الارض خبزا ياكل منها
الخلق يوم القيامة ثم قرأ وما جعلناهم جسدا لا يا كلون الطعام
وقال ابن مسعود انها تبدل بارض غيرها بيضاء كالفضة لم يعمل
عليها خطيئة وقال ابن عباس بارض فضة بيضاء وقال علي رضي
الله عنه تبدل الارض يومئذ من فضة والسماء من ذهب وهذا
تبديل للعين اه ويحشر من يجازى ومن لا يجازى كالبهائم والوحوش
على ما ذهب اليه اهل التحقيق وصححه النووي وذهب جماعة الى انه
لا يحشر إلّا من يجازى وهم الانس والجن والملائكة والسقط الذي
دون ستة اشهر حيا يعاد بروحه ويدخل الجنة ويصير كاهلها في الجمال
والاعتدال وان القي قبل نفخ الروح فيه فيحشر مع الاجسام التي لا
روح فيها كالحجر ثم يصير ترابا وورد ان نبينا عليه الصلاة والسلام
هو اول من تنشق عنه الارض واول وارد للمحشر واول داخل للجنة
وبعده من الانبياء سيدنا نوح عليه السلام ومن غيرهم الصديق رضي

الله عنه ومراتب الناس في الحشر متفاوتة فمنهم الراكب ومنهم الماشي على رجليه ومنهم من يمشي على وجهه ويكونون على صور مختلفة على حسب الاعمال فمنهم من هو على صورة القردة وهم الزناة ومنهم من هو على صورة الخنازير وهم الآكلون للسحت والمكس ومنهم الاعمى وهو الجائر في الحكم ومنهم الاصم الابكم وهو المعجب بعمله ومنهم من يمضغ لسانه مدلى على صدره يسيل القيح من فمه وهم الوعاظ الذين تخالف افعالهم اقوالهم ومنهم المقطوع الايدي والارجل وهم الذين يوذون الجيران ومنهم من يصلب على جذوع من النار وهم السعاة بالناس الى السلطان ومنهم من هو اشد نتنا من الجيف وهم الذين يقبلون على الشهوات واللذات ويمنعون حق الله من اموالهم ومنهم من يلبس جبة سابغة من قطران لاصقة بجلده وهم اهل الكبر والعجب والخيلاء نقل هذا العلامة الدردير عن شيخه العدوي نقلا عن الثعلبي وانواع الحشر اربعة اثنان في الدنيا احدهما اجلاؤه عليه الصلاة والسلام بني النظير الى الشام وثانيهما سوق النار التي تخرج من قعر عدن للناس الى المحشر قرب الساعة واثنان في الآخرة احدهما جمعهم الى الموقف بعد احيائهم والثاني صرفهم من الموقف الى الجنة او النار ثم انه اختلف هل يعود البدن عن عدم محض وهو المعتمد او عن تفريق لاجزائه والخلاف فيما عدا عجب الذنب فانه لا ينعدم ومحل هذا الخلاف في غير من ورد ان الارض لا تاكل جسمه وهم خمسة على ما نظمه التتائي فقال

لا تاكل الارض جسما للنبي ولا ... لعالم وشهيد قتل معترك

ولا لقاريء قرآن ومحتسب ... اذانه لاله مجري الفلك

وزاد الاجهوري خمسة فقال

وزيد من صار صديقا كذلك من غدا محبا لاجل الواحد الملك
ومن يموت بطعن او رباطه او كثير ذكر وهذا اعظم النسك

واختلف في اعادة الاعراض والازمان باعيانها والراجح عودها كذلك ونقل العصام عن شرح المواقف ان الاقوال الممكنة في مسالة المعاد لا تزيد على خمسة الاول ثبوت المعاد الجسماني فقط وهو قول اكثر المتكلمين النافين للنفس الناطقة والثاني ثبوت المعاد الروحاني فقط وهو قول الفلاسفة والالهيين والثالث ثبوتهما معا وهو قول كثير من المحققين كالحليمي والغزالي والراغب وابي زيد الدبوسي ومعمر من قدماء المعتزلة وجمهور من متاخري الامامية وكثير من الصوفية فانهم قالوا الانسان بالحقيقة هو النفس الناطقة وهي المكلف والمطيع والعاصي والمثاب والمعاقب والبدن يجري منها مجرى الالة والنفس باقية بعد فساد البدن فاذا اراد الله تعلى حشر الخلائق خلق لكل واحد من الارواح بدنا يتعلق به ويتصرف فيه كما كان في الدنيا والرابع عدم ثبوت شيء منهما وهو قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين والخامس التوقف في هذه الاقسام وهو المنقول عن جالينوس اه ووصف البعث بقوله (قرب) لان كل آت قريب اذ ان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وللساعة علامات صغرى وعلامات كبرى فاما الصغرى فسياتي بعضها في حديث سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وعلامات الساعة الكبرى وهي المتفق عليها خمس اولها خروج المسيح بالحاء المهملة على الاصح الدجال سمي مسيحا لمسحه الارض اي قطعها في مدة قليلة ودجالا لكثرة كذبه وسمي عيسى عليه السلام مسيحا لانه يمسح على ذي العاهة فيبرأ وقيل لانه مسح الارض اي ساح فيها ثانيها

نزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء وقتله للدجال فقد ورد
في الصحيح لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب وليقتلن
الخنزير وليضعن الجزية الحديث وفي مسند احمد عن جابر يخرج الدجال
في خفقة من الدين وادبار من العلم وله اربعون ليلة يسيحها في الارض
اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر
ايامه كايامكم هذه وله حمار يركبه عرض حافتي اذنيه اربعون
ذراعا فيقول للناس انا ربكم وهو اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب
بين عينيه كافر يقرا الا كل مؤمن كاتب وغير كاتب يرد كل ماء ومنهل إلّا
المدينة ومكة حرمهما الله عليه وقامت الملائكة بابوابهما ومعه جبال
من خبز والناس في جهد إلّا من اتبعه ومعه نهران انا اعلم بهما منه نهر
يقول الجنة ونهر يقول النار فمن ادخل الذي يسميه الجنة فهو في
النار ومن ادخل الذي يسميه النار فهو في الجنة قال وتبعث معه شياطين
تكلم ومعه فتنة عظيمة يامر السماء تمطر فيما يرى الناس ويقتل نفسا
ثم يحييها فيما يرى الناس فيقول للناس ايها الناس هل يفعل مثل هذا
إلّا الرب فيفر الناس الى جبل الدخان بالشام فياتيهم فيحاصرهم فيشتد
حصارهم ويجهدهم جهدا شديدا ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام
فياتي في السحر فيقول ايها الناس ما يمنعكم ان تخرجوا الى هذا
الكذاب الخبيث فينطلقون فاذاهم بعيسى فتقام الصلاة فيقال له تقدم
يا روح الله فيقول ليتقدم امامكم فليصل بكم فاذا صلوا صلاة الصبح
خرجوا اليه فحين يرا الكذاب فينماع اي يذوب كما ينماع الملح
في الماء فيقتله حتى ان الشجر والحجر ينادي يا روح الله هذا يهودي
فلا يترك ممن كان يتبعه احدا إلّا قتله وفي الصحيح احاديث بمعنى

ذلك فراجع ذكر هذا الحديث السيوطي ونقله وارتضاه العلامة الدردير في شرح الخريدة ثالثها خروج ياجوج وماجوج بالهمز وغيره لغتان وهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السلام فهم من ذرية آدم عليه السلام اجماعا واولاد نوح عليه السلام الذين خلفوا ثلاثة سام وحام ويافث اما سام فهو ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوب ويافث ابو الترك والبربر وصقلبة وياجوج وماجوج كفار دعاهم عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء فلم يجيبوه الى الايمان وفي مسلم من حديث النواس بن سمعان ان الله تعلى يوحي الى عيسى عليه السلام بعد قتله الدجال اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون اي من كل نشز يمشون مسرعين فيمر اوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ماءها وهي بالشام طولها عشرة اميال ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذا اثر ماء ويحصرون عيسى واصحابه حتى يكون راس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم فيرغب نبي الله واصحابه الى الله تعلى فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه في الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر إلّا ملاته زهمتهم فيرغب الى الله نبي الله واصحابه فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله تعلى مطرا لايكون منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرك الحديث اه والنغف بتحريك الغين المعجمة هو الدود الذي يكون في انوف الابل والغنم رابعها خروج الدابة التي

تكلم الناس كما قال تعلى واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قيل انها تكلمهم ببطلان الاديان إلّا دين الحق جل جلاله وقيل انها تقول ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون كما هو ظاهر الاية وروي عنه عليه الصلاة والسلام ان لها ثلاث خرجات خرجة باقصى اليمن فيفشو ذكرها في البادية ولا يدخل ذكرها مكة ثم تمكث زمنا طويلا وخرجة قريبة من مكة فيفشو ذكرها بالبادية وبمكة وخرجة بينما عيسى بن مريم عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تهتز الارض تحتهم وينشق الصفا مما يلي المشعر فيخرج راس الدابة من الصفا تجري الفرس ثلاثة ايام وما خرج ثلثها وبعد خروجها يمس راسها السحاب وتسمى الجساسة وورد ان طولها ستون ذراعا بذراع آدم عليه السلام ولها اربعة قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب قال الصاوي واختلف في تعيينها والصحيح انها فصيل ناقة صالح اه وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وعن عبد الله بن عمر انه قال تخرج من جبل الصفا بمكة يتصدع فتخرج منه وقال لو شئت ان اضع قدمي على موضع خروجها لفعلت وروي في خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض تنشق عن الدابة وعيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون من ناحية المسعى وانها تخرج من الصفا فتسم بين عيني المؤمن هو المؤمن سمة كانها كوكب دري وتسم بين عيني الكافر نكتة سوداء كافر وقول من قال من المفسرين ان الدابة انما هي انسان متكلم يناظر اهل البدع والكفر رده القرطبي

في تفسيره باوصافها المتقدمة التي وردت عن جماعة من الصحابة والتابعين خامسها طلوع الشمس من مغربها قيل في يوم واحد وقيل في ثلاثة ايام ثم ترجع على هيئتها كما كانت الى يوم القيامة وقد ورد ان مدة ذلك مائة وعشرون سنة يتمتع المؤمنون فيها تمتعا جميلا في اربعين سنة لا يتمنون على الله شيئا إلا اجيبوا اليه ثم يتسارع فيهم الموت فلا يبقى على وجه الارض مؤمن ويبقى الكفار في الهرج الاكبر في الطرقات كالبهائم حتى انهم يفعلون الفاحشة في وسط الطريق يقوم منها واحد وينزلها آخر واورعهم من يقول لو تنحيتم عن الطريق لكان احسن فيبقون على ذلك حتى لا يكون ولد من نكاح ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة فيكون كلهم اولاد زنا شرار الناس وعليهم تقوم الساعة واذا طلعت الشمس من مغربها فانها تغرب في المشرق وحينئذ يغلق باب التوبة على العصاة والكفار وقيل عن الكافر فقط قال تعلى يوم ياتي بعض ءايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن ءامنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ثم انه قال العلامة القسطلاني (تنبيه) واما ما اشتهر على الالسنة من ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكث في قبره الف سنة فباطل لا اصل له كما صرح به الشيخ عبد العزيز الديريني في الدرر الملتقطة في المسائل المختلطة لكنه قال انه مما نقل عن علماء اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار اه ولا يصح ذلك بل كل ما ورد فيه تحديد اما ان يكون لا اصل له او لا يثبت وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير في البداية بعد ان ذكر حديث الا ان مثل آجالكم في آجال الامم قبلكم كما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس هذا يدل على ان ما بقي بالنسبة الى ما مضى كالشيء اليسير لكن لا يعلم مقدار ما مضى

إلّا الله عز وجل ولم يجيء فيه تحديد يصح سنده عن المعصوم حتى يصار اليه ويعلم نسبة ما بقي بالنسبة اليه ولكنه قليل جدا بالنسبة الى الماضي وتعيين وقت الساعة لم يات به حديث صحيح بل الايات والاحاديث دالة على ان علم ذلك مما استاثر الله به دون احد من خلقه وقد قال تعلى قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلّا هو وقال صلى الله عليه وسلم ما المسؤول عنها باعلم من السائل فالخوض في ذلك لا يجدي نفعا ولا ياتي بطائل والله الموفق اه وعند انقضاء الدنيا واحوالها ينفخ في الصور وهو كهيئة البوق الذي يزمر به قال تعلى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلّا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فهما نفختان النفخة الاولى تسمى الراجفة لموت الخلائق بها والثانية تسمى الرادفة وذهب ابن العربي الى انها ثلاث نفخة الفزع لقوله تعلى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الاية ونفخة الصعق ونفخة البعث لقوله تعلى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلّا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى الاية وصحح القرطبي انهما نفختان فقط نفخة الصعق وهي عينها نفخة الفزع فيترتب على فزعهم صعقهم ونفخة البعث وشنع بعضهم على ابن العربي وغيره حتى قالوا اننا سمعنا بمن زاد في الطنبور نغمة ولم نسمع بمن زاد في الصور نفخة وروى ابن المبارك عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين النفختين اربعون سنة الاولى يميت الله بها كل حي والاخرى يحيي الله بها كل ميت وفي مسلم عن عبد الله بن عمرو ثم ينفخ في الصور فلا يسمع احد إلّا اصغى ليتا ورفع ليتا ثم يرسل الله مطرا كانه الطلاء فينبت منه اجساد الناس ثم ينفخ

فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ففيه التصريح بانهما نفختان فقط
(وقدر) فيه رد على القدرية الذين ينفون القدر ويزعمون انه تعالى
لم يقدر الامور ازلا ويقولون ان الامر يستانفه الله تعالى حال وقوعه
وسموا قدرية لخوضهم في القدر ومبالغتهم في نفيه وهذه الطائفة
انقرضت قبل زمان الشافعي رضي الله تعالى عنه واما القدرية التي تنسب
افعال العباد الى قدرهم وقواهم فمذهبهم اخف من الاول وان كان
ضلالا واعلم انه وقع خلاف في معنى القضاء والقدر بين الاشاعرة
والماتريدية فالقدر عند الاولى ايجاد الله تعالى للاشياء على قدر مخصوص
ووجه معين ارادة تعالى فيرجع عندهم الى صفات التكوين ومعناه عند
الثانية تحديد الله في الازل كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه من حسن
وقبح وغير ذلك يعني علمه تعالى في الازل صفات المخلوقات فيرجع
عندهم لصفة العلم وهي من صفات المعاني والقضاء عند الاولى ارادة الله
تعالى للاشياء في الازل على ما هي عليه فيما لا يزال فهو من صفات المعاني
عندهم ومعناه عند الثانية ايجاد الله تعالى للاشياء مع زيادة الاحكام والاتقان
فهو من صفات التكوين عندهم فالقدر حادث والقضاء قديم عند الاشعرية
وبالعكس عند الماتريدية وقد اشار الى ذلك الاجهوري بقوله

ارادة الله مع التعلق في ازل قضاؤه فحقق
والقدر الايجاد للاشيا على وجه معين اراده علا
وبعضهم قد قال معنى الاول العلم مع تعلق في الازل
والقدر الايجاد للامور على وفاق علمه المذكور

وعن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يومن عبد حتى يومن باربعة يشهد ان لا اله إلا الله واني رسول الله

بعثني بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره وفي معنى ذلك من الاحاديث كثير وما تقدم من تعريف القضاء والقدر هو على راي من خاض فيه وراى جماعة ان الخوض فيه غير سائغ واستدلوا بما ورد في الحديث اذا ذكر القدر فامسكوا وبانه سر لا يمكن افشاؤه ولذا لما سئل عنه المرتضى كرم الله وجهه قال هو طريق مظلم لا سبيل اليه فاعيد السؤال فقال البحر عميق لا تلجه فاعيد السؤال فقال سر الله قد خفي علينا فلا نفشيه ومع ذلك كله فيجب التسليم والرضى بالقضاء والقدر قال تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فالينظر هل يذهبن كيده ما يغيض (كذا) اي مما يجب الايمان به (صراط) وهو جسر ممتد على جهنم يجوزه العباد على قدر اعمالهم سرعة وبطأ وهو ارق من الشعرة واحد من السيف اوله من الموقف ومنتهاه الى باب الجنة يمر عليه الكافر والمسلم واختلف في مساحته فقيل ثلاثة آلاف سنة صعود ومثلها هبوط ومثلها استواء وقيل غير ذلك وروي ان مواقف القيامة خمسون موقفا كل موقف يسئل فيه عن شيء خاص من عمله وذهب بعض المعتزلة الى ان الصراط كناية عن الطريق الموصلة الى الجنة او الى النار فلم يتركوا الصراط على ظاهره من كونه قنطرة حقيقة كما هو مذهب اهل السنة ونازع عز الدين بن عبد السلام في كونه ارق من الشعرة واحد من السيف وقال بل ذلك كناية عن المشقة فهو ليس على ظاهره والى ذلك ذهب البدر القرافي والبدر الزركشي قال القرافي والصحيح انه عريض وفيه طريقان يمنى ويسرى فاهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين واهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وفيه

طاقات كل طاقة تنفذ الى طبقة من طبقات جهنم ويدخله كل المؤمنين وكلهم ساكتون إلا الانبياء فانهم يقولون اللهم سلم سلم كما ورد في الصحيح ويختلف المرور عليه بين العباد فمنهم فريق مصاب بالوقوع في النار اما على التابيد وهم الكفار واما الى مدة ثم ينجو كما شاء الله تعلى وهم عصاة المؤمنين ومنهم من يجوزه كطرف العين ومنهم من يجوزه كالبرق الخاطف ومنهم من يجوزه كالريح العاصف ومنهم من يجوزه كالطير ومنهم من يجوزه كالجواد السابق ومنهم من يجوزه سعيا ومنهم من يجوزه مشيا ومنهم من يجوزه حبوا على حسب التقوى والعصيان قال بعضهم والمشهور ان الميزان قبل الصراط وما روي ان الصحابة قالوا يا رسول الله اين نطلبك فقال عليه الصلاة والسلام على الصراط فان لم تجدوا فعلى الميزان فان لم تجدوا فعلى الحوض فوجهه ان الطلب في المكان يجوز ان يستانف من كل طرف على انه رواية غريبة فلا يعارض المشهور وانكر اكثر المعتزلة وقوع الصراط وجوازه لان فيه تعذيبا وجوزه الهزيل وبشر بن المعتمر من غير حكم بالوقوع واختلف قول الجبائي في نفيه واثباته اه ودليل اهل السنة في اثباته قوله تعلى فلا اقتحم العقبة فسر مجاهد والضحاك العقبة بالصراط وحديث مسلم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون انا وامتي اول من يجوزه وافاد السيوطي انه يستثنى من ذلك من يدخل الجنة بغير حساب فانه لا يمر على الصراط والذي نقله اللقاني عن الغزالي ان الانبياء والرسل والسبعين التي تدخل الجنة بغير حساب يمرون على الصراط فتامل (ميزان) اي انه يجب التصديق به وهو الذي توزن فيه صحائف الاعمال قال تعلى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس

شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين واختلف
في حقيقته فذهب اكثر المعتزلة الى ان المراد به العدل ومذهب السلف
وهو الصحيح انه حسي له لسان وكفتان والصحيح انه ميزان واحد
وقيل لكل عبد ميزان وتوزن اعمال الكفار على مذهب الجمهور واجابوا
عن قوله تعلى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا بان المراد وزنا نافعا فتوضع
صحائف الحسنات في كفة النور وصحائف السيئات في كفة الظلمة
فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون واختلف العلماء في ان الموزون
صحف الاعمال كما تقدم او نفس الاعمال فذهب الى الاول جمهور
المفسرين قالوا والحسنات مميزة بكتاب والسيئات بآخر وايدوا ذلك
بحديث البطاقة وهو ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يستخلص رجلا من امتي على
رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل
منها مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا أأظلمك كتبتي الحافظون
فيقول لا يا رب فيقول ألك حسنة فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك
عندنا لحسنة وانه لا ظلم عليك فتخرج له بطاقة كالانملة فيها اشهد
ان لا اله إلّا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول يا رب ما هذه البطاقة
مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة
في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء
اه وهذا ليس لكل عبد بل لمن اراد الله به خيرا كذا قالوا وقيل ان
الموزون نفس الاعمال بان تصور الاعمال الصالحة في صورة حسنة
نورانية فتوضع في كفة النور عن يمين العرش مقابلة للجنة وتصور

الاعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية فتوضع في كفة الظلمة المعدة للسيئات وهي عن شمال العرش مقابلة للنار وهناك صنج مثاقيل الذر يعلم بها كمية التفاوت تحقيقا لتمام العدل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وفائدة الميزان ان يعلم العبد مقدار الثواب والعقاب فان قيل فما فائدة وزن اعمال الكفار مع انهم لا حسنات لهم اجيب بانه يكون منهم اعمال لا تتوقف صحتها على نية كالعتق وصلة الرحم والوقف وذلك يقتضي التخفيف عنهم من عذابهم فتوزن اعمالهم لذلك لا للنجاة من تعذيب الكفر بدليل ان ابا طالب لما بشرته جاريته بولادته صلى الله عليه وسلم فاعتقها لذلك جوزي بالتخفيف من عذابه فقد اخبر عليه الصلاة والسلام بانه يكون في ضحضاح من نار ولا توزن اعمال الانبياء ولا الملائكة ولا من يدخل الجنة بغير حساب لانه فرع عن الحساب وهؤلاء لا حساب عليهم وفي الاثر يا محمد ادخل الجنة من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن (حوض النبي) صلى الله عليه وسلم ولا يكفر من انكره وانما يفسق وقد انكرته المعتزلة روي عن الحسن رضي الله عنه مرفوعا ان لكل نبي حوضا وهو قائم على حوضه وبيده عصا يدعو من عرفه من امته الا وانهم يتباهون ايهم اكثر تبعا واني لارجو ان اكون اكثرهم تبعا وهو على الارض المبدلة وهي الارض البيضاء التي كالفضة وفي الصحيحين حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه اكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يضمأ ابدا وهذا الحديث يدل على ان مسافته شهر لا غير وفي روايات اخرى تحديده بما يزيد على ذلك اعني شهرين وحملوا ذلك على ان الله تعالى تفضل على نبيه باتساع حوضه

شيئا فشيئا قال النووي والاعتماد على ما يدل على اطولها مسافة وهل هو قبل الصراط او بعده او هما حوضان احدهما قبله والاخر بعده قيل وهو الراجح اقوال ويطرد منه الخوارج والمتبدعة وكل ما عدا اهل السنة من المسلمين عقابا لهم بالتراخي ثم يشربون ولا يشرب منه الكافر ابدا وله ميزابان يصبان فيه من ماء الكوثر وكذا مما يجب الايمان به (جنة) اعدها الله دار خلود لاوليائه ومتعهم فيها بالنظر لوجهه الكريم (ونيران) اعدها الله دار خلود لاعدائه واعد لهم فيها ما شاء من انواع العذاب الاليم والجنة في اللغة بستان والمراد بها دار الثواب وهي سبع اعلاها جنة الفردوس وسقفها عرش الرحمن ومنها ينابيع انهار الجنة ثم جنة المأوى ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة عدن ثم دار السلام ثم دار الجلال وهذا مذهب ابن عباس وجماعة وذهب الجمهور الى انها اربع بدليل ما في سورة الرحمن وقيل هي اسماء لمسمى واحد قال ابن القشيري لا يعلم محل الجنة والنار إلا العليم الخبير وقال بعض العلماء ان الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش وهو سقفها قال وقد وردت بذلك الاحاديث الصحيحة واليه ذهب اكثر العلماء ولم يصح في مكان النار شيء وقيل انها تحت الارضين السبع وقيل انها محيطة بالدنيا والجنة بعدها والجنة والنار موجودتان الان عند اهل السنة وهذه الجنة هي التي اهبط منها آدم عليه السلام خلافا للمعتزلة في المسالتين قالوا انهما سيوجدان يوم القيامة والجنة التي اهبط منها آدم بستان على ربوة من ارض عدن او فارس او العراق او فلسطين على خلاف بينهم في ذلك ودليل الاولى قوله تعلى اعدت للمتقين اعدت للكافرين فعبر بلفظ الماضي الذي يقتضي سبق وجودهما والتعبير عن

المستقبل بلفظ الماضي عدول عن الظاهر لغير ضرورة ودليل الثانية ان دعوى كون الجنة التي اهبط منها آدم عليه السلام بستانا الخ مخالف لاجماع المسلمين واعلم ان الناس يكونون في الموقف على حالتهم التي ماتوا عليها ثم يدخل الجنة المؤمنون جردا مردا ابناء ثلاث وثلاثين سنة طول كل واحد منهم ستون ذراعا وعرضه سبعة اذرع ثم لا يزيدون ولا ينقصون واجسام الكفار مختلفة المقدار ومما ورد فيهم ان ضرس الكافر في النار مثل احد وفخذاه مثل ورقان وهما جبلان بالمدينة على ساكنها افضل الصلاة واتم السلام وجمع المصنف النار باعتبار طبقاتها السبع التي اشار الامير الى نظمها على سبيل التدلي فقال

جهنم للعاصي لظى ليهودها وحطمة دار للنصارى اولي الغمم
سعير عذاب الصابئين ودارهم مجوس لها سقر جحيم لذي صنم
وهاوية دار النفاق وقيتها واسال رب العرش امنا من النقم

وهذا باعتبار ظواهر بعض الاحاديث والا فالايات شاهدة بان كل اسم منها يعم الجميع فان الايات تذكر صفات الكفار باي وجه من تلك الوجوه وتعبر عن وعيدهم باي اسم من تلك الاسماء وذكر ابن العربي ان نار الدنيا من جهنم طفئت مرتين ولولا ذلك لم ينتفع بها وبعد اخذ نار الدنيا منها اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم الف سنة حتى احمرت ثم الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة اه وحرها هواء محرق وجمرها بنو آدم والحجارة قال تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وبقي على المصنف مما يجب الايمان به ﴿ الحساب ﴾ فهو ثابت بالكتاب والسنة والاجماع فقد ورد في الكتاب سريع الحساب وفي السنة حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا والاجماع

عليه ثابت لا محالة ويكون للمومن والكافر من انس وجن إلّا ما استثني ففي الحديث يدخل الجنة من امتي سبعون الفا ليس عليهم حساب فقيل له هلا استزدت ربك فقال استزدته فزادني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا فقيل له هلا استزدت ربك فقال استزدته فزادني ثلاث حثيات بيده الكريمة او كما قال والحثية الدفعة من غير عدد وحصر وهناك طائفة من الكفار تدخل النار بغير حساب فالاقسام ثلاثة والمراد بالحساب ان يكلم الحق جل جلاله الخلائق في شان اعمالهم وما لها من الثواب والعقاب فيسمعهم كلامه القديم وهذا هو المعول عليه في تفسير الحساب فقد ايد بالاحاديث الصحيحة ولا يشغله تعالى في ذلك شان عن شان ويختلف الحساب على اختلاف الاشخاص فمنه اليسير ومنه العسير والتوبيخ والفضل والعدل والسر والجهر وثمرته اظهار كمال اهل الكمال ونقص اهل النقص وقد ورد ان الكافر ينكر فتشهد جوارحه وقد يكون الحساب من الملائكة فقط وقد يكون منه تعالى والملائكة شهود وقد يكون من المولى تبارك وتعالى فقط وهذا ايسره واستره فلا يطلع على ذلك غير خالقه ويكون الحساب بعد اخذ الصحف كما قال تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا واما من اوتي كتابه وراء ظهره الاية ويستثنى ممن يحاسب سبعون الفا كما تقدم وافضلهم الصديق رضي الله تعالى عنه وهذه الامة الشريفة وان كانت متاخرة بالزمن عن غيرها من الامم إلّا انها تقدم في الحساب وغيره بفضل نبيها عليه الصلاة والسلام ومما يجب الايمان به ﴿اخذ العباد صحف اعمالهم﴾ يوم القيامة كما قال تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا

اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والذي ياخذ كتابه بيمينه
هو المومن الطائع اجماعا وكذلك العاصي على المشهور واما الذي ياخذه
بشماله فهو الكافر اجماعا والعاصي على خلاف المشهور وصفة اخذ
الكافر انه تغل يمناه الى عنقه ويثقب صدره فيدخل شماله منه فياخذ
بها كتابه اعاذنا الله تعالى من ذلك قال العلامة الدردير في شرح الخريدة
وحاصل ما قيل في ذلك ان صحائف الايام والليالي توصل حتى تكون
صحيفة واحدة وقيل ينسخ ما في جميعها في صحيفة واحدة فاذا مات
العبد جعلت في خزانة تحت العرش حتى اذا كان يوم القيامة والناس
في الموقف بعث الله تعالى ريحا فتطيرها من تلك الخزانة فلا تخطيء
صحيفة عنق صاحبها ثم تاخذها الملائكة من الاعناق فيعطونها لهم في
ايديهم على حساب حالهم من ايمان او كفر الى ان قال واول من ياخذ
كتابه بيمينه على الاطلاق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وله شعاع
كشعاع الشمس واما ابو بكر فهو رئيس السبعين الفا الذين يدخلون الجنة
بغير حساب وبعد عمر ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي ثم اذا
اخذ العبد كتابه وجد حروفه نيرة او مظلمة على حسب الاعمال الحسنة
او القبيحة واول خط فيها اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا فاذا قراه ابيض وجهه ان كان مومنا واسود ان كان كافرا وذلك
قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الاية ويخلق الله تعالى له
علم القراءة وان لم يكن يقرا في الدنيا والصحيح ان عصاة المؤمنين
ياخذون صحائفهم بايمانهم ويكون علامة على دخول الجنة ولو بعد دخولهم
النار اه ومما يجب الايمان به ﴿الشفاعة﴾ فيشفع عليه الصلاة والسلام
في اهل الكبائر فقد ورد في الصحيحين انا اول شافع واول مشفع وقال

تعلى و استغفر لذنبك وللمؤمنين و المؤمنات وقال تعلى فما تنفعهم شفاعة
الشافعين والنفي فرع عن الثبوت وقال عليه الصلاة والسلام شفاعتي
لاهل الكبائر من امتي وهو حديث مشهور بل قال بعض المحققين ان
الاحاديث الواردة في باب الشفاعة بلغت مبلغ التواتر واستدل المعتزلة
على نفيها بقوله تعلى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها شفاعة وقوله تعلى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع واجيب
بانه على تسليم عموم ذلك في سائر الاشخاص والازمنة والاحوال
يجب تخصيص ذلك بالكفار جمعا بين الادلة ومذهب المعتزلة ليس
نفي الشفاعة بالمرة بل يقول هي لزيادة الثواب لا غير وهل يشفع عليه
الصلاة والسلام لتارك السنة اولا خلاف قال عليه الصلاة والسلام من
ترك سنتي لم ينل شفاعتي وعلى ظاهر هذا الحديث درج علماء الاصول
فقالوا ان جزاء ترك السنة حرمان الشفاعة وعليه مشى المحقق التفتازاني
في التلويح قال المحقق العصام على العقائد النسفية الظاهر انه يثبت
لهم الشفاعة اذ الحديث وعيد ويجوز الخلف في الوعيد من الكريم فلا
يعارض قوله عليه الصلاة والسلام شفاعتي لاهل الكبائر من امتي لانه وعد
ولا يجوز الخلف فيه اهـ والشفاعة خمسة انواع الاولى خاصة به صلى الله
عليه وسلم وهي شفاعته لجميع الخلائق في فصل القضاء لتعجيل الحساب
الثانية الشفاعة لقوم يدخلون الجنة بغير حساب وهذه خاصة به ايضا على
راي النووي وتردد في ذلك ابن دقيق العيد والسبكي الثالثة الشفاعة لقوم
استحقوا النار فلا يدخلونها وهذه غير خاصة به على راي عياض وتردد
فيه النووي الرابعة الشفاعة لقوم دخلوا النار فيخرجون منها وهذه
يشاركه فيها الانبياء واهل المراتب العلية عند ربهم الخامسة لقوم في رفع

درجاتهم في الجنة وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم على راي القرافي
وقال غيره بعدم الاختصاص وزاد سيدي علي الاجهوري سادسة وهي
شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض الكفار وهي مختصة به صلى الله
عليه وسلم فقد جاء في الصحيح في حق ابي طـالب لعله تنفعه شفاعتي
فيجعل في ضحضاح من نار وفي الحديث اقل اهل النار عذابا رجل ينتعل
بنعلين من نار تغلي منهما دماغه وسابعة وهي التخفيف في عذاب القبر
وانظر هل هي من خصائصه ام لا والخلاف في الشفاعة مبني على جواز
العفو عن الكبيرة وعدمه والى الاول ذهب اهل السنة ودليلهم في ذلك قوله
تعلى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وعدم
غفران الشرك ثابت باجماع الامة لكن اختلف هـل يجوز عقـلا ام لا
ويغفر الله تعلى الصغائر والكبائر مع التوبة او بدونها والمعتزلة فصلوا
فخصصوا المغفرة بالصغائر مطلقا وبالكبائر مع التوبة ويجوز العقاب
على الصغيرة اجتنب مرتكبها الكبيرة اولا وذهب المعتزلة الى انه اذا
اجتنب الكبائر لا يجوز تعذيبه بمعنى انه لا يجوز ان يقع لقيام الادلة
السمعية على انه لا يقع لقوله تعلى ان تجتنبوا كبـائر ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئاتكم ورد بان الكبيرة المطلقـة هي الكفر والشيء اذا
اطلق ينصرف الى الفرد الكامل والجمع باعتبار الافراد المخاطبين او
انه من مقابلة الجمع بالجمع فتقتضي القسمة آحادا واختلفت الروايات
في معنى الكبـيرة فروي عن ابن عمـر رضي الله تعلى عنهما انها تسعة
الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنة والزنا والفرار عن
الزحف والسحر واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد
في الحرم وزاد ابو هريرة اكل الربا وزاد علي رضي الله تعلى عنه السرقة

وشرب الخمر وقيل كل ما توعد عليه الشرع بخصوصه وقيل كل معصية اصر عليها فهي كبيرة وقيل غير ذلك والكبيرة لا تخرج المومن من الايمان خلافا للمعتزلة حيث ذهبوا الى ان مرتكب الكبيرة ليس بمومن ولا كافر فاثبتوا المنزلة بين المنزلتين بناء على ان العمل عندهم شطر من حقيقة الايمان ولا يكفر المومن بارتكاب الكبيرة خلافا للخوارج حيث ذهبوا الى ان مرتكب الذنب كبيرة او صغيرة كافر واستدل اهل السنة بوجوه احدها ما تقدم من ان حقيقة الايمان هو التصديق القلبي والاقدام على الكبيرة لغلبة شهوة او نحو ذلك وبالخصوص مع العزم على التوبة ورجاء الثواب والخوف من العقاب ثانيها ورود النصوص الشرعية ناطقة باطلاق الايمان على العاصي كقوله تعلى يا ايها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وقوله تعلى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الاية وقوله تعلى يا ايها الذين ءامنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وذلك كثير ثالثها اجماع الامة من زمن النبوة الى وقتنا هذا بالصلاة على الاموات من اهل القبلة والدعاء والاستغفار لهم مع العلم بارتكابهم الكبائر بعد اتفاقهم على ان ذلك يخص المومن واستدل المعتزلة بدليلين اولهما انه وقع خلاف في مرتكب الكبيرة هل هو فاسق مومن وهو مذهب اهل السنة او كافر وهو قول الخوارج او منافق وهو قول الحسن البصري فاخذنا المتفق عليه وتركنا المختلف فيه ورد بان هذا حدث في الدين ولم يكن في عهد السلف قول بالمنزلة بين المنزلتين فهو خرق للاجماع ثانيهما انه ليس بمومن لقوله عليه الصلاة والسلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن وقوله عليه الصلاة والسلام لا ايمان لمن لا امانة له وايضا هو ليس

بكافر لما وصلنا بطريق التواتر من ان السلف كانوا لا يقتلونه ولا يعاملونه باحكام المرتد ويدفنونه في مقابر المسلمين وقوله تعلى افمن كان مومنا كمن كان فاسقا فجعل الفسق مقابلا للايمان فيقتضي المغايرة ورد بان الحديث على سبيل التغليظ والزجر عن المعاصي ويدل لذلك ما روي عن ابي الدرداء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال الثانية ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنى وان سرق يا رسول الله قال وان زنى وان سرق رغم انف ابي الدرداء واحتج الخوارج بظواهر النصوص الدالة على ان الفاسق كافر كقوله تعلى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقوله تعلى ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون وكقوله عليه الصلاة والسلام من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر قالوا والعذاب يختص بالكافر بدليل قوله تعلى ان العذاب على من كذب وتولى وقوله تعلى لا يصليها إلّا الاشقى الذي كذب وتولى وقوله تعـلى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين ورد بحمل النصوص على غير ظواهرها ويؤيد ذلك الاجماع على ان مرتكب الكبيرة ليس بكافر والخوارج لا اعتداد بمذهبهم واعلم ان مرتكب الكبيرة لا يخلد في النار لقوله تعلى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الاية والايمان عمل خير ولقوله تعلى ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا وغير ذلك من النصوص كثير ويشهد لذلك ايضا ما تقدم من الدلائل القطعية ان مرتكب الكبيرة ليس بكافر وايضا الخلود في النار هو اعظم العقوبات

فجعله الله تعلى جزاء للكفر الذي هو اعظم الجنايات ولو جعل لغير الكفر لكان زيادة على العقوبة وذلك ليس من العدل في شيء واما المعتزلة فقد ذهبوا الى ان من دخل النار فهو خالد فيها لانه لا يخلو اما ان يكون كافرا او صاحب كبيرة ولم يتب واما التائب وصاحب الصغيرة اذا خلى من الكبائر فليسا من أهل النار عندهم كما تقدم واستدلوا على ذلك بالنصوص الدالة على الخلود كقوله تعلى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وقوله تعلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئاته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ندخله نار خالدا فيها ورد بان قاتل المومن عمدا جزاؤه جهنم اي يستحق ذلك ولا يلزم من كونه يستحقه مجازاته به بالفعل بل يجوز التخلف لعفو الله تعالى عنه لان خلف الوعيد يعد فضلا بخلاف خلف الوعد كما تقدم وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده المراد منه جميع الحدود حتى الايمان ولا يكون كذلك إلّا الكافر ونحو هذا يقال في قوله تعالى من كسب سيئة واحاطت به خطيئاته فالذي تحيط به جميع خطاياه هو الكافر سلمنا جدليا خلود المومن المرتكب للكبيرة في النار لكن لا نسلم ان المراد بالخلود الدوام بل المراد به في حق المومن المكث الطويل وفي حق الكافر الدوام ودليل هذا الحمل ما تقدم من النصوص الدالة على عدم الخلود واعلم ان الكبيرة المجمع عليها كقتل النفس والزنا من كل ما علم من الدين بالضرورة محل كونها لا تدخل المومن في الكفر اذا لم يرتكبها عن استحلال لها وإلّا فهو كافر اما لانكار النصوص القطعية من الكتاب والسنة او مخالفة الاجماع والى ذلك اشار اللقاني في جوهرة التوحيد بقوله

ومن لمعلوم ضرورة جحد ... من ديننا يقتل كفرا ليس حد

ومثل هذا من نفى لمجمع ... او استباح كالزنا فلتسمع

ومثل ذلك الاستهزاء والاستهانة بالشريعة لان ذلك من امارات التكذيب راجع باب الردة من فروع الفقه واما العدول عن ظواهر النصوص من الكتاب والسنة والركون الى معان يدعيها اهل الباطن وهم الباطنية وهم قوم يعتقدون ان النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنية لا يدركها إلّا المعلم وقصدهم بذلك سي، فانه يؤدي الى نفي الشريعة بالمرة واما اعتقاد ان الشريعة على ظواهرها ومع ذلك ففيها اشارات خفية يدركها من وفقه الله تعالى يمكن التطبيق بينها وبين المعاني الظاهرية فهو من كمال الايمان كما قال السعد التفتازاني والتوبة واجبة من المعاصي مطلقا كبيرة او صغيرة وهي الرجوع الى الله تعلى واركانها ثلاثة الندم على ما وقع منه من المعاصي والعزم على ان لا يعود لمثلها والاقلاع عن الذنب في الحال قبل انقضائه وتجب المبادرة بها والتراخي عنها معصية اخرى فلا يقول حتى يهديني الله تعلى كما يقوله بعض الفسقة فانه من علامة الشقاء والخذلان وطمس البصيرة وتوبة الكافر عن كفره ورجوعه الى الاسلام مقبولة قطعا باتفاق الاشعري وامام الحرمين والقاضي لقوله تعلى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فيغفر الله تعلى حتى الاشراك مع مقارنة التوبة واما قوله تعلى ان الله لا يغفر ان يشرك به فالمراد بدون توبة وهذا هو التحقيق وللفقهاء في باب الردة في ذاك قولان وتوبة المومن من ذنبه مقبولة ظنا على ما ذهب اليه القاضي وامام الحرمين وذهب الاشعري الى انها مقبولة قطعا وذلك لان الاولى وردت في الكتاب بدليل قطعي فلذلك كان قبولها

قطعيا و اما الثانية فقد وردت بدليل ظني و ان كان قريبا من القطع وهو
قوله تعلى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فيحتمل انه يقبلها ان شاء
و يشترط في التوبة ان تكون قبل الغرغرة و إلا فلا تقبل عند الاشعري
مطلقا لا فرق بين المؤمن و الكافر وذهب الماتريدي الى قبولها في المؤمن
و ان تكون قبل طلوع الشمس من مغربها فهناك يغلق باب التوبة و يسمع
له دوي قوي و اذا تاب العبد من ذنب ثم رجع اليه مرة اخرى فلا يعود
الذنب الاول خلافا للمعتزلة في عوده وللصوفية في انه اقبح من سبعين
ذنبا وعلى العبد اذا تاب ان لا ييأس من رحمة الله تعلى اذ القنوط منها
كفر كما قال تعلى انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وقال
تعلى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم والرجاء على ثلاثة
انواع رجل عمل حسنة يرجو قبولها ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو
يرجو المغفرة والنوع الثالث هو الرجاء الكاذب وفي الحقيقة هو طمع
وليس برجاء وهو رجل يتمادى في الذنوب ويقول ارجو المغفرة وورد
في الشرع ان بعض القرب تكفر السيئات وعلى هذا فليس ذلك خاصا
بالتوبة من ذلك ما روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسبغ احد الوضوء إلا غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقال عليه الصلاة والسلام لا يتوضأ رجل
مسلم فيحسن الوضوء فيصلي صلاة إلا غفر له ما بينها وبين الصلاة التي
تليها وفي الحديث الحج المبرور ليس له على الله جزاء إلا الجنة وفيه
ايضا ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا جهاد وانما
يكفرها السعي على العيال وغير ذلك من الاحاديث كثير ومما يجب

الايمان به ﴿ سؤال الملكين ﴾ منكر ونكير وهما ملكان اسودان ازرقان اي اعينهما ياتيان للميت مومنا كان او كافرا او منافقا بعد تمام الدفن في القبر الذي يستقر فيه على الدوام وبعد انصراف الناس فيقعدانه ويعيد الله فيه الروح بتمام بدنه وهو راي الجمهور ويشهد له ظواهر الاحاديث التي هي تقرب من التواتر واليه ذهب السيوطي فقال

وكله يحيا لدى الجمهور   لا جزؤه كظاهر الماثور

وقيل تعاد الروح الى جزئه الاعلى فيقولان له من ربك وما دينك وما تقول في الرجل الذي بعث فيكم فيقول المومن الله ربي والاسلام ديني والرجل المبعوث فينا محمد صلى الله عليه وسلم فيقولان له انظر مقعدك من النار قد ابدلك الله به مقعدا في الجنة فيراهما جميعا واما الكافر والمنافق فيقول لا ادري فيقولان له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطراق من حديد في يد احدهما فيصيح صيحة يسمعها كل من يليه ما عدى الثقلين ويستعملان الرفق مع المومن ويشددان على الكافر في السؤال ويسالان كل واحد بلسانه على الصحيح وهو ظاهر الاحاديث واقوال السلف وقيل بالعربية وقيل بالسريانية واليه يشير القائل

ومن عجيب ما ترى العينان   سؤال الملكين بالسرياني

افتى بهذا شيخنا البلقيني   ولم اره لغيره بعيني

ويسالان المومن الطائع وغيره على الاصح وقيل انهما للكافر والعاصي ويسالانه ولو تمزقت اعضاؤه او اكلته السباع او حرق وسحق وذري في الهواء فذلك ليس ببعيد عن القدرة الازلية ويختلف باختلاف الاشخاص فمنهم من يسئل عن بعض اعتقاداته ومنهم من يسئل عن كلها ولا يسئل الانبياء ولا الملائكة ولا الصديقون والشهداء والمرابطون

على ثغور المسلمين ومن لازم قراءة سورة الملك كل ليلة ومن قرأ الاخلاص في مرضه ثلاثا والمبطون وميت الطاعون والابله والمجنون ان جن قبل البلوغ او بعده وهو مسلم واستمر به الى موته وذهب الجلال السيوطي الى عدم سؤال الاطفال ويسئل الجن لتكليفهم وعموم الادلة في السؤال والسؤال هذا هو فتنة القبر والصحيح انه يقع مرة واحدة لكل واحد ممن تقدم انه يسئل والجمهور على انه ثلاث مرات في ساعة واحدة عقب نزوله القبر وقال السيوطي بتكراره سبعة ايام مرة بعد نزوله والباقي بعد فجره قال بعضهم والكافر يسئل اربعين صباحا ومما ورد في وصف الملكين ان اعينهما كقدور النحاس من فرط حمرتهما يراهما الناظر كالبرق الخاطف جعلهما الله تكرمة للمؤمنين ليثبته وينصره قال تعلى يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وهتكا لستر المنافق في البرزخ واخافة للكافر ليتحير في الجواب والسؤال مع كونه يجب الايمان به لا يكفر منكره للاختلاف فيه ومن فتن القبر ضغطته اي اجتماع حافتيه على جسد الميت ولم ينج منها احد حتى الاطفال روي عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عفي احد من ضغطة القبر إلّا فاطمة بنت اسد اي ام علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فقيل يا رسول الله ولا القاسم اي ابنه قال ولا ابراهيم وكان اصغرهما نعم يستثنى من ذلك الانبياء فلا يضغطون كما قال العلماء لكنه ورد ان الارض تضم المطيع لله تعلى ضم الام الشفوقة لولدها وتضم العاصي ولو مومنا ضما عنيفا حتى تختلف اضلاعه ومما يجب الايمان به ﴿عذاب القبر ونعيمه﴾ والمعذب الروح والبدن جميعا عند اهل الحق وشذ جماعة كمحمد بن جرير الطبري

وعبد الله بن كرام الى ان المعذب البدن فقط ويخلق الله تعالى فيه ادراكا به يسمع ويعلم ويلتذ ويتألم ويعذب عصاة المؤمنين في القبر وينقطع عمن خفت اوزاره منهم وقد يرفع عنهم بنحو دعاء او صدقة كما ذكره ابن القيم وكل من لا يسئل في قبره لا يعذب فيه ومن شواهد عذاب القبر قوله عليه الصلاة والسلام يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة او ان تنينا منها نفخ على الارض ما انبتت خضراء اخرجه ابن ابي شيبة وابن ماجة عن ابي سعيد الخدري والتنين بكسر التاء وتشديد النون اكبر الثعابين قيل وحكمة هذا العدد انه كفر باسماء الله الحسنى التسعة والتسعين ومما ورد في نعيم القبر توسيعه سبعين ذراعا عرضا ونحوها طولا ومنه ايضا فتح طاقة فيه من الجنة وامتلاؤه بالريحان وفي الحديث القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار او كما قال ويجعل له قنديل من نور كالقمر ليلة البدر ومما يجب الايمان به ﴿العرش﴾ وهو جسم عظيم نوراني علوي قيل من نور وقيل من زبرجدة خضراء وقيل من ياقوتة حمراء والتحقيق انه ليس كرويا بل هو قبة فوق العالم ذات اعمدة اربعة يحمله اربعة من الملائكة في الدنيا وثمانية في الاخرة لزيادة الجلال والعظمة رؤوسهم عند العرش في السماء السابعة واقدامهم في الارض السفلى وقرونهم كقرون الوعل و ﴿الكرسي﴾ وهو جسم عظيم نوراني تحت العرش ملتصق به فوق السماء السابعة بينه وبينها مسيرة خمسمائة عام كما نقل عن ابن عباس و ﴿القلم﴾ وهو جسم عظيم نوراني خلقه الله ليكتب ما كان وما يكون الى يوم القيامة قيل من اليراع وقيل من غير ذلك و ﴿اللوح﴾ وهو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب

وقد ورد في الاثر ان نسبة السموات السبع الى الكرسي كحلقة بفلاة وان نسبة الكرسي الى العرش كحلقة بفلاة كذا ذكروا ولكن الاليق في امثال هاته المقامات الامساك عن الخوض في ذلك اذ لم يرد فيه دليل قاطع قال شيخنا محمد بخيت في القول المفيد ومما يجب الايمان به ان لله سبحانه عرشا يحمله يوم القيامة فوقهم ثمانية ولوحا محفوظا وكرسيا وسع السموات والارض حسبما دلت على ذلك كله الايات القرآنية والاحاديث النبوية وجميعها يدل دلالة قطعية على ما ذكر فنؤمن بذلك ونفوض العلم بكنه كل واحد من هذه الثلاثة وحقيقته الى الله تعلى واما القول بان العرش قبة فوق العالم له اعمدة اربع او انه كرة تحيط بجميع الاجسام وان اللوح جسم نوراني كتب فيه القلم باذن الله ما كان وما يكون الى يوم القيامة وان الكرسي تحت العرش فوق السماء السابعة بخمسمائة عام فان ذلك كله لم يرد فيه نص قاطع وان جاء تفسير العرش والكرسي واللوح في بعض الاحاديث إلا انها احاديث آحاد لا تفيد القطع الذي لا بد منه في باب العقائد ومما يجب الايمان به ان لله ملائكة كراما ﴿كاتبين﴾ يعلمون كل ما يفعل المكلف وهم ملائكة يكتبون على المكلف جميع ما صدر منه من قول ولو نفسيا وفعل واعتقاد والذي يجب اعتقاده ان لله ملائكة كتبة على الانسان على وجه الاجمال واما تفصيل ذلك مثل كونهم لا يفارقونه إلّا حالة الجماع وان لكل انسان ملكين يسمى احدهما رقيبا والاخر عتيدا وانهما يتعاقبان عند صلاة العصر وعند صلاة الصبح وانهما لا يتغيران ونحو ذلك من التفاصيل فكلها لم يجيء بها نص قاطع وكذلك يجب الايمان بان لله على الانسان ﴿حفظة﴾ وهم ملائكة موكلون بحفظ الانسان ولو صغيرا

او كافرا لقوله تعلى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله واما ان الكتبة هم الحفظة او غيرهم وعددهم ومحلهم وغير ذلك من التفاصيل فلم يجيء به نص قاطع ومما يجب الايمان به القلم ولكن على وجه الاجمال كما دلت عليه آيات القرآن والاحاديث وغير ذلك لم يرد فيه نص قاطع اه فانظر رحمك الله الى هذا التحقيق والى اعتقاد بعض العامة ان تفاصيل ذلك من ضروريات الدين حتى انهم اوشكوا ان يكفروا منكر ذلك ولو كان يسلم التكفير في هذا المقام لكانوا اجدر به فانا لله وانا اليه راجعون ومما يجب الايمان به « الموت لكل ذي حياة » قال تعلى كل نفس ذائقة الموت وقال تعلى انك ميت وانهم ميتون واختلف في حقيقته فذهب الاشعري الى انه وجودي فهو صفة وجودية تقابل الحياة تقابل تضاد وذهب الاستاذ وصاحب الكشاف الى انه عدمي فعرفاه بانه عدم الحياة عمن شانه ان يكون حيا فبينهما تقابل العدم والملكة ويقبض الروح ملك الموت وهو سيدنا عزرائيل عليه السلام وقد تقدم الكلام على ذلك ومما يجب الايمان به الاسراء والمعراج به عليه الصلاة والسلام وقد تقدم ذكرهما ومما يجب الايمان به « استيفاء الشخص كل مقدر له » قبل انقضاء اجله من عافية وبلاء ورزق وغير ذلك وانه يموت بانقضاء اجله المقدر له في الازل اذ الاجل واحد كما هو مذهب اهل السنة قال تعلى فاذا جاآجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون واحتجت المعتزلة ببعض الاحاديث الواردة في ان بعض الطاعات تزيد في العمر وبانه لو كان المقتول بانقضاء اجله لما استحق قاتله ذما ولا عقابا ولا دية ولا قصاصا ورد الاستدلال الاول بان الله تعلى كان يعلم انه لو لم يفعل هذه الطاعة لكان عمره

اربعين سنة لكنه علم انه يفعلها فيكون عمره حينئذ سبعين سنة
فنسبت هذه الزيادة الى تلك الطاعة بناء على علم الله تعلى انه لولاها لما
كانت تلك الزيادة كذا اجاب السعد التفتازاني وتعقبه المحقق الخيالي
بما نصه يرد عليه انه لا يوافق تحرير محل النزاع ويؤدي الى القول
بتعدد الاجل بل الجواب ان تلك الاحاديث اخبار آحاد فلا تعارض
الايات واجاب عنه المحقق العصام بما يدفع ما للخيالي بما نصه ومحصل
الجواب عن الاستدلال بالاية ان الله تعلى قدر اجله سبعين سنة لعلمه
بان طاعته تصير سببا لثلاثين سنة من عمره لا انه قدر اربعين على
تقدير وسبعين على تقدير حتى يئول الى القول بتعدد الاجل كما توهم
فقيل فالحق في الجواب ان آحاد الاحاديث لا تعارض الايات القطعية
او ان المراد الزيادة بحسب الخير والبركة كما يقال ذكرة الفتى عمره
الثاني اه ورد الاستدلال الثاني بان وجوب العقاب والضمان على القاتل
تعبدي والمعتزلة زعموا ان المقتول قطع الله عليه الاجل ولولا ذلك
السبب لعاش وزعمت الفلاسفة ان للحيوان اجلا طبيعيا وهو وقت
موته وتحلل رطوبته وانطفاء حرارته الغريزيتين وآجالا على خلاف
طبيعته بحسب الافات والامراض واعلم بان الرزق في لسان الشرع
يعم الحلال والحرام وهو ما يسوقه الله تعلى الى الحيوان فياكله
سواء كان على مقتضى امر الشارع اولا وذهب المعتزلة الى ان
الحرام ليس برزق فقد فسروه بما لا يمنع الانتفاع به وفسروه
تارة اخرى بانه مملوك ياكله المالك لكنه يلزم على التفسيرين ان
من اكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعلى رأسا وذلك لا يعقل
وعلى الثاني ان اكل الدواب لا يسمى رزقا وهو مردود بقوله تعلى

وما من دابة في الارض إلّا على الله رزقها وما قدره الله تعلى للشخص
يجب ان يا كله فلا يصح ان يقال ان فلانا لم يا كل رزقه او انه اكل
رزق غيره ثم انه اختلف هل الافضل التوكل في جانب الرزق او طلب
تحصيله بالاخذ في اسبابه والراجح الثاني وهو مذهب الجمهور من
اهل السنة وهو مع ذلك لا ينافي التوكل كما قال الامام الطاهري في
وسيلة العبيد في علم التوحيد

والاخذ في الاسباب لا ينافي توكلا في ارجح الخلاف

ثم ان الاجماع انعقد على ان «نصب الامام الاعظم» واجب وانما اختلفوا
هل هو واجب على الله تعلى واليه ذهبت الامامية والاسماعيلية او على
الخلق بدليل عقلي واليه ذهب اكثر المعتزلة والماتريدية او سمعي
وهو مذهب اهل السنة وتقرير الدليل السمعي في ذلك ان تقول نصب
الامام مما يتوقف عليه كثير من الواجبات الشرعية وما يتوقف
عليه الواجب الشرعي واجب سمعا كالواجب الشرعي ولا ينعزل
الامام بالفسق والجور في العباد وقيل ينعزل لقوله تعالى ولا ينال
عهدي الظالمين وقال خاتمة المحققين شيخنا الشيخ محمد بخيت في القول
المفيد والذي نميل اليه انه ان كان فاسقا بغير الظلم والجور وتبذير
اموال الامة لا يجب عزله واما ان كان ظالما يعامل الامة بالعسف
والجور او كان مبذرا في اموالها وجب عزله لان بقاءه ضرر
عام على الامة وقال عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار ولا يترتب
على بقائه ما هو المقصود من نصب الامام من الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر ونظم شئون الرعية كيف وازالة المنكر فرض على الامة
ومن اهم المنكرات واعمها ضررا وجود مثل هذا الامام الجائر اه

و جعل الامامة من مقاصد اهل الكلام تسامح قال صاحب المواقف ومباحث الامامة عندنا من الفروع وانما ذكرناها في علم الكلام تأسيا بمن قبلنا اه ومما يجب علينا ﴿الكف عن ذكر الصحابة إلا بخير﴾ والحذر مما يفعله بعض السفهاء من السب والطعن في بعضهم قال عليه الصلاة والسلام لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال عليه الصلاة والسلام اكرموا اصحابي فانهم خياركم وما وقع بينهم من التشاجر والمنازعات يجب حمله على محمل حسن كما قال اللقاني

واول التشاجر الذي ورد ان خضت فيه واجتنب داء الحسد

ولم ينقل عن السلف الصالح وعلماء الامة جواز لعن معاوية رضي الله عنه لانا لو سلمنا خطأه فهو خطأ في الاجتهاد لا يضر وعلى تعمد ذلك فغاية القول فيه وقصاراه انه بغى وخرج عن طاعة الامام الحق وكل ذلك لا يوجب اللعن هذا واما يزيد بن معاوية فقد اختلفوا في جواز لعنه وكذلك الحجاج بن يوسف والحق الذي لا مرية فيه انه لا يجوز ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن اهل القبلة واما ما نقل من انه صلى الله عليه وسلم لعن بعض اهل القبلة فلاسباب يعلمها هو وممن مال الى جواز لعن يزيد بن معاوية المحقق التفتازاني ورد عليه المحقق العصام بقوله في ذلك منافاة لما قاله الغزالي في الاحياء في لعنة الاشخاص خطر فلنجتنبه ولا خطر في السكوت عن لعنة ابليس فضلا عن غيره اه وسباب المسلم فسوق كما ورد في الحديث وكان العرب يتطيرون من السباب ويجزعون منه جزعا اشد من القتال وان نعتقد ان افضل القرون ﴿قرن النبي صلى الله عليه وسلم﴾ لقوله تعالى كنتم خير امة

اخرجت للناس الآية ولقوله عليه الصلاة والسلام خير الناس قرني الحديث وافضلهم الخلفاء الراشدون وترتيبهم في الفضل على ترتيب خلافتهم ثم يلي الخلفاء في الفضل بقية العشرة المبشرين بالجنة وهم ستة قال عليه الصلاة والسلام ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن ابن عرف في الجنة وسعد بن ابي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة ثم يليهم اهل بدر ثم اهل احد ثم اهل الحديبية الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ثم باقي الصحابة رضي الله عنهم ثم باقي الامة قال الشيخ احمد ابن عبد الحق في نظم النقاية بعد ان ذكر الخلفاء الاربعة وترتيبهم في الفضل

فالستة الباقون ثم اهل بدر فاهل احد فكل
من بايع النبي تحت الشجره فسائر الصحابة المفتخره
فمن بقي من امة النبي على اختلاف وصفه الجلي

هذا في الرجال واما في النساء ففي ذلك اقوال ارجحها ما اشار له بعضهم بقوله

فضلى النسا بنت عمران ففاطمة خديجة ثم من قد برأ الله

﴿وان الارواح لا تفنى﴾ على كل حال شقية او سعيدة فهي من المستثنيات كما تقدم فارواح السعداء منعمة الى يوم يبعثون وارواح اهل الشقاوة وهم الكفار معذبة الى يوم الدين ونقل عن ابن القيم ان عذاب القبر قسمان دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة ومنقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة فانهم يعذبون بحسبها ثم يرفع عنهم

بدعاء او صدقة او غير ذلك اه ومن النعيم رؤية المقعد في الجنة
ومنه توسيع القبر فقد ورد انه يفسح للمومن في قبره سبعين ذراعا في
مثلها وفي رواية مد البصر وفي رواية ان الغريب يفسح له فيه الى
بلده ومن نعيمه جعل قنديل فيه واملاؤه نعما غضة ناعمة وذكر
اللقاني ان هذا انما هو في المومن الطائع لا في مطلق مومن بخلاف رؤية
المقعد في الجنة ففي كل مومن ولو عاصيا ومما يجب علينا ﴿ تقليد ﴾
امام من الايمة الاربعة في فروع الدين على كل من لم يتمكن من اهلية
الاجتهاد المطلق لانهم هم نجوم الهدى ومهيع الاهتداء وانما قصرنا القول
على الايمة الاربعة وان كانت الايمة المجتهدون اصحاب المذاهب
اكثر من ذلك لان هؤلاء خصهم الله ببقاء تدوين مذاهبهم واما غيرهم
فقد اندرست مذاهبهم كالليث بن سعد وداود الظاهري وسفيان الثوري
وكان يلقب بامير المؤمنين في الحديث واسحق بن راهويه ومحمد بن
جرير الطبري وسفيان بن عيينة ومما تقرر في مذهبه انه اذا كانت
نفس المومن محبوسة عن مكانها في الجنة بدينه حتى يقضى عنه فكيف
بصاحب الغيبة فان الدين يقضى والغيبة لا تقضى وغيرهم من الايمة
المجتهدين رضي الله تعلى عنهم اجمعين وقد علمت من هنا وما تقدم ان
التقليد على قسمين تقليد في اصول الدين وقد تقدم صدر الكتاب وتقليد
في الفروع وهذا الذي نحن بصدده قال العلماء ويجب على المقلد التزام
مذهب بعينه يجري عليه في جميع عباداته وقال بعضهم بل لا يجب عليه
تقليد واحد بعينه فله ان يصلي الظهر على مذهب مالك والعصر على مذهب
الشافعي وهكذا قيل ولا يجوز تقليد غيرهم ولو كان من اكابر الصحابة
لان مذاهبهم لم تضبط ولم تدون واجازه بعضهم في غير الافتاء فقال

وجائز تقليد غير الاربعـــه في غير افتاء وفي هذا سمعـــه

وفي الانتقال من مذهب الى غيره اقوال ثالثها الجواز ان لم يجمع بين ذلك على صفة تخالف الاجماع كمن تزوج بغير ولي ولا صداق ولا شهود وهذا لم يقل به احد من الامة فهو من مخصصات التقليد وما تقدم من القول بعدم لزوم التزام مذهب معين هو الذي درج عليه شيخنا الشيخ محمد بخيت في القول المفيد فقد قال فيه ما نصه ولا يجب عليه تقليـد مجتهد معين ولا التـزام مذهبه اذا قلـده بل مذهبه من يفتيه ودعوى غير المجتهد في المذاهب انه حنفي مثلا دعوى لا حقيقة لها في الواقع فهي كدعوى انه نحوي ولا يعرف النحو اه باختصار واعلم ان المجتهد ماجور على كل حال فان اصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد كما ورد بذلك الحديث ومن هذا تعلم ان المجتهد قد يخطيء وقد يصيب وهذا مذهب جمهور الاشاعرة وذهب بعض الاشاعرة والمعتزلة الى ان كل مجتهد مصيب ثم اشار المصنف الى تعريف الامر الرابع من المذكورات في الفصل وهو الاحسان بقوله (واما الاحسان) ففي اللغـة مصدر احسنت الشيء اذا اتقنته وفي الاصطلاح (فقال من دراه) اي علمه وحققه هو (ان تعبد الله) تعلى غاية العبادة ومرجع ذلك الى مقامين مقام مشاهدة وهو اقوى ومقام مراقبة وهما نتيجة التقوى التى اشار لها الناظم في قسم التصوف بقوله

وحاصل التقوى اجتناب وامتثال بظاهر وباطن بذا تنـــال

فالمشاهدة ان يغلب عليك شهود الحق حتى تلاحظ في عبادتك (كانك تراه) امامك والحال انك لا تغيب عنه طرفـة عين فهو دائما يراك والمراقبة ان تراقب وتلاحظ ان الله تعـلى رقيب عليك في اقوالك

و افعالك فحينئذ و (ان لم تكن تراه) فاحسن في عباداتك حيث (انه يراك) فانه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور (والدين) في اللغة كل ما يتدين به الانسان وفي الاصطلاح هو عبارة عن (ذي الثلاث) الايمان و الاسلام و الاحسان والدين هو الامر الخامس وماخذ التعاريف المتقدمة من الصحيحين من سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ورواية مسلم عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا الناس فاتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان قال ان تومن بالله و ملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتومن بالبعث الاخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال الاسلام ان تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فانك إلَّا تراه فانه يراك قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من السائل ولكن ساحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربها فذاك من اشراطها واذا كانت الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من اشراطها في خمس لا يعلمهن إلَّا الله ثم تلى صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الى قوله ان الله عليم خبير قال ثم ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا علي الرجل فاخذوا ليردوه فلم يروا شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم اه فجعل ذلك كله دينا وحذف الناظم الفاء الرابطة من الجواب مع وجوب ذكرها في هذا المقام كما قال ابن مالك في الخلاصة

واقرن بفا حتما جوابا لو جعل ... شرطا لان او غيرها لم ينجعل

لان هناك من يجوز حذفها للضرورة كقول الشاعر

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

وعن المبرد اجازة حذفها في الاختيار قال الناظم (خذ) ايها المتدين (اقوى عراك) جمع عروة ولا ريب ان اعظم واقوى عروة يستمسك بها الدين القويم والصراط المستقيم وهذا اشارة لقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها

﴿خاتمة﴾ وهذا انجاز ما وعدنا به في صدر الكتاب فنقول قال الجلال المحلي في تفسير وأنذر عشيرتك الاقربين وهم بنو هاشم وبنو المطلب وقد أنذرهم جهارا رواه البخاري ومسلم اه وفي الجمل قوله رواه البخاري ومسلم اي روي انذاره لهم جهارا فقال في انذاره يا معشر قريش اشتروا انفسكم لا اغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد المطلب لا اغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا اغني عنك من الله شيئا اه وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين خرج صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صاحباه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة اه والمراد سورة تبت قلت وابو لهب عصى الله تعالى وعصى رسوله في حالة حياته فكان من امره ما كان فكذلك من عصاه بعد مماته وقد رايت ما استحقه ابو لهب مع قرابته

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتذكر قوله تعلى ضرب الله مثلا
للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع
الداخلين وقوله تعلى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان
وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك
انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون
من الجاهلين وقوله تعلى وما كان استغفار ابراهيم لابيه إلا عن موعدة
وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وتذكر ابن آدم الذي
سولت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين وقوله تعلى للنبي
عليه الصلاة والسلام وكان شديد الحرص على ايمان عمه ابي طالب
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين
وقوله تعلى للنبي عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره قل اني اخاف
ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم اي ان عصيته فرضا وقوله تعلى
والعصر ان الانسن لفي خسر إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر قال الرازي في تفسير هذه السورة
وعملوا الصالحات وهي امتثال الاوامر واجتناب النواهي فحكم
بالخسران على جميع الناس إلا من كان آتيا بهذه الاشياء الاربعة وهي
الايمان والعمل الصالح وما يخص غيره وهو التواصي بالحق والتواصي
بالصبر وهما معطوفان على ما قبلهما من عطف الخاص على العام للمبالغة
اه وقوله تعلى ان اكرمكم عند الله اتقاكم قال الجلال المحلي عند
قوله تعلى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا حذف منه احدى التاءين ليعرف بعضكم بعضا لا

لتفاخروا بعلو النسب وانما الفخر بالتقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم اه وفي القرطبي نزلت هذه الاية في ابي هند ذكره ابو داود في المراسيل عن الزهري رضي الله عنه قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني بياضة ان يزوجوا ابا هند امراة منهم فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم نزوج بناتنا موالينا فانزل الله عز وجل يا ايها الناس الاية قال الزهري نزلت في ابي هند خاصة وقيل انها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله في الرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت انا يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظر فى وجوه القوم فنظر فيهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما رايت قال ثابت رايت ابيض واسود واحمر فقال انك لا تفضلهم إلا بالتقوى فنزلت في ثابت هذه الاية ونزل في الرجل الذي لم يفسح له يا ايها الذين ءامنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس الاية اه وفي صحيح مسلم حدثني سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن اعين حدثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان امراة من بني مخزوم سرقت فاتي بها النبي صلى الله عليه وسلم فعاذت بام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله لو كانت فاطمة لقطعت يدها فقطعت اه فسقط بهذه الايات الصريحة والاحاديث الصحيحة مزاعم بعض من لا اطلاع لهم وقادهم بعض اسيري التقليد من اهل بلدتنا ثم انه وان كانت تقدمت في صدر الكتاب الاشارة الى انحطاطها إلا ان ذلك ليس على اطلاقه فاني لا انكر ان بها افرادا ذوي فضل وعلم وادب وحلم وبالجملة فاقول منشدا

بلادي وان جارت علي عزيزة   واهلي وان شحوا علي كرام

ولنرجع الى الموضوع فنقول وما احسن قول ابن الوردي في هذا المعنى

لا تقل اصلي وفصلي ابدا   انما اصل الفتى ما قد حصل

قال شارحه اي لا تقل يكفيني شرف اصلي اي والدي وفصلي اي ولدي اي لا تتكل على ما حصل لوالدك او ولدك من الفضل والشرف لانهما لا يغنيان عنك من الله شيئا بل حصل انت شيئا ينفعك عند الله سبحانه وتعلى من الاعمال الصالحة فعليك بخاصة نفسك قال تعلى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقال تعلى يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وقال تعلى يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا وقال تعلى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وقال صلى الله عليه وسلم من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه اي من قصر به عمله السيء لم يلحقه شرف نسبه ولم ينجبر نقصه به فلا يلحقه نسبه برتب اصحاب الاعمال الكاملة لان المسارعة الى السعادة انما هي بالاعمال لا بالانساب لقوله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقوله صلى الله عليه وسلم ائتوني باعمالكم ولا تاتوني بانسابكم فان قلت قوله تعلى والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء يدل على غير ما ذكر فان المفسرين فسروه بان ذريات المؤمنين صغارا كانوا او كبارا يلحقون بآبائهم في المراتب من غير ان ينقص من مراتب الاباء شيء وفي الحديث ان الله يرفع ذرية المومن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه انتهى ويؤخذ منه ان الاب اذا كان دون ولده في الدرجة انه يرفع في درجة ولده للعلة المذكورة فما وجه التوفيق بين هذا وبين حديث من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه

(فالجواب) ان المذكور في الاية وحديث ان الله يرفع ذرية المومن يكون في الجنة و الحديث المذكور وهو من ابطأ به عمله محمول على الصراط وفي لفظ الابطاء والاسراع اشارة لذلك ويؤيده ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون رجل هو آخر من يجوز على الصراط فيلتفت فلا يرى وراءه احد فيقول يا رب ابطات بي فيناديه يا عبدي اني لم ابطيء بك وانما ابطأ بك عملك اه وقال في غرر الخصائص الواضحة ما نصه الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية وقالوا شرف الانسان بفضله لا باصله وجلالته بادبه لا بنسبه فافتخر بالعلوم العالية لا بالعظام البالية وقال من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب ابيه ولله در القائل

وما الحسن في وجه الفتى شرف له   اذا لم يكن في فعله والخلائق

وانشد الحريري فقال

وما الفخر بالعظم الرميم وانما   فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

اه وبعد هذا كله فنقول كما قال العلامة القسطلاني بعد كلام يؤيد ما ذكرنا ولا تنكر الوصاة باهل البيت واحترامهم واكرامهم اذهم من الذرية الطاهرة التي هي اشرف بيت وجدت على وجه الارض فخرا وحسبا ونسبا اه والله الموفق للصواب واليه المرجع والمئاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكان الفراغ من تبييضه يوم الخميس لاربع خاون من ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة والف هجريه على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحيه

فهرسة الكتاب

خطا وصواب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٦	٦	يعبدوني	يعبدون
٦	٦	يطعموني	يطعمون
١٦	٩	الحباء	الحبا
١٨	٨	خطابا	خطاب
٢٦	٢١	عليهم	عليم
٢٨	١١	لا اشرفيته	لا شرفيته
٣٥	١٣	ناشقين	تاشفين
٣٦	٤	ليلي وسعدي	ليلى وسعدى
٣٦	٧	وخامسا	وخامسها
٤٢	٢٠	لم تعلم	لو تعلم
٤٩	٢٢	ينكرن	ينكرون
٦٠	٢٠	لان منها	إلا منها
٦٥	١٨	فمدوني	فمدون
٩٧	١٨	فضنتها	فصنتها
[illegible]	١٧	الجعبري	الجعفري
١٢٨	١٨	العوض	العرض
١٦٣	٦	مرعاة	مراعاة
١٦٥	١٧	وضوءه	وضوئه
١٦٨	٩	احدى عشر	احدى عشرة
١٦٨	١١	الاحدى عشر	الاحدى عشرة
١٧٠	١٩	كل واحدا	كل واحد
١٧٤	١٩	اكثر شيئا	اكثر شيء
١٧٤	٣١	عقل	عقلا